الساق على الساق في ما هو الفارياق

أو

أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والأعجام

تأليف

أحمد فارس الشدياق

صاحب الجوائب

الجزء الأول

عني بطبعه مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي

« بمصر القاهره »

مطبعة الفنون الوطنية بشارع كوبري قصر النيل ٦٢

فهرست الكتاب

صفحة

الكتاب الاول

صفحة

تنبيه من المؤلف

الحمد لله الموفق الى السداد والملهم الى الرشاد ، (وبعد) فان جميع ما أودعته فى هذا الكتاب فانما هو مبنى على أمرين : أحدهما ابراز غرائب اللغة ونوادرها فيندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس وقد ضمنت منهما هنا أشهر ما تلزم معرفته وأهم ما تمس الحاجة اليه على نمط بديع ولو ذكر على أسلوب كتب اللغة مقتضباً عن العلائق لجاء مملا ، وقد راعيت فى سرده مرة على ترتيب حروف المعجم ومرة نسقته بفقر مسجعة وعبارات مرصعة ، ومن ذلك القلب والابدال كما فى التورور والثورور والتوثور والترتور وتمطى وتمتى وتمطط وتمدد ومنه إيراد ألفاظ كثيرة متقاربة اللفظ والمعنى من حرف واحد من حروف المعجم نحو : الغطش والغمش والبهز والبحز والبغز والحفز تنبيها على أن كل حرف يختص بمعنى من المعانى دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التى قل من تنبه لها ، وقد وضعت لهذا كتاباً مخصوصا سميته « منتهى العجب فى خصائص لغة العرب » فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو الابحاح والبداح والبراح والابطح والابلنداح والجح والرحرح والمرتدح والروح والتركح والتسطيح والمسفوح والمسمح فى قولهم ان فيه لمسمحا أى متسعا والساحة والاسياح والشدحة والشرح والصفيحة والصلدح والاصلنطاح والمصلفح والطح والمطرطح والطشح والفطح والفلطحة الى آخر الباب . ويلحق به ألفاظ كثيرة خفية الاتصال لا تدرك الا بامعان النظر نحو الاسجاح والسرج والسماحة والسح

ومن خصائص حرف الدال اللينة والنعومة والغضاضة نحو البرخداة والتيدو التأد والثعد والمثمد والمثمغد والثوهد والثهمد والخبنداة والخود والرادة والرخودة والرهادة والعبرد والفرهد والاملود والفلهود والقرهد والقشدة والمأد والمرد والمغد والملد الى آخر الباب . ويلحق به من الامور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك . وربما عادلوا فى بعض الحروف أى راعوا فيها الاكثار من النقيض . فان حرف الدال يشتمل أيضا على ألفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدة . وذلك نحو التأدد والتأكيد والتأبيد والجلعد والجلمد والجمد والحديد والسحدد والسخدود والسمهد والتشدد والصفد والصلد والصلخد والصمغد والعجرد والتعجلد والعرد والعربدّ والعرقدة والعصلد والعطوّد والعطرّد والعلد الى آخره

ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرَم وأزم وثرم وثلم وجذم وحرم وحزم وحلم وحذم وحذلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وحزم وحضم الى آخر الباب . ويلحق به من الامور المعنوية حم الامر أى قضى وحرم وحتم وحزم فان معنى القطع ملحوظ فيها ، ويكثر فى هذا الحرف أيضاً معنى الظلام والسواد .

ومن خصائص حرف الهاء الحمق والغفلة والرث أى قلة الغناء: أله وأمه وباه والموهه ونفه والنوه الدله والسبه وشده لغة ؛ أو مقلوب منه وعته وعله وغمه ونعه ووره وقس على ذلك سائر الحروف

ومن هذا الغريب أيضاً كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعانى نحو اجرهدّ واسمهرّ وكل ذلك مشار اليه فى هذا الكتاب فينبغى التفطن له

وقد طالعت كتاب المزهر فى اللغة للامام السيوطى رحمه الله مما ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الامام اللغوى ابن فارس فلم أجده تعرض لهذا النوع بل ربما أورد من الخصائص أحياناً مالا ينبغى ايراده

كجعله مثلا اطلاق لفظة الحمار على البليد منها . ومن ذلك الغريب النوادر من الألفاظ وذلك نحو قولى اكهى فى صفة الرجل المتقرقف من البرد قال فى القاموس اكهى سخن أطراف أصابعه بنفس . ونحو العنقاش للذى يطوف فى القرى يبيع الاشياء . والضوطار وهو من يدخل السوق بلا رأس مال فيحتال للكسب . والذئابة أى بقية الدين وثرمل يقال ثرمل الطعام لم يحسن أكله فانتثر على لحيته وفمه ويتكظكظ وهو أن ينتصب الانسان عند الاكل قاعداً كلما امتلأ بطنه . ونحو الجلهزة والتلحز والوذم والارغال وغير ذلك مما فسر بعضه وترك الباقي فراراً من تكبير جرم الكتاب

والامر الثانى ذكر محامد النساء ومذامهن فمن هذه المحامد ترقي المرأة فى الدراية والمعارف بحسب اختلاف الاحوال عليها كما يظهر مما أثرت عن الفارياقية . فانها بعد ان كانت لا تفرق بين الامرد والمحلوق اللحية وبين البحر الملح وبحر النيل تدرجت فى المعارف بحيث صارت تجادل أهل النظر والخبرة وتنتقد الامور السياسية والاحوال المعاشية والمعادية فى البلاد التى رأتها أحسن انتقاد. فان قيل انه قد نقل عنها ألفاظ غريبة غير مشهورة لا فى التخاطب ولا فى الكتب فلا يمكن أن تكون قد نطقت بها . قلت ان النقل لا يلزم هنا أن يكون محروفاً وانما المدار على المعنى . ومن تلك المحامد أيضاً حركات النساء الشائقة وضروب محاسنهن المسوغة التى لم يصور منها شىء الا وذكرته فى هذا الكتاب لا بل قد أودعته أيضاً معظم خواطرهن ازاء كل ذى ومن ما احتمل منه

الحمد لله تعالى

فاتحة الكتاب

هـذا كتابي للطريف ظريفـا   طلق اللسان وللسخيف سخيفا

أودعته كلماً وألفاظاً حلت   وحشوته نقطاً زهت وحروفا

وبداهة وفكاهة ونزاهة   وخلاعة وقنـاعة وعزوفا

كالجسم فيه غير عضو تعشـق المستور منه وتحمد المكشوفا

فصلته لـكن على عقلي فما   مقيـاس عقلك كان لي معروفا

فعرته بمحافر الافـكار كي   يسع الـكلام وسمته تجويفا

لفقته وحصفته بيدي فقل   نعم الـكتاب ملفـقاً مخصـوفا

أفرغت فيه كل حبر راقه   وله بريت من اليراع الوفا

وكانما بيـديّ قد نمقتـه   حتى أتى مستحكما مرصوفا

ألفته والليـل اسود حالك   فلذاك جاء مـخماً مسجوفا

تباته لك دون طاهي القوم بالر   بلات فهي تزيل منك خلوفا

وتصح ما بك من طلاطلة ومن   ضرس فتلقم بعـد ذاك الفوفا

يغنيك عن مين الطبيب وسحله   ما من جـراه تخـازم الحتروفا

قد أبدت خضراء أرض سطوره   روضـاً وجنـات تروق وريفا

فتشم منها عرف كل ربحلة   دهساء يفتن حسنهـا الغطريفـا

وترى الماطلة اشنات بجنبها   والفارض القرطاس والسرعوفا

وورآءها وامامها مرمورة   وغرانق ما ان تزال أنوفا

واذا بدت لك من خلال حروفه   ردح وبائر فأخطبن رشوفا

فاذا عجزت عن المؤنة واستقلـ   ـت وجدت في عقابهن الهيفا

فتقر هدك الله ما تدري ولا   تتراخ عن أن تدرك الحرنوفا

غيرى من الوصاف فى ذا صنفوا لكنهم لم يحسنوا التصنيفا
اذ كان ما قالوه مبتذلا ولم يتقصَّ منهم واصف موصوفا
لكن كتابى أو أنا بخلاف ذا نكنى الحفىَّ الحد والتعريفا
لا عيب فينا غير انك لا ترى صنواً لنا فى فننا وحريفا
فهو اليتيم المستحيل أخاً وهو الفريد فكن عليه عطوفا
الفضل لى ولصاحب القاموس اذ من لجه قولى غدا مغروفا
حبلت به راسى خلافا للنسا عاماً وكل العام كان خريفا
لكن تولد فى ٣ أشهر وحبا على عجل وشب لطيفا
لم أدر هل رجلته أو مخطته أو بصقته أو ألقته ثم كنيفا
عانيت فيه من الزحير أجارك المـ ـولى عناء لا يكال جزيفا
وقطعت سرته على أهل الحجى وعلى اسمهم لا يبرحن موقوفا
ما كان من ظئر له عندى سوى فكرى ومع ذا خلته مسروفا
قدماً عليه توحمت نفسى ولم يك شوقها عن نحوه مسروفا
ورشحت لذات قبيل نتاجه حتى اذا باشرت عدت نشوفا
أولدت لى ولدين لا لك ثم ذا لك ثالثاً لا لى فعله القوفا
عهدى الى ولدىَّ أن يتحديا أسلوبه وبدفتيه يطيفا
ليؤمناه من الحريق اذا احتمى أحد عليه لكونه حريفا
انى برىءٌ منهما أن يعدلا عنه ويتخذا عليه حليفا
من كان يرغب فيه فهو موفق أو لا فقد ضل السبيل وايفا
فى الليل يسمع منه غطغطة يطيـب نعاسه بدوامها وحجيفا
ولرب نور ساطع يغدو اذا قابلته يوماً به مكسوفا
وكبير بطن ضاق عنه وفاتك ذى شرة عنه يخيم ضعيفا
كالزئبق الفرار ينظره ولا يسطيع يمسك من قفاه صوفا
يهوى هوى الريح فى الوادى اذا ما هيج ثم يسنم الشنعوفا

هو خير داح للذى لم يرض من لعب الزمان ولهوه خذروفا
ان تتـله يطربك حسن بغامه او تلغه يسمعك منه عزيفا
فيه ترى فى البرد مشتى ثم ان ثارت خجوجاة السهام مصيفا
واذا ثقلت من الطعام وغيره تلقى به من ثقـله تخفيـفا
واذا اتخذت حديقة فاغرس بها منه كليات تزدك قطوفا
تغنيك عن نصب الخيال بها فلو أضحى شظاظاً لصها لاخيفا
انى ضمنت لك الفدور فما ترى من بعده عزها ولا منجوفا
كلا ولا مستثقلا نوما ولا أرقاً ولا تشكو صدى وعجوفا
لا تقدمن على ركوب الصعب ان لم تتخذه صاحباً ورديفا
حتى اذا تعتعت أصبح عاصما لك أن تزل فتخطئ الحر — فا
انى لاعلم والسداد يدلنى ان الجنـاب يرى الابيـل مخيفـا
فاخفه انت بكل حرف باتر فد خط فيه يكف عنك كفيفـا
هو حصرم فى طرف من يغتابه ما زال ان ذكر اسمه مطروفا
وهو الحديد القاطع الماضى الذى يبرى العـظام ويحسم الشرسوفا
ان شئت تلبسه على علاته فاهنـأ به أولا فدعه نظيـفا
ولقد أجزتك سفه أو لعقه أو ان تخف قيئاً فخـذه مدوفا
لكن حذار من الزيادة فيه أو ان ترتأى اسـتعماله محذوفا
اذ ليس فيه من محل قابل للحـذف أو لزيادة تثقـيفا
لو كان يعشق جامد لجماله لغـدا الورى طراً به مشـغوفا
ولئن نزحت عن الانام فانه يمشى اليـه حيث كان زحوفا
واذا تخاصم كادبان فلحية الاشـــقى يغادر شعرها منتوفا
حتى كأن الشعر من لحييهما قطن الحشايا ناعماً مندوفا
وحياة رأسك ان راسى عارف انى به لن أستفيد رغيفـا
كلا ولا أقطا ولا حشفا ولا خزا على وتدى ولا كرسوفا

لكن بقرنى حكة هاجت على انى أعالج مرة تأليفا
من كان يؤجر كى يؤلف خطبة فهو الخليق بأن يعد عسيفا
ما راج من قولى فخذه وما تجد من زائف فاتركه لى ملفوفا
لا بد أن تجد الصيارف مرة بين الدراهم درهما مزيوفا
ولرب دينار يجر اليك من تهوى بلحيته وليس مشوفا
لا يعلقن بزجاج عقلك ما ترى فيه من الصدأ القديم كثيفا
من كان فى بلد لطيفا طبعه يجد الغليظ من المحب لطيفا
لا ترفسن ما مر منه لاجل ما قد ساء بل لا توله تافيفا
ان المصنف لا يكون مصنفا الا اذا جعل الكلام صنوفا
او ليس ان الضرب مثل الصنف فى المعني وقرع عصا اليه أضيفا
حاشاك أن تقضى علىَّ تهافتا من قبل أن تحقق التوقيفا
فتقول قد كفر المؤلف فاحشدوا يا قوم صاحبكم أتى تجديفا
فتهيج أرباب الكنائس هيجة شؤمى فيخترطوا عليه سيوفا
بينى وبينك من صلات مودة ما يقطع التفسيق والتسقيفا
لا تزبئر الى القتال ولا الى الشكوى ولاتك بيننا يذيفا
ان كنت احسانا أتيت فدونك التحبيذ لى أولا فلا تقذيفا
لا يشتمن أبى ولا أمى ولا عرضى ولاتك لى بذاك اليفا
أنمى على أنفى يناط مدلدلا ما أن يصيب من العباد أنوفا
ولرب فسيق اللسان مباذىء يغدو وقد فسق العفيف عفيفا
ونزيه نفس أن يزر ذا زوجة ويكون ان ضحكت له عتريفا
كلب الكواعب ليس يعدى غيره ودواؤه كعب يليه منوفا
ماذا على مهد الى اخوانه شيئاً ألذ من المدام طريفا
سهر الليالى محكما تفصيله وهم رقود يحكمون جحيفا
أرأيت ذا كرم يرد هدية ويسوم مهديها له تعنيفا

أو ليس ان الدهر أصبح مازحا ... يهدى ويأتي المضحكات جنوفا
فاشتق من خرف الجنى خرفا ومن ... حصف تهي الاظفار منه حصيفا
دع عنك تعبيس الاسود وكن أخا ... لابى الحصين مراوغاً يهفوفا
من أضحك السلطان صوت ردامه ... فهو الذى فى الناس عد عريفا
تمت بهذا البيت فاتحتى وقد ... صيرته لبنائها تسقيفا
لا تقرأن من بعده شيئا ولو ... كلفت حرفا واحدا تكليفا
فتكون قد أزلقت ثم تجاوزت ... بك رجلك اليسرى له تاريفا
انى أرى كالريح فى أذنيك عر ... ف نصيحتى راحت سدى وطليفا

الكتاب الاول

الفصل الاول

فى اثارة رباح

مه ، صه ، اسكت ، اصمت ، ايبس ، اعقم ، اسمع ، أئذن اصخ ، اصغ ، اعلم انى شرعت فى تأليف كتبي هذا المشتمل على أربعة كتب فى ليالى راهصة ضاغطة أحوجتنى الى الجوار قائما وقاعدا حتى لم أجد صنبور أفكاري ما يسده عن أن يتبعق على ميزاب القلم فى وجود هذه الصحائف ، فلما رأيت القلم مطواعا لاناملى والدواة مطواعا للقلم قلت فى نفسى لا بأس أن أقفو القوم الذين بيضوا وجوههم بتسويد الطروس فان كانوا قد أحسنوا فانا أعد أيضا من المحسنين ، وان كانوا قد أساءوا فلعل عدد كتبهم يحتاج الى تكملة فيكون كتابى على كل حال متصفا بالكمال ، لان ما كمل غيره كان جديراً بأن يكمل نفسه ، فمن ثم لم أتوقف فيما قصدته ولم أتحاش أن أودعه من الالفاظ الشائقة الرائقة والمعانى الفائقة الآفقة كل ما خفّ على السمع ، ولذّ للطبع ، مع علمى انه لا يكاد مؤلف يعجب الناس جميعا ، وكانى بمتعمنت يقول فى نفسه أو لغيره لو كان المؤلف اجهد قريحته فى تأليف كتاب مفيد لاستحق ان يثني عليه ، لكننى اراه قد اضاع وقته عبثا بذكر ما لا ينبغى ذكره حينا ، وحينا بذكر ما لا يجدى نفعا ، والجواب عن الاول ، ومحترس من مثله وهو حارس ، وعاد الحيس يحاس ، وخذ من جذع ما اعطاك وشحمتى فى قلعى ، واهتبل هبلك ، وعين الرضى عن كل عيب كليلة

وعن الثانى ، أربع على ظلعك ، وارق على ظلعك ، وارقأ على ظلعك وق على ظلعك ، وكاني بآخر يقول حديث خرافة ياام عمرو ، وجوابه وكم من عائب قولا سليما ، ثم كانى بجوقة عظيمة من الجلاذى والنهاميين والانهمة والونفة والوفهة والوهفة والابيلين والزرازرة والقمامسة وامامهم الجاثليق الاكبر وامام هذا المسطوس الاعظم وهم يضجون ويعجون ويجأرون وينعرون ويلجبون ويصخبون ويوأطون ويلغطون ويتقترون ويتوغرون ويتوعدون ويتهددون ويتذمرون ويتنكرون ويتنمرون ويتشذرون ويتشزرون ويتغذمرون ويحمون وينهمون ويلغمون ، فأقول لهم : مهلا مهلا ، انكم قضيتم عمركم كله فى حرفة التأويل فما يضركم لو أولتم ما تنكرونه فى كتابى من أول وهلة ، وتمحلتم كما هو دأبكم لان تجعلوا منه حسنا ما يظهر قبيحا ومستظرفا ما يلوح من خلال عبارته فاحشا ، فان أبا نواس قد أوجب عليكم ذلك مذ مئين من السنين بقوله :

لا تحظر العفو ان كنت امرأ ورعا فان حظركه بالدين ازراء

وبقوله

كن كيفما شئت ان الله ذو كرم وما عليك اذا أذنبت من بأس
الا اثنتين فلا تقربهما أبداً الشرك بالله والاضرار بالناس

فاما ان قلتم ان عبارته صريحة بحيث لا تقبل التأويل ، فأقول لكم انكم بالامس كنتم تخطأون وتحضرمون وتهرأون وتلحنون وتلكنون وتملطون وتوهمون وتعفكون وتلبكون وتلتكون وتلفتون وتمصدون وتخلطون وتخطلون وتهذون وتهذرون وتحصرون وتلخون وتلخلخون وتمجمون وتجعمون وتفدمون وتلفون وتتبلتمون وتتلهيعون وتلغلغون وتلقلقون وتقلقلون وتترترون وتترثرون وتحصرون وتفرفرون وتجمجمون وتمجمجون وتفمغمون وتغمغمون وتتعتعون.

وتغتنفون وتثعثعون وتثغثغون وتبعبعون وتبغبغون وتوتغون وتضغضغون وتميون وتفهون فتى جآكم العلم حتى فهمتموها ، وان قلتم ان بعضها وهو السيء مفهوم وبعضها غير مفهوم ، قلت لعل مالم تفهموه هو من الحسنات التي تذهب السيئات فلا ينبغي لكم على أية حالة كانت أن تحرقوه ، ولعمري لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه عند الادباء وعندكم أنتم أيضاً مجرى كتب الادب سوى سرد الفاظ كثيرة من المترادف لكفى ، بل فيه من ذكر الجمال واهله أدام الله عزهن ما يوجب اعظامه وتقريظ مؤلفه حياً ثم تأبينه بعد مفارقته اياهن برغم أنفه ،

على اني اعرف كثيراً من الوفهة الكرام المشهود لهم بالفضل بين الانام لا يتحرجون من قولهم شيء مجمجج وشيء متدملك وشيء مفرّم وشيء ازيب وشيء مهدف وشيء قازح وبكبك ، ومن ذكر الكعثب والكنعب والكثم والجلهوم والعركوك والاكثم والاخثم والخشيم والحزنبل والدعكنة والجدجد والنيزج والبوص والنامة والبلغص والقلذم والاكبس والضراطمي والعمارطي والحضر والهيدب والحلوس والبوص والعضرط والعضارطي والجميش والجشا والبداء والفشوش واللطما والمهلوسة والمرصوفة والمستودفة والجالقة والحارقة والخبوق والخقوق والغقوق والربوخ والمخربقة والسلقلق والشقآ والمتلاحمة والخجام والخجوم والاتوم والشريم والهوجل والمتكآ والحاقية والمرفوغة والمصوص والمنفاص والميراص والعضوض والمنخار والشفيرة والزخاخة والبخاخة والجخنة والشفاح والعنبلة والجليم ومن العلوز والقنب والنوف والخنتاب والايل والبيظ والشعرورين والحتار والاشعر والطبق والاسكتين والحسكتين والعنتل والقحقح والمأنة والجعب والطرث والعكبز والمعجرم والعجارم والوبيل والفنجليس والفلطيس .

والحطاط والكوتعة والجوفان والمتك والحوقلة والكوشلة والقصعة والدلعة ومن الاقماد والتوتيد والاستعناد والتفنشخ والشمذ والفهر والافهار والوجس والنشنشة والاستخلاط والتشيط والهكاع والفخة والسغم والاكسال والدعم والزجل والهقق والنيطل والعتر والطروح والعجيز والفنخر والاختضار والترفغ والاصفآ والعصد والحمق والتعفيل والتبازخ والعروة والاسواع والساع والالهاط والعصيد والرفغ والعفل والقرنة والكين والطوطؤة ومن ذكر الارزب والبزباز والفاعوسة والخرنوف والمشرح والغضارطي والمصوص والخاق باق والزردان والطنبريز والملهم والقبقاب واللهموم والمحجوم والمزخة والنغنغ والخشنفل والمعرنفط والمقرنفط والفوق والقوق والركوة والقحفليز والعفلق وغير ذلك من أدوات النصب ومن البنودة والجمبي والحذافة والمخذفة والخذقة والخوارة والخفاقة والعزاقة والمحسة والمحشة والخبنفثة والرماعة والصمارى والرثم والطبيخة والحمآ والعوآ والعزلا والجعمآ والسحمآ والفنقصة والفرقعة والصفارة والنبور والنباعة والنباغة والوباعة والجوانة ولخوانة والصوانة والبرعث والبعشط وغير ذلك من أدوات الجزم ومن الأداف والبيزار والجميح والجمثوم والاذلعي والحوقل والمطول والزلنقطة والخدرنق والسحادل والضبيز والعلعل والدوقل والقسطبينة والفنطيس والشاقول والقهبليس والعردل والقصطبير والجزاجز والقزميلة والمتمئر والدوسر والسمهدر وغير ذلك من أدوات البحر ومن ذحّ وذحا ودحّ ودحي ورصع ورطأ وشفتن وشكز وضهز وطعز وطخ وعزط وعزلب وقرفط وقنطر وقسبر وقحطر وقمطر ولطز ولمج ولمذ ومشق ومتر ومهج ومعج ونيرج وزخزخ ودعظ ، وكنت احملق فى وجوههم عند ذكرهم ذلك فلم اكن ارى عليها حمرة الخجل ولا صفرة الوجل . بل كانت ناضرة مستبشرة

مبتهجة مسفرة . فان أبى المنكر إلا عناداً وتقاضانى جدول أسمائهم قلت له هاك أوله يبتدئ بالالف وآخره بالياء ، فاحسبوني اذاً وافهاً من هؤلاء.

ثم أن شرطي على القارئ أن لا يسطر شيئاً من الالفاظ المترادفة فى كتابي هذا على كثرتها ، فقد يتفق أن يمر به فى طريق واحدة سرب خمسين لفظة بمعنى واحد أو بمعان متقاربة ، وإلا فلا اجيز له مطالعته ولا أهنئوه به * على انى لا أذهب الى أن الالفاظ المترادفة هى بمعنى واحـد والا لسموها المتساوية وانما هي مترادفة بمعنى أن بعضها قـد يقوم مقام بعض . والدليل على ذلك ان الجمال مثلا والطول والبياض والنعومة والفصاحة تختلف أنواعها واحوالها بحسب اختلاف المتصف بها فخصت العرب كل نوع منها باسم ولبعـد عهدهم عنا تظنيناها بمعنى واحـد * وقس على ذلك انواع الحلى والمأكول والمشروب والملبوس والمفروش والمركوب ، لا بل عنـدى ولا أخشى من أن يقال او لك عند انه اذا كان اسمان مشتقين من مادة واحدة وكانا يدلان على معنى واحد كالخجوج والخجوجاة مثلا للريح الشديدة المر فلا بدوان يكون الاسم الزائد فى اللفظ زائداً فى المعنى أيضاً ، فان شئت اذعنت او لا فعاند .

هذا وانى قـد الفته وما عندى من الكتب العربية شئ أراجعه واعتمد عليه غير القاموس ، فان كتبي كانت قد فركتنى فاعتزلتها ، غير ان مؤلفه رحمـه لم يغادر وصفاً فى النسآء الا وذكره ، فكأنه كان الهم ان سيأتى بعده من يغوص فى قاموسه على جمع هـذه اللآلئ فى مؤلف واحـد منتسق لتكون اعلق بالذهن وارسخ فى الذكر ، ولولا انى خشيت غيظ الحسان علىّ لكنت ذكرت كثيراً من مكايدهن وحيلهن ومحالهن لكنى انما قصـدت بتأليفه التقرب اليهن وترضيهن به ، وانى آسف كل الاسف على انهن غـير قادرات على فهمه لجهلهن القرآة لا لعوص العبارة ، اذ لا شئ يصعب على فهمهن مما يؤول الى

ذكر الوصال والحب والغرام . فهن يستوعبنه و يتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور ولا ترج ، وحسبي أن يبلغ مسامعهن قول القائل ان فلانا قد ألف فى النساء كتابا فضلهن به على سائر المخلوقات ، فقال أنهن زخرف الكون ، ونعيم الدنيا وزهاها ، وغبطة الحيوة ومناها ، وسرور النفس ومشتهاها (١) وعلق القلب ، وقرة العين ، وانتعاش الفؤاد وروح الروح ، وجلاء الخاطر ، وتعلل الفكر ، ولهو البال ، وجنة الجنان ، وانس الطبع ، وصفاء الدم ، ولذة الحواس ، ونزهة الالباب وزينة الزمان ، وبهجة المكان والباءة ، بل أقول غير متحرج عرف الالاهة اذ لا يكاد الانسان يبصر جميلة إلا ويسبح الخالق ، بذكرهن يلهج اللسان ، ولخدمتهن تسمى القدم ، وتحمل الاعباء ، وتجشم المشاق ويهون الصعب ، ويتجرع الصاب ، ويقاسى الضر ، ولرضائهن يذل العزيز ، ويبذل النفيس ، ويذال المصون ، وان خلاق الرجل من دونهن حرمان ، وفوره خيبة ، وهناءه تنغيص ، وأنسه وحشة ، وشبعه جوع ، وارتواه ظما ، ورقاده ارق ، وعافيته بلاء ، وسعادته شقاوة ، وطوبى له كالزقوم ، والتسنيم كالغسلين ، فاذا قدر الله بلوغ هذا الخبر المطرب سماع احدى سيداتي هؤلاء الجميلات ، وسرت به وفرحت ، ورقصت ومرحت ، رجوت منها وأنا باسط يد الضراعة ان تبلغه أيضاً مسامع جارتها ، وأملت من هذه أيضاً أن تطالع به صاحبتها حتى لا يمضى اسبوع واحد إلا ويكون خبر الكتاب قد ذاع فى المدينة كلها ، وكفانى ذلك جزاء على تعبي الذى تكلفته من أجلهن ، الا وليعلمن انى لو استطعت أن أكتب مدحهن بجميع أصابعى وانطق به بكل من جوارحى لما وفى ذلك بمحاسنهن ، فكم لهن على

---

(١) قد غلط الفيروزابادى فى اشتقاقه السرية من السر للجماع بل اشتقاقها من السر بمعنى السرور

من القضل حين بدون فى أفخر الحلل ، ومسن باحسن الحلى ، ونظرن الىّ شافنات ، حتى أبت الى حفشى وأنا أتعثر بافكارى وخواطرى فاكادت يدى تصل الى القلم الا وقد تدفقت عليه المعانى وساحت على القرطاس ، فاورثتني بين الناس ذكرا وفخرا ، ورفعن قدرى على قدر ذوى البطالة والفراغ ، نعم أن من بينهن من تقست علىّ بطيفها فى الكرى ، ولكنها معذورة فى كونها لم تكن تعلم انى اتكلف النوم بعد ان رأت عينى من جمالها مايبهر العقل ويبلبل البال ، فاما اذا تعنت علىّ أحد بكون عبارتى غير بليغة ، أى غير متبلة بتوابل التجنيس والترصيع والاستعارات والكنايات ، فأقول له انى لما تقيدت بخدمة جنابه فى انشآء هذا المؤلف لم يكن يخطر ببالى التفتازانى والسكاكي والامدى والواحدى والزمخشرى والبستى وابن المعتز وابن النبيه وابن نباته ، وانما كانت خواطرى كلها مشتغلة بوصف الجمال ، ولسانى مقيداً بالاطراء على من انعم الله تعالى عليه بهذه النعمة الجزيلة ، وبغبطة من خوّله عزّ وجل عزة الحسن وبرثاء من حرمه منه ، وفى ذلك شاغل عن غيره ، على انى أرجو أن فى مجرد وصف الجمال من الطلاوة والرونق والزخرفة ما تغنى عن تلك المحسنات استغناء الحسناء عن الحلى تلك يقال لها غانية

وبعد فانى قد علمت بالتجربة ان هذه المحسنات البديعة التى يتهور المؤلفون كثيراً ما تشغل القارئ بظاهر اللفظ عن النظر فى باطن المعنى ، ولعمرى انه ليس فى هذا الكتاب شئ يعاب سوى وحدانك الفارياق فيه تارة يحشر فى سرب الغوانى ، وتارة يدمق عليهن وهن آمنات فى حجالهن او فى حديقة أو فى زاوية أو على السرير ولكن لم يكن لى بدّ من ذلك اذ الكتاب موضوع على قص أخباره وعلم أحواله فقد بلغنى ان كثيرا من الناس انكروا وجود هذا المسمى فقالوا انه

من قبيل الغول والعنقآء ، وبعضهم قال انه كان قد ظهر مرة فى الزمان ثم اختفى عن العيان ، وذهب غير واحد الى أنه مسخ بعد ولادته بايام ولم يعلم بأى صورة تلبس والى أى شكل استحال ، وزعم قوم انه صار من جنس النسناس ، وآخرون من النسانس ، وقال غيرهم أنه صار من نوع الجن ، واثبت بعض انه استحال امرأة ، فانه لما رأى أن المرأة أسعد حالا من الرجل فى هذه الدنيا المسماة دنيا الذما كان لا يبيت الا وهو جائر الى ربه بالدعاء لان يصيره أنثى ، فتقبل الله ذلك منه وهو على كل شيء قدير ، فرأيت والحالة هذه من بعض ما يجب علىّ أن أعرف هؤلاء المختلفين فيه بحقيقة وجوده على ما فطر عليه ما عدا التغيير الذى عرض له عن جهد المعيشة وسوء الحال ومقاساة الاسفار ومخالطة الاجانب والاحتكاك ، وعلى الخصوص من تنفيع الشيب والمجاوزة من حد الشباب الى سن الكهولة ؛ فاذ قد علم ذلك ، فاقول :

كان مولد الفارياق فى طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدى أو التيس والسرطان ماش على قرن الثور ؛ وكان والداه من ذوى الوجاهة والنباهة والصلاح (مرحى مرحى) الا ان دينهما كان أوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (برحى برحى) وكان لطبل ذكرهما دوى يسمع من بعيد . ولزوابع شأنهما عجاج ثناء يتورد فى الحاضر والبادى . ولتكرير العفاة عليهما واعتشاء الوفود لديهما ، حطت سبل دخلهما ونزحت بئر فضلهما فلم يبق فيها الا نزازات باقى فيها النخت المحرم سداداً من عوز ، فكانا يجودان به أيضاً من عوز السداد ([illegible]) فلذلك لم يكن في طاقتهما ان يبعثاه الى الكوفة او البصرة ليتعلم العربية وانما حملاه عند معلم كتاب القرية التى سكنا فيها (ويح ويح) وكان هذا المعلم كسائر معلمى الصبيان فى تلك البلاد فى كونه لم يطالع مدة حياته كتابا سوى كتاب الزبور وهو الذى

يتعلمه الاولاد هناك لا غير (اف اف) وليس قولى انهم يتعلمونه مؤذنا بانه يفهمونه ؛ معاذ الله ، فان هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه لم يعد فى طاقة بشر أن يفهمه (غط غط) وقد زاده ابهاماً وغموضاً فساد ترجمته الي اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد أن يكون ضربا من الاحاجى والمعمى (رط رط) وانما جرت عادة اهل تلك البلاد بان يدربوا فيه أولادهم على القراءة من غير أن يفهموا معناه ؛ بل فهم معانيه عندهم محظور (تف تف) وكما انهم لا يفهمون معنى وحا وميم وقاف مثلا ؛ فكذلك لا يفهمون عبارة الكتاب المذكور اذا قرأوها (طيخ طيخ) والظاهر ان سادتنا رؤسآ الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهم المساكين أن يتفقهوا أو يتفقحوا . بل يحاولون ما أمكن أن يغادروهم متسكعين فى مهامه الجهل والغباوة . (أع أع) اذ لو شآؤا غير ذلك لاجتهدوا فى أن ينشئوا لهم هناك مطبعة تطبع فيها الكتب المفيدة سوآء كانت عربية أو معربة(سر سر)فكيف ترضون ياسادتنا لاعزّة لعبيدكم الاذلة أن تربى أولادهم فى الجهل والعمه،(عزوى عزوى) وأن يكون معلموهم لا يعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية ولا شيئاً غير ذلك مما لا بد للمعلم من معرفته (تعزى تعزى) فكم لعمرى من ملكات براعة وحذق من الله تعالى بها على كثير من هؤلاء الاولاد ؛ غير انه لفقد أسباب العلم وعدم ذرائع التأديب والتخريج طمثت جذوتها فيهم على صغر ؛ بحيث لا يمكن أن يشقبها بهم [illegible] التحصيل على كبر (أوه اوه) هذا وانكم بحمد الله من المترين [illegible] لا يعجزكم أن تنفقوا [illegible] وكذا كيساً على انشاء مدارس وطبع كتب مفيدة (إيه ايه) فان لبطرك الطائفة المارونية دخلا له وقع عظيم ؛ ونفوذ جسيم بحيث يمكنه أن يحيى به قلوب نائمة، هذه المارونية التى لا تدخل فى المنافسة والمباراة فى شيء [illegible] من سبقوهم فى كل علم وفضل (هيس [illegible]

وانما همهم ان يتعلموا بعض قواعد فى نحو اللغة العربيةوالسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه اه) اذ لم يعلم الى الآن ان احد منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة فى هاتين اللغتين ولا ان البطريرك امر بطبع كتاب لغة فيهما (تغ تغ) ولو انه اتفق نصف دخله فى كل سنة على تحصيل اسباب العلم بدل هذه الولائم والمآدب التى يهيؤها لزواره أو لوكان كل من الامرآء والمشايخ الكرام ينقل شيئاً معلوماً فى كل سنة لاجل هـذه المصلحة الخيرية ؛ أو لو بعث من قبله الى البـلاد الافرنجية وكلاآء يجمعون من ذوى الخير والاحسان فيها مبلغاً يخصصه بما نحن بصدده ؛ لاحمدكل من فى الشرق والغرب فعله (جنح جنح) ولـكن اذا تعنى احد سادتنا هؤلاء لان يبعث الي اخوانه الافرنج حنا أو متى أو لوقا لجميع المال فانما يبعثه لبناآء كنيسة أو صومعة(آح آح) مع ان الانسان مذ يولد الى أن يبلغ اثنتى عشرة سنة لا يمكنه أن يدرك شيئاً على حقيقته من جهة الـكنيسة والصومعة ، ويمكنه فى خلال ذلك أن يتعلم ما يفيده فى مدرسة أو كتاب (ثع ثع) فهل تعدوننى ياسادة بانشاآء مكاتب وطبع كتب حتى لا أطيل عليكم هذا الفصل . فان بقلبي منكم لحزازات حاكة وبصدرى عليكم ملامات صاكة(اخ اخ)لان خليصى الفارياق فى دولتكم السعيدة لم يمكنه أن يتعلم فى قريته غـير الزبور وهو كتاب حشوه اللحن والخطا والركاكـة (اخ اخ) لا ن معربه لم يكن يعرف العربية وقس عليه سائر الـكتب التى طبعت فى بلادكم وفى رومية العظمى (هع هع) ومعلوم ان الغلط اذا تأصل فى عقل الصغير شب معه ونمى فلم يعد ممكناً بعد قلعه . فهل من سبب لهـذا الشين والعيب سوى اهمالـكم وسوءتصرفـكم فى السياسة المدنية والـكنائسية (أفوه أفوه) اتحسبون ان الركاكـة من شعائر الدين ومعالمه وفرائضه

وعزائمه . وان البلاغة تفضى بكم الى الكفر والالحاد . والبدعة والفساد (مطغ مطغ) أم حسبتم أن تلك الابيات العاطلة . قد أفحمت ذلك المسلم العالم عن المجادلة والمناضلة . (يع يع) اما بعروقكم دم يهيجكم الى حب الكلام الجزل الفخم . والى البلاغة والبلة . ونق العبارة على موجب القواعد المقررة والافصاح عما يخطر ببالكم دون الحشو المخل والاعتراض الممل . والتعقيد المعل . والاخلاء المسل . وقولكم فى جوز الجملة الخ وجعلكم الفعل الثلاثى رباعياً وبالعكس . واستعمالكم ما يتعدى منه بالباء متعديا بفى وبالعكس . واجرائكم المتعدى لازماً وبالعكس . والمهموز معتلا وبالعكس وعدم فرقكم بين اسمى الفاعل والمفعول . فتقولون هم محسودون منى أى حاسدون لى وما أشبه ذلك (قه قه) وليس كتابى هذا درة الثين . فى أوهام القسيسين حتى استوعب فيه ذكر اغلاطكم وأوهامكم (ايحى ايحى) وانما المقصود من ذلك أن أبين لكم أن ادمغتكم قد سقيت اللحن والركاكة من وقت ذهابكم الى الكتاب وقراءتكم فيه كتاب الزبور الى أن تصيروا كهلا ثم شيوخاً (دح دح) وانه مادمتم على هذه الحال فلن يرجى لكم من ابلال (ويب ويب)

ثم أن الفارياق أقام عند معلمه ريثما ختم الكتاب المذكور وبعد ذلك أوجس منه المعلم أن يربكه فى مسائل تصعب عليه فينفضح بها . فأشار على والده بان يخرجه من الكتاب ويشغله بنسخ الكتب فى البيت (به به) فلبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها ما أمكن لمثله أن يستفيد من تجويد الخط وحفظ بعض الالفاظ (بد بد) وكان أهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعندهم أن من يكتب خطاً حسناً هو الذى افق بين اقرانه فى الفضل . ومع اشتهار ذلك فلم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتاب لا من بذأت العين خطه وعاف الذوق السليم كلامه (عيط عيط) فمدار الاخذ لا بد موقف

على الحظ . وان ادارة الاحكام لا تفتقر الى تهذيب الكلام . (تع تع) وأن كثيراً قد نالوا المراتب الساميـة والمراتب السنية وهم لا يحسنون توقيع اسمهم الشريف (حس حس) غير ان الفارياق لم يكن قرير العين بهذه الحرفة ، اذ كان يعتقد ان الرزق الذى يأتى من شق كشق القلم لا يكون الا ضيقاً (وى وى) نعم ان كثيراً من الناس قد نالوا العيش الواسع الهنى ، والخير المتتابع الوفى ، من مورد هو بالنسبة الى شق القلم رحب لكنه بالنسبة الى شرههم وسرفهم ضيق (واه واه) غير ان الفارياق وقتئذ كان غراً لا تجربة له ولا خبرة ، فكان يحكم على البعيد بالقريب ، ولا شيء أقرب الى عين الكاتب من لسان قلمه وعارض قرطاسه أو أدنى الى قلبه من الكلام الذى يكتبه واللبيب من قنع بالحرفة التى يتعاطاها ولم يشق عليه أمت الشق ولم يشرئب الى ما ليس يحسنه (شم شم)

الفصل الثانى

فى انتكاسة حاقية وعمامة واقية

قد كان من طبع الفارياق كما هو دأب جميع الاحداث أيضاً أن يحاكى فى الزى والاطوار والكلام من كان متميزاً فى عصره بالفضل والدراية ، وانه رأى ذات يوم قرزاماً معتماً بعمامة كبيرة مدورة . وكان هذا القرزام يحسب وقتئذ من فحول الشعراء ، فأحب الفارياق أن يكون له مثل هذه العمامة على صغر رأسه ، فكان اذا مشى يميل رأسه منها يمنة ويسرة كالقاضى الذى يخرج فى الاسواق بعد صلوة الجمعة ويسلم على الناس واتفق ان أباه سار مرة الى دار الحاكم واستصحبه معه وأركبه مهرة له ، وكان هو راكباً حصاناً ، فمكثا هناك أياماً يعن للفارياق يوماً من الايام أن يركض المهرة فى الميدان وكان الحصان مربوطا فى جانب ، فأجرى المهرة نصف شوط حتى اذا قابلت مربط أليفها التفتت اليه كالمشيرة ان فارسها غير جدير بركوبها بين جياد الامير فما كان من الفارياق الا ان سقط على أم رأسه ، وأقبلت المهرة تجرى الى الحصان وغادرته مجندلا على الجدالة ، ولو كان فارسا مجيدا لما تركته على تلك الحالة بل كانت تنتظره حتى يقوم ، ثم انه قام بعد ذلك يحمد الله على كبر عمامته فانها هى التى وقت رأسه عن احدى الشجات العشر وهي القاشرة الحارصة الباضعة الدامية المتلاحمة السمحاق الموضحة الهاشمة المنقلة الآمة الدامغة ولكنه قام محقوا ويومئذ عرف ان لكبر العمامة فضلا ومزية ، وظن ان اتخاذ العمائم الكبيرة عند أهل بلاده انما هى لوقاية رؤسهم فقط لا لتحسين وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفى محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير فضلا عن كونها توجع الرأس

وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نص عليه الساعور الا كبر، فان قيل اذا كان سبب اتخاذ العمائم الكبيرة انما هو لوقاية الرؤوس لا للزينة والتحسين فما بال الذين يرقدون ليلا يتعممون ، فهل يخافون أن تتدحرج رؤسهم عن مصادغهم فيسقطوا فى مهواة فى بيتهم ، مع ان فرشهم تكون على الارض

قلت ان منشأ هذه العادة هو ان نساء تلك البلاد يتخذن فى رؤسهن هذه القرون التى يقال لها هناك طناطير ، وهي تكون من فضة أو ذهب فى طول الزراع وغلظ الرسغ ، فاذا بات الرجل مع امرأته حاسر الرأس أو كان على رأسه غطاء رقيق لم يأمن أن تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدى الشجاج المذكورة ، فان أبيت الا اللجاجة وقلت ماسبب هذه القرون الحسية . هل هى دليل على التذكير بالقرون المعنوية عند مخالفة الرجل لامرأته ، أو عند تقتيره عليها ، أو اجفاره عنها ، أوهى من قبيل الزينة أو من بطر النساء وشرههن بحيث اذا شممن رائحة الايسار من أزواجهن رأين ان كل مجس من أجسامهن قمين بالحلى والزينة . اذا كن يعتقدن ان المستور منها عن عيون الناس غير مستور عن عيونهن وعيون بعولتهن ، وان كان فى المسألة خلاف عظيم، وتحليل وتحريم ، وان فى التزين بحلى غير ظاهر للذة عظيمة ، فان مجرد العلم باحراز شىء ثمين يسر صاحبه ، كما لو أحرز انسان كنزا فى حرز محجوب فانه يفرح به من غير أن ينظر اليه

قلت أما التذكير بالقرون المعنوية فغير مظنون فى نساء تلك البلاد لكونهن من ذوات العرض والتصاون ، ولا سيما نساء الجبل ، وفضلا عن ذلك فان هراوة الزوج ومقامع أهله وأهل امرأته وعيون الجيران أيضا تمنعها عن الاتصاف بالصفة الزوجية التامة . أما فى المدن فان هذه الصفة أقوى وأفشي ، وانما كان اتخاذ هذه القرون فى الاصل

مناطا للبراقع ؛ وكانت فى مبدأها صغيرة قصيرة ثم طالت وكبرت بطول الزمن وكبر الدينار . وكلما زاد ايسار الرجل وماله زادقرن امرأته طولا وضخامة ، وهنا فائدة لا بد من ذكرها ، وهي ان لفظة القرن من الالفاظ التى اشترك فيها جميع اللغات كالصابون والقط والمزج وغيرها ، وقد شهرت عند جميع المؤلفين بانها كناية عن كذا وكذامن طرف الزوجة فى حق زوجها ، الا عند المؤلفين من اليهود فان الصفة القرنية فى كتبهم من الصفات الحميدة ؛ ولذلك فكثيرا ما تسمع فى كتاب الزبور ارتفع قرني وانت رافع قرني وانى أنطح بقرنى وماأشبه ذلك ، وفى كلا الاستعمالين غموض وابهام ، أما غموض استعمال القرن عند المؤلفين من غير اليهود كناية عن خيانة المرأة زوجها فلان هيئة القرن لا تدل على عضو مخصوص من أعضاء الانسان ، وحقيقته ايضا لا تدل على حيوان مخصوص . فان الثور والوعل والتيس والكركدن فى ذلك سواء ، ولفظه كذلك غير مشتق من فعل يشير الى خيانة اوضمد فما علة هذا الاستعمال ، وقد استفتيت فى هذه المسألة المشكلة كثيرا من المتزوجين المجرذين • فكلهم كان يتخيف ألوانا عند سؤالي له ، ويجمجم فى كلامه ويقوم من عندى وقد خجل ووجم ، فان فتح الله الآن على أحد ممن يطالع كتابى هذا فى فهم حقيقة ما يراد من هذا الحرف عرفا واصطلاحا ، وفى بيان سبب استعماله كناية عن الضمد فليتفضل بالجواب منه واحسانا . فأما استعماله من مؤلفى اليهود كناية عن العزة والقوة والمنعة والغلبة فانه يرد عليه ما ورد على الاول من ان كثيرا من الحيوانات قد اشترك فيه • ومنها ماهو غير ذى قوة ولا بأس • فأنظر اختلاف الناس فى لفظة واحدة ومعنى واحد

أما العمامة فان اشتقاقها فيما أرى من عم بمعنى شمل لانها تعم الرأس وهي على أشكال مختلفة . فمنها الحلزونى والكعكي والاطارى

والمكورى والمقورى والقهقورى والقرطلى والقعبلى ، وكلها على اصنافها أحسن من هذه الاجران التي تلبسها رؤساء المارونية فى الدين فلينظروا وجوههم فى مرآة جلية

الفصل الثالث

فى نوادر مختلفة

كان للفارياق ارتياح غريزى من صغره لقراءة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه ولالتقاط الالفاظ الغريبة التى كان يجدها فى الكتب فان أباه كان قد أحرز كتبا عديدة فى فنون مختلفة • وكان اى الفارياق يتهافت منذ حداثته على النظم من قبل أن يتعلم شيئا مما يلزم لهذه الصنعة • فكان مرة يصيب ومرة يخطئ • مع اعتقاده ان الشعراء أفضل الناس وان الشعر أجل ما يتعاطاه الانسان . فقرأ يوما فى بعض الاخبار عن شاعر كان فى حداثته أبله مغفلا ثم صار امره الي ان نبغ فى نظم القصائد المطولة وأجاد • فما حكى عنه انه سكر يوما فقعد فى نحو ناموس (١) وجعل يخطب منه خطبة ابى العبر طرد طبك طلندى

(١) قد وهم المطران جرمانوس فرحات فى قوله فى كتابه باب الاعراب : التامور الوعاء ، والنفس والقلب ، وصومعة الراهب ، وقانون الرهبنة ، وعبارة أصله وصومعة الراهب ، وناموسه ، فتوهم ان الناموس هنا بمعنى القانون أو الشرع على ما اشتهر فى عرف النصارى ومراد صاحب القاموس المعنى الاصلى وهو القترة ، والعامة تقول : ناووس وما اشتهر عندهم فهو اما تجوز عن صاحب السرا وهو يونانى معرب

بك فك يك من البلوعة

وانه أراد يوماً أن يتسور حائطاً ليتناول من بعض الثمر فوقع فى فخ كان قد نصبه صاحب البستان للحيوانات

وانه قال يوماً لامه ان عند فلانة خادمة نظيفة غسلت اليوم باب دارها فجاء اسود يلمع .

وأنه رأى يوماً صبياً قد قلع أحد أضراسه فسار واقترض درهماً وقال للحجام اقلع ضرسى أنا أيضاً فانه غير قاطع فى الاكل ، ولعل ينبت لي فى مكانه ضرس أحدّ منه

وقيل له يوماً قد دونت عنك حكايات من حمقك كثيرة فقال بودى لو أن أحداً يقرأها عليّ لاضحك

ومرض أخوه يوماً فقال أبوه لزوجته قد أضره الطعام الذى اكله أمس ، فقال نعم قد أضره الاكل والخادمة معاً ، فقال له أبوه ما مدخل الخادمة ها هنا ، فقال لعلها أعطته ما لم يحب

ورأت أمه على ثيابه دماً فقالت له ما هذا الدم ، قال قد وقعت فجرى دمى وهو أحسن ، فقد يقال من وقع وجرى منه دم صح وتقوى

وجرح يده بسكين فرمى بها وقال هذه السكين لا تساوى شيئاً ، فقال له أبوه لو كانت كذلك لما جرحت يدك ، فقال كل انسان يجرح يده فى الدنيا سواء كان بسكين أو غيرها

وقال مرة قد رأيت فى السوق جبناً أبيض كالزفت ، وقيل له لم لا تغسل يدك قال أغسلها فتعود وسخة فى الحال ، ولست أقدر على تنظيفها لكون دمي وسخاً

ورأى ذات يوم رجالا مصلوبين فقال لامه يا أم اذا عاشت هؤلاء الرجال أيضاً أفيقدر الذين صلبوهم على صلبهم مرة أخرى

وكان قوم يسألون عن منزل شخص فقال أنا أعرف مقره . قيل

كيف عرفته ، قال قد رأيت الرجل يمشى فى السوق على رجليه

وقال يوماً من الثمانية الى التسعة يمضى الوقت أسرع من الستة الى السبعة ، وقيل له أتحب اللحم اكثر أم السمك قال أظن انى أحب هذا اكثر

وقال له أبوه اذا كنت تغيب عنا افتحسن أن تكتب لنا كتاباً ، قال نعم اكتبه واجى به أوصله اليكم

وسمع أباه يثني على خز اشتراه وكان به فرحاً ، فقال قد كانت ساعة سعيدة انكم لم تشتروه

ورأى أباه يكتب كتابا فقال له هل تستطيع يا أبت أن تقرأ ما تكتبه فقال له كيف لا وأنا الذى كتبته ، قال أما أنا فلا أستطيع

ورأى أباه يتأسف على طير فقده ، فقال له بارك الله فى الساعة التى طار فيها ، فقال له يا أحمق إنما نتأسف على فقده ، قال له ولم لم تبن له داراً قال أو يبنى للطائر دار قال انما اعنى عودين يجعلان من هنا ومن هناك

ووصف مرة حيوانات رآها فقال ورأيت أيضاً خنزيراً اكبر منى

وشكا وجعاً فى رجله فقال ليت هذى الرجل تبلى

وكان أبوه يفسر له معنى انقذ بان قال له اذا وقع أحد فى النار مثلا وذهبت وأخرجته منها فذلك هو الانقاذ ، قال ولكنه قد احترق فكيف أنقذه ، وعلى فرض انى وضعت هذا السفود فى النار ثم أخرجته منها أفيكون ذلك ايضاً انقاذاً

وفسر له يوماً آخر معنى يلوم فقال اذا أبطأ عليك شخص فى شئ وقلت له لم أبطأت لم تكاسلت فذلك يكون لوماً ، فقال وأقول له أيضاً لم كبرت لم صغرت لم قصرت

ولامته أمه على نخره عند الكلام فقال لها الا لا تلومينى ولكن لومى روحى ؛ وأراد أبوه أن يخرج فى يوم ماطر ثم عدل خوفاً من

المطر ؛ فقال لامه يا أماه من عم الله انا لم نخرج اليوم فان الهواء كان طيباً

واشترت له أمه ثوباً فلما فصلته قال لها أو يزول لون هذا الثوب قالت لا أدرى ، قال أرجو أن يزول فلعله يصير أحسن

وقالت له أوان الشتاء وهو لابس قميصاً فقط البس ثوبك فوق القميص ، فقال لها لا لانى أبرد به اكثر

ولامه أبوه على قراءته بصوت صلق فقال له لم هذا الصلق فى القرآة قال لا أقدر أن أصرخ اكثر

وخفى عليه يوماً معنى الزيارة فقالت له أمه اذا سرت اليوم الى السيدة فلانة لانظرها فقد زرتها ، قال قد فهمت أنك تسيرين اليها كي تخدعيها

وقالت له أمه أن فلانة التى كانت تحسن اليك قد ماتت فسكت ساعة ثم قال ، قد حزنت عليها كما حزنت على موت أمى ، الله يبعثها الى الجنة هى وزوجها حالاً

وقال يوما لوالده أن معلمنا اليوم قد اشترى قضيباً ليضرب به الاولاد ولكنهم يغضبونه عمداً حتى يضربهم به فينكسر فاستريح أنا أيضاً

وقال لامه وقد مرضت اذا جئناك بالطبيب ولم يشأ الله أن يشفيك فما الحاجة الى دواء

وقال لها مرة أخرى استعملى هذا الدواء فلعلك تمرضين . وأراد يوماً أن يوقد النار فقال أردت أن أطفئها فما أنطفأت

وقالت له أمه سر الى فلانة وقل لها لاى شئ تخافين من أمى انما هى بشر من بنى آدم مثلك ، فقال أقول لها تقول لك أمى لاى شئ تنفرين منها انما هى من بنى الحيوانات مثلك

وقال مرة فى شئ أعجبه تبارك الله من كل عين . وقيل له يوماً أن فلاناً يريد أن يأخذك الى مدرسته ليعلمك . فقال بعثه الله الى الجنة . قال له أبوه أتريد أن تميته . قال فكيف أقول اذاً . قال قل أماال الله

عمره . قال طوله الله

وقال لامه اتعطينني الليلة من تلك الحلواء . فقالت له ان عشنا الى الليلة . قال نحن نعيش الى غد فكيف لا نعيش الى الليل — انتهى — فطالع بذلك أحد الالبا فى بلاده وقال له قد ظهر لى ان هذا كلام أبله ما موه . أو مدله بوه . أو مسمه مسبوه . أو عمه مشدوه . أو نمه معتوه . فكيف صار بعد ذلك شاعراً . فقال له يحتمل أن كلامه هذا كان قد تعمده ليضحك به أبويه . أو أنه كان بليد البادرة ولكنه حديد الفاكرة . فان من الناس من يدهش للسؤال فلا يكاد يجيب الا خطأ . فاذا اعمل فكره فى خلوة أحسن كل الاحسان . أو أنه قصد بذلك أن يكون نبهاً مشهوراً بين الناس ولو بحماقة ورقاعة . فانا كثر الناس يحاول الشهرة باى وجه كان . فمنهم من يتعاطى الترجمة للكتب والتعليم وهو لا يدرى شيئاً . ولكنه يفرح بان يضع اسمه فى أول الكتاب . وبان يحشيه بعبارات ركيكة وأقوال سخيفة من عنده . أو بان يروى عنه فيقال قال فلان كذا وكذا ويكون قوله خطأ وهذراً . ومنهم من يتربع فى صدر المجلس بين اخوانه واقرانه ويطفق يحكي لهم حكايات عن بلاد بعيدة ويخلط كلامه ببعض الفاظ تعلمها من لغة العجم فيقول لهم مثلا صان فاصون . وپاردون موسيو . ودنكوى . وفارى ول . اشارة الى أنه أطال السياحة في بلاد فرنسا وايطاليا وانكلترة وتعلم لغاتهم وهو يجهل لغته التى نشأ عليها . ومنهم من يتخذ له عمامة كبيرة يضاهي بها بعض العلماء . فان كبر العمامة يدل على كبر الرأس . وكبر الرأس يدل على جودة العقل وصواب الرأى . ومنهم من يتكلف محاكاة لهجة ما ممن عرفوا بالفصاحة فتراه يتشدق ويجعم ويستعمل الفاظاً فى غير محلها

وبعد فلا ينبغي ان يكون الشاعر عاقلا او فيلسوفاً ، فان كثيرا

من المجانين كانوا شعرآء ، او كثيرا من الشعرآء كانوا مجانين ، وذلك كأبي العبر وبهلول وعليان وطويس ومزبد ، وقد قالت الفلاسفة ان اول الهوس الشعر واحسن الشعر ما كان عن هوس وغرام ، فان شعر العلماء المتوقرين لا يكون إلا مقرزما ، فلما سمع الفارياق ذلك زهد في الشعر ورغب عنه الى حفظ الالفاظ الغريبة ، لكنه لم يلبث ان رجع الى خلقه الاول ، وذلك ان اباه اخذه معه الى بعض القرى البعيدة ليجبي المال المضروب على سكانها الى خزنة الحاكم ، فانزله اهلها منزلا كريما ، وكان بالقرب من منزله جارية بديعة الجمال ، فجعل الفارياق على صغره ينظر اليها نظر المحب الرانى جريا على عادة الاغرار من العشاق ، من أنهم يبتدئون العشق في جاراتهم استخفافا للطلب واستشفاعا بالجارية ، كما ان عادة الجارات تهنيد جيرانهن وتغميرهم اشارة الى انه لا ينبغي البحث عن الطبيب البعيد اذا امكن التداوى عند القريب ، غير ان المحنكين في الحب يبعدون في الطلب ويرودون أنزح منتجع ، لانهم لما جعلوا دابهم وديدنهم أشباع النفس من هواها كان عندهم السعي في ذلك فرضاً واجباً ، ووجدوا في الابعاد والنصب لذة عظيمة . اذ من فتح فاه رجاء ان تتساقط الأثمار فيه لم يعد إلا مع العاجزين ، والحاصل أن الفارياق هوى جارته لأنه كان غرا . وانما هي استهوته واطمعته لكونها جارة . ولان منزلته من حيث كونه مع أبيه كانت تميل الناس اليه . غير ان مدة اقامته هنالك لم تطل ، واضطر الى الرجوع مع أبيه وقد بقى كلفاً بالجارية . فلما حان الفراق بكي وتحسر وتنفس الصعداء ونخزه الوجد لان ينظم قصيدة يعبر بها عن غرامه ، فقال من جملة أبيات

افارقها على رغم وانى اغادر عندها والله روحى

وهي اشبه بنفس شعراء عصره الذين يقسمون ايمانا مغلظة بأنهم قد عافوا الطعام والشراب شوقا وغراماً ، وسهروا الليالى الطويلة وجدا

وهياماً ، وانهم ناسمون وقـد ماتوا وكفنوا وحنطوا ودفنوا ، وهم عنـد ذلك يتلهون بأى لهوة كانت ، ثم انه لما اطلع ابوه على تلك الابيات الغراقية قال لامه عليها ونهاه عن النظم ، فكانما كان قد أغراه به ، فان من طبع الاولاد فى الغالب الخلاف لما يريده منهم اباؤهم ، ثم انه فصل من تلك القرية حزيناً كئيباً متيما مفتوناً .

الفصل الرابع

فى شرور وطنبور

قد كان ابو الفارياق آخـذا فى أمور ضيقة المصادر غير مأمونة العواقب والمصاير، لما فيها من القاء البغضة بين الرؤس ، وشغب أهل البلاد ما بين رئيس ومرؤوس ، فقد كان ذا ضلع مع حزب من مشايخ الدروز مشهور بالنجدة والبسالة والكرم ، غير انهم كانوا صفر الايدى والاكياس والصندوق والصوان والهميان والبيوت ، ولا يخفى ان الدنيا لما كان شكلها كرويا كانت لا تميل الى احـد إلا استمالها بالمدور مثلها وهو الدينار ، فلا يكاد يتمّ فيها امر بدونه ، فالسيف والقلم قاعدان فى خدمته ، والعلم والحسن حاشدان الى طاعته ، ومن كان ذا بسطة فى الجسم وفضل فى المناقب فلا يفيده طوله وطوله بغير الدينار شيئاً ، وهو على صغر حجمه يغلب ما كان كبيراً ثقيلا من الاوطار ولبانات النفس ، فالوجوه المدوّرة المدنرة خاضعة له أيان برز ، والقدود الطويلة منقادة اليه كيفما دار ، والجباه العريضة الصليتة مكبة عليه ، والصدور الواسعة تضيق لفقده ، فأما ما يقال من ان الدروز هم من ذوى الكسل والتوانى وانهم لا ذمّة لهم ولا ذِمام فالحقّ خلاف ذلك ، أما وسمهم بالكسل فأحرى أن يكون ذلك مدحاً لهم ؛ فانه ناشئ عن القناعة والنزاهة والزهد ، غير أن الصفات الحميدة التى يتنافس فيها الناس متى جاوزت الحـد قليلا التبست بنقيضها . فالافراط فى الحلم مثلا يلتبس بالضعف وفى الكرم يلتبس بالتبذير ، وفى الشجاعة بالتهور والمخاطرة لا بل الافراط فى العبادة والتدين يلتبس بالهوس والخبال .

هـذا ولما كانت الدروز مفرطين فى القناعة لا ترى من بينهم

احدا يقتحم القفار يخوض البحار فى طلب الازاء (١) وفى التأنق فى الملبوس والمطعوم ، ولا من يسف للامور الخسيسة ويدنق فيها ، أو من يباشر الصنائع الشاقة ، ظن فيهم الكسل والتوانى ، ومعلوم انه كلما كثر شره الانسان ونهمه ، كثر نصبه وكدّه وهمه ، فالتجار من الافرنج على ثروتهم وغناهم اشق من فلاحى بلادنا ، فترى التاجر منهم يقوم على قدميه من الصباح الى الساعة العاشرة ليلا ، واما أن الدروز لا عهد لهم ولا ذمة فانما هو محض افتراء وبهتان ، اذ لم يعرف عنهم انهم عاهدوا بشئ ثم نكثوا به من دون أن يحسوا من المعاهد اليه غدرا ، أو ان أميرا منهم أو شيخاً رأى امرأة جاره النصراني تغتسل يوماً فأعجبته بضاضتها وبتيلتها وبوصها ، فبعث اليها من تملق لها أو غصبها ، وأنت خبير بأن كثيرا من النصارى عائشون فى ظلهم ، ومستأمنون في حماهم ، وانهم لو خيروا أن يتركوا مستأمنهم هذا ليكونوا تحت أمن مشايخ النصارى لابوا ، وعندي ان من كان يرعى حرمة الجار فى حرمته كان خليقاً بكل خير ، ولم يكن ليخونه فى غيرها فاما ما جرى من التحزّب والتألب بين طوائف الدروز وغيرهم فانما هي امور سياسية لاتعلق لها بالدين ، فبعض الناس يريد هذا الامير حاكما عليهم وبعضهم يريد غيره ، وكان أبو الفارياق ممن يحاول خلع الامير الذى كان وقتئذ والياً سياسة الجبل ، فانحاز الى أعدائه وهم من ذوى قرابته فجرت بينهم مهاوش ومناوش غير مرة ، وآل الامر بعدها الى خذل اعداء الامير ، ففروا الى دمشق ياتمسون النجدة من وزيرها [illegible] ، وفى تلك الليلة التى فروا فيها هجمت جنود الامير على دار الفارياق ، ففر مع امه الى دار حصينة بالقرب منها وهي

---

(١) الازاء هو سبب العيش أو ما سبب من رغده .

لبعض الامراء ، فنهب الناهبون ما وجدوا فى بيته من فضة وآنية ومن
جملة ذلك طنبور كان يعزف به أوقات الفراغ ، فلما أن سكنت تلك
الزعازع رجع الفارياق مع امه الى البيت فوجداه قاعاً صفصفاً ، ثم رد
الطنبور عليه بعد أيام ، فان من نهبه لم يجد فى حمله منفعة ولم يقــدر
أن يبيعه اذ العازفون بآلات الطرب فى تلك البلادقليلون جداً ، فأعطاه
لقسيس تلك القرية كفّارة عما نهب ، فرده القسيس على الفارياق ،
وكأني بمعترض هنا يقول ما فائدة هذا الخبر البارد ، قلت أن وجود
الطنابير فى الجبل عزيز جــداً كما ذكرنا . فان صنعة الالحان والعزف
بالملاهى يسم صاحبهما بالشين ، لما فى ذلك من التطريب والتصبي
والتشويق ، والقوم هناك يغلون فى الدين ، ويحــذرون من كل ما يلذ
الحواس ، ولذلك لا يشاءون أن يتعلموا الغناء والعزف باحدى آلات
الطرب ، أو يستعملوها فى معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخهم الافرنج
خشية ان يفضى بهم ذلك الى الالحاد ، فعندهم ان كل فن من الفنون
اللطيفة كالشعر والايقاع مثلا والتصوير مكروه ، ولـكن لو انهم سمعوا
ما يتغنى به فى كنائس مشايخهم المذكورين من الموشحات ، أو ما يعزف
به على الارغن من اللحون التى ولع الناس بها فى الملاعب والمراقص
ومحال القهوة استجلابا للرجال والنساء ، لما راوا فى الطنبور اثما . فان
الطنبور بالنسبة الى الارغن كالغصن من الشجرة أو كالفخذ من الجسم
اذ لا يسمع منه إلا طنطنة وفى الارغن طنطنة ودندنة وخنخنة ودمدمة
وصلصلة ودربلة وجلجلة وقلقلة وزقزقــة ووقوقــة وبقبقة وفقفقة
وطقطقة ودقدقة وقعقعة وفرقعــة وشخشخــة وخشخشة وجرجرة
وغرغرة وخرخرة وقرقرة وبربرة وطبطبة ودبدبة وكهكهة وقهقهــة
وبعبع وبعبعة وزمزمه وهمهمــه وحمحمه وغطغطمة وتاتاة وداداة
وضاضآء ويايآء وقاقآء وصهصلق وجلنباق وغطيط وجخيف وخيخ

وحفيف ونشيش ورنين وتقيق وطنين وعجيج وازيز ودوي وخرير وازيز وهرير وصريف وصرير وشخب وصيئ ومواء وغاق غاق وغق غق وطاق طاق وشيب شيب ومئ مئ وطيخ طيخ وقيق قيق وخازباز وخاق باق ، فاين هـذا كله هداك الله من طن طن ، فان قيل ان الرغبة عن العزف به انما هو لكونه يشبه الالية ، قيل فما بال النساء يدخلن الكنائس وعلى رؤسهن هذه القرون الفضة وهى تشبه فنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره ، وفنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره تشبه كذا وكذا ، فقد تبين لك ان اعتراضك غير وارد ، وان ذكر الطنبور كان في محله ، فان أبيت إلا العناد وتصديت لان تخطئنى وتتعقبنى بزلة قلم وبغير زلة ، ورمت أن تبدى للناس براعتك فى الانتقاد علىّ فانى امسك عن اتمام هذا الكتاب ، ولعمري لو انك علمت سبب شروعى فيه وهو التنفيس عن كربك وتسلية خاطرك لما فتحت فاك علىّ بالملامة فى شئ فقابل الاحسان اصلحك الله بالاحسان واصبر على حتى أفرغ من غزل قصتى وبعد ذلك فاذن عن لخاطرك أن تلقى بكتابى فى النار أو الماء فافعل

ولنعد الآن الى الفارياق فنقول انه أقام مع والدته فى البيت يتعاطى النساخة ، وانه لم يلبث ان ورد عليه نعى والده فى دمشق ، فتفطر قلبه لهذا الفجع وودّ لو بقى الطنبور عند ناهبه ، وكانت أمه تنفرد فى كل صباح وتندب زوجها وتتحسر عليه وتذرف المدامع لفقده ، فانها كانت من الصالحات المتحببات لازواجهن عن خلوص وداد وصدق وفاء ، وكانت تظن ان ابنها لا يراها فى انفرادها حتى لا يزيد حزنها برؤيتها اياه يبكى لبكائها ، لكن الفارياق كان ينظرها فى خلوتها ويبكي لوحشتها ووحدتها أشد البكاء ، فاذا رجعت كفكف عبراته وتشاغل بالكتابة أو بغيرها ، ومذ ذلك الوقت عرف انه لا ملجأ له بعد الله غير كده

فعكف على النساخة ، غير ان هذه الحرفة مذ خلق الله القلم لا تكفى المحترف بها ولا سيما فى بلاد لوقع قرشها طنين ورنين ، ولرؤية دينارها تكبير وتعويذ الا أن ذلك جوّد من خطه ورقق من فهمه .

الفصل الخامس

فى قسيس وكيس وتحليس وتلبيس

من قرأ آخر الفصل المتقدم ثم أتاه خادمه يدعوه للعشاء فترك الكتاب وقام يستقبل الكاس والطاس والقدح والكوب مما اختلفت أشكاله وتفاوتت مقاديره ، ثم اقبلت عليه اخوانه يسامرونه فمنهم من قال له انى ضربت اليوم جاريتى ونزلت بها الي السوق على عزم أن أبيعها ولو بنصف ثمنها ، وذلك لانها أجابت سيدتها جواباً سخيفاً ، ومنهم من قال له وانا أيضاً ضربت ابنى أشد الضرب لانى رأيته يلعب مع أولاد الجيران ثم حبسته فى الكنيف وهو باق الى الآن فيه ، وبعضهم قال وأنا أيضاً حرّجت اليوم على زوجتى بان تطلعنى على جميع مايخطر ببالها ويخلج صدرها من الافكار والهواجس . وبما تحلم أيضاً فى الليل من الاحلام التى تنشأ عن امتلاء الدماغ من بخار الطعام . أو من دخان الغرام قبل النيام ، وقلت لها ان لم تخبرينى باليقين احضرت لك الى القسيس فيكفرك ويحظر عليك ثم يستخرج منك كل ما تكتمين وتضمرين . ويطلع على كل ما تسترين وتخفين وتصونين . وعلى ما تحذرين منه وتحرصين عليه وترتاحين له وتميلين اليه وتكلفين به

وقـد خرجت من داري غضبان متنمراً وحزمت بأن لا أصالحها إلا اذا كانت تقص عليّ أحـلامها . وبعضهم قال ان مصيبتي فى بنتي اعظم وذلك انها بعد أن تمشطت اليوم وتعصبت وتعطرت وتطيبت وتطوست وتبرقشت وتزينت وتبرجت وتزيغت وتضرجت وتزخفت وتزوجت وتشوفت وتسرجت وتدقشت وترقشت وتزهنعت وبرقت وتحفلت وتزوقت وتقينت وتزلقت وتزبرقت وتألقت جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتني فرجعت الى موضعها . وأوهمتني انها تخيط هناك بعض ملبوس لها ، فكانت كلما غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين ، فقمت اليها مستشيطاً غيظاً وجبذتها بشعرها الذي مشطته وضفرته وعقصته فطلع بيدي منه خصلة وهاهي معي ، وهيهات ان تنتهي عن غيها ولو نتفت شعرها كله ، فانها كالمهرة الجامحة بغير عنان ، لا يردّها لـكم بالاكف ولا ضرب بعيدان ، نعم ان من ملأ أعصاله بالوان الطعام ، وأذنيه بمثل هذا الـكلام ، فلا بد وأن يكون قد نسي ما جرى على الفارياق من الوقوع الحسي والمعنوي ومن فجعه بنعي أبيه . ومن اقباله على نسخ الـكتب واكتسابه من ذلك جودة الخط فمن ثم اضطررت الى الاعادة ، وأزيد هنا أن أقول .

انه لما شاعت براعته فى النسخ أرسل اليه من اسمه علي وزان بعير يبعر يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحـدث فى زمانه ، وليس الغرض من ذلك افادة أحـد من العالمين ، وانما كان امساكاً للحوادث من ان تتفلت من مدار الايام ، أو تنفك من سلسلة الاحوال ، فان كثيراً من الناس يرون ان احضار الماضي وجعله حالا منظوراً من الأمور العظيمة ، ولذلك كانت الافرنج حراصاً على تقييد كل مايقع عندهم . كخروج عجوز من بيتها صباحا وعودها اليه فى الساعة العاشرة وهي تقود كلباً لها ، والريح عاصفة والمطر واكف لايفوت اقلامهم ،

ولا يعدو خواطرهم ، ففى مقدمة ديوان لامرتين أعظم شعراء الفرنساويين الموجودين فى عصرنا هذا وهو الديوان الذى سماه (التأمل الشعرى) ماترجمته : وكانت العرب يدخنون التبغ فى قصبات لهم طويلة وهم ساكتون وينظرون الى الدخان متصاعداً كأعمدة زرقاء لطيفة الى ان يضمحل فى الهواء اضمحلالا يشوق الرآى ، والهوآء اذ ذاك شفاف لطيف ، الى أن قال : ثم ان صحبى من العرب جعلوا الشعير فى مخال من شعر المعزى ووضعوها فى أعناق الخيل وهى حول خيمتى ، وأرجلها مربوطة فى حلق من حديد وهى غير متحركه ، ورؤسها مخفوضة الى الارض مطللة بنواصيها الشعثة ، وشعرها أشهب براق يخرج منه دخان تحت أشعة الشمس الحامية ، وكانت الرجال قد اجتمعت تحت ظل زيتونة من أعظم مايكون ، وفرشوا تحتهم على الارض حصيرا شاميا وأخذوا فى الحديث والحكايات عن البادية وهم يدخنون التبغ ، وينشدون أشعار عنتر وهو من شعراء العرب الذين اشتهروا بالحماسة والرعاية (أى رعاية البهائم) والبلاغة وقد بلغت أشعاره منهم مبلغ التنباك فى الاركيلة . وحين كان يرد عليهم من الابيات مايؤثر فى حتهم أكثر كانوا يرفعون أيديهم الى اذانهم ويطرقون برؤسهم ويصرخون تارة بعد تارة الله الله ، الى أن قال فى وصف امرأة رآها تبكى عند قبر زوجها ، وكان شعرها مسدلا من عند رأسها ملتفا عليها ومماسا للارض ، وكان صدرها مكشوفا كله على ماجرت به العادة عند نساء تلك البلاد من بلاد العرب ، وحين كانت تتطاطأ للثم صورة العمامة على رجام القبر أو تصغى اذنها اليه كان ثدياها البارزان يمسان الارض ويرسمان فى التراب شكلهما كالقالب ، اه صفحة ٢٤ وسائر هذه المقدمة على هذا النمط مع انه سماها مقدور الشعر ، أى ماقدره الله تعالى على الشعر والشعرآء ؛ وفى رحلة شاطوبريان الى اميريكا وهو ايضاً من أعظم شعراء عصره

ماصورته : وكان منزل رئيس الدول المتحدة عبارة عن دار صغيرة مبنية على اسلوب الانكليز فى البناء ؛ من دون خفرة عندها من العسكر ولا حشم داخلها ؛ فلما قرعت الباب فتحت لي جارية صغيرة فسألتها هل الجنرال فى البيت ؛ فأجابت نعم . فقلت ان عندى رسالة أريد أن أبلغه اياها ؛ فسألتنى عن اسمى وصعب عليها حفظه فقالت لي بصوت منخفض ادخل ياسيدى ، (واورد هذه العبارة باللغة الانكليزية وهى (Walk in sir) تنبيها على معرفته لها) ثم مشت أمامى فى ممشى طويل كالدهليز ، ثم دخلت بى الى مقصورة وأشارت اليّ ان أجلس فيها منتظرا الخ صفحة ٢٥ ، وفى موضع آخر ، انه رأى بقرة عجفاء ، لامرأة من هند اميركا ، فقال لها وهو راث لحالها مابال هذه البقرة عجفاء ، فقالت له انها تأكل قليلا ، واورد هذه العبارة ايضاً باللغة الانكليزية وهى (She eats very little) وفي موضع آخر ذكر انه كان يرى كسف السحاب بعضها في شكل حيوان وبعضها في شكل جبل أو شجرة وما أشبه ذلك ، فاذا قد عرفت هذا فاعلم ان اعتراضك على فى ايراد ماهو غير مفيد لك لكنه مفيد لي لا يكون الا تعنتا ، فان هذين الشاعرين كتبا ما كتباه ولم يخشيا لومة لائم ولم يعترض عليهما أحد من جنسهما ، وقد اشتهر فضلهما وصيتهما حتى ان مولانا السلطان أدام الله دولته أقطع لامرتين فى أرض ازمير اقطاعات عظيمة ، ولم يسمع عن ملك من ملوك الافرنج انه أقطع شاعراً عربيا أو فارسيا أو تركيا مقدار جريب واحد فى أرض عامرة ، ولا غامرة ، فاما كون وزان بعير ببعر قد حاكى الافرنج في تاريخه وهو عربى وأبواه ايضاً عربيان وعمه وعمته كذلك عربيان ، فما لم اتيقنه الى الآن ، ولعلى أعلمه بعد انجاز هذا الكتاب فأخبر به القارىء ان شاء الله ، وانما أرجو انه أى القارىء لا يقطع قرأته لجهله سبب هذه المحاكاة وان يكن العلم به مهماً ؛ ودونك مثالا مما

كان يكتبه الفارياق فى اساطير بعير بيعر ، في هذا اليوم وهو الحادى عشر من شهر اذار سنة ١٨١٨ قصٌ فلان ابن فلانة بنت فلانة ذنب حصانه الأشهب بعد ان كان طويلا يكنس الأرض ، وفى ذلك اليوم بعينه ركبه فكبابه . فان قلت ماسبب النسبة الى الام دون الاب ، قلت ان بعير بيعر كان من المتدينين المتورعين المتقين ، فنسبة الولد الى أمه أصح وأصدق من نسبته الى أبيه ، فان الام لاتكون الا واحدة بخلاف الاب ، ولكون الجنين لايمكنه الخروج الا من مخرج واحد ؛ ومن ذلك ، اليوم نظرت سفينة في البحر ماخرة فظن أنها بارجة قدمت من أحد مراسي فرنسا لتحرير أهل البلاد ؛ لكنه عند التحقيق ظهر انها انما كانت زورقا مشحونا ببراميل فارغة ، وكان سبب قدومه للاستقاء من عين كذا ، فان قيل ان هذا خلاف المعهود ؛ فان من شأن الكبيرة ان يبدو للعين عن بعد صغيرا لاعسكه ؛ قيل ان الانسان اذا أعطى نفسه هواها رأى الشيء بخلاف ماهو عليه ؛ فمن أحب مثلا امرأة قصيرة لم يرها قصراً ؛ ومن خلا بمحبوبته في فترة رآها أوسع من صرح بلقيس ؛ وبعد فانا نرى النور الصغير عن بعد كبير ؛ فلاغرو ان يبدو الزورق بارجة أو شونة ؛ فان القوم هناك مازالوا يحلمون بأن رؤسهم قد تبرطلت ببراطل الفرنساوية ولحوا عرضهم بعرضهم حتى يروا نساآهم كما قال الشاعر

تصيد ظباآ وناالاسد الضوارى بلحظ أو بلفظ فى المسالك

وغزلان الفرنج تصيد ايضا بذين معا وبالايدى كذلك

وكان بعير بيعر ستهما جعظراً أحرقه ؛ لكنه كان حليما يحب السلم والدعة ، وكان من التغفل على جانب عظيم فكان مفوضا أموره المغاشية الى رجل لئيم شرس الاخلاق عيده به كبر وعنجهية وعجرفة وتغجس وغطرسة . وكان تمضي عليه الساعة والساعتان وهو لايبدي ولايعيد .

فيظن الغرانه معمل فكره فى تدبير الدول . أو تلخيص النحل . فقد جرت العادة بأن الرجل اذا كان ذا منزلة رفيعة فان كان عييا مفحماعد رزينا وقورا . وان يك مهذاراً عد فصيحاً . فاما اموره المعادية فانها كانت تعلو وتسفل وتضوى وتجزل وتفتق وترتق بتدبير قسيس ذى دعابة وفكاهة وبشاشة وهشاشة . قصير سمين . أبيض بدين • وكان هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكنا لا يباريه فيه النسيم • والقى عصاه عنداحدى بناته وكانت ذات وجه وسيم • ومنطق رخيم • وكانت تزوجت برجل قد جن وتخبل فخلته وجنونه واعتصمت بعقوة أبيها فكان القسيس آمراً عليها مطاعاً • ناهيا وزاعا • فكانت كلما دخل فيها شيء أو خرج منها شيء تطالعه به لانها كانت ممن قفط قطرى الدين والدنيا معاً • وكانت تعترف له بجرائرها فى الخلوة • وهو يسالها عن كل زلة وهفوه • فيقول لها هل تتذبذب الياك ويترجرج ثدياك عند صعودك الدرج أو عند المشي • وهل يحدث فيك هذا الارتجاج من لذة • فقد ورد في بعض الاخبار ان بعض الجلامطه كان يرتاح الى أى ارتجاج كان • حتى كان كثيرا مايتمنى ان تتزلزل الارض من تحته • وتمور الجبال من فوقه • وهل يمثل لك فى الحلم ضجيع يكافحك • وخليع يصافحك اذ لافرق عند الله بين اليقظه والمنام • وان أعظم الحقائق انما بني على الاحلام • وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتهيت أن تكوني خنثى • أى ذكرا وأنثى • لا لاذكر ولا انثى كماتقول العامه فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربانيين الراتين ، وغير ذلك من المسائل التى يضيق عن تفصيلها هذا الفصل ، وكان أبوها لا يسيء به الظن لما تقرر عنده من أن كل من لبس السواد فهو من الفاطمين اهوآهم عن اللذات ، الخاصين انفسهم عن الشهوات ، حتى انه نظر يوما فى بعض الكتب هذا البيت وهو

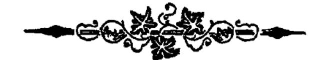
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها   أفاويق حتى ما تدر لنا ثعل

فظن انه تعريض بهم وتلميح فأمر باحراقه فأحرق وذرى رماده ورأى يوماً آخر بيتين فى كتاب آخر وهما

ما بال عينى لا ترى من بين من   لبس السواد من العباد نحيفا
ماكان من لحم وشئ غيره   فيهن فاصلب ما يكون وقوفا

فأمر أيضاً باحراق الكتاب ، وبعث جواسيس فى البلد يتجسسون عن مؤلفه وتودى فى الروابى والوهاد ، ألا من دل على مؤلف كتاب كذا فانه يجزى أحسن الجزاء ، ويرقى الى رتبة سنية ، فلما سمع المؤلف بذلك اضطر الى الاختفاء مدة حتى نسى اسمه ، فان قلت ان هذا الفعل خلاف ما وصفته به من الحلم ، قلت ان عادة اهل تلك البلاد ان الحلم يكون محموداً في كل شئ إلا فى أمرين حرمة العرض وحرمة الدين فان الاخ ليبسل اخاه الي الهلكة من اجلهما ، ثم أن الفارياق أقام عند هذا الحليم مدة لم يحصل فيها على طائل ، وكانت نفسه عزيزة عليه فلم يرد ان يسأله ، فمن ثم جمع ذات ليلة حطباً وتبناً كثيراً واطلق فيهما النار فانبعث اللهيب نحو مقصورة بعير بيعر ، فظن ان النار قد سرت فى قصره ، فاستوشى القيام والقعود فاقبلوا يتسابقون الى موضع النار فرؤا عندها الفارياق يزيدها من الحطب الجزل ، فسألوه عن ذلك فقال ان هذه النار من بعض النيران التى تنوب عن اللسان ، وان لم يكن لها صورة لسان ، ومن فوائدها انها تنبه الغافلين ، وتنذر الباخلين . أن وراءها لقولا شديداً . ولسانا حديداً ، فقالوا ويحك انما هى من بدعك أو يكلم أحد بالنار ، لقد سمعنا ان الانسان يكلم غيره ببوق أو بقرع عصا أو باشارة أصبع أو بغمز عين أو برمز حاجب أو برفع يد من عند الابط . فأما بالنار فبدعة وضلال . وكادوا أن يبدعوه ويكفروه وينسبوه الى التمجس ويطرحوه النار لولا أن قال قائل منهم . ردو

الجواب على مرسلكم . ولا تفعلوا شيئاً عن تهوّك . فلما اخبروه بما رأوا وسمعوا . استرآه واستنطقه عن ذاك الاجيج . فقال اصلح الله المولى . وزاده فضلا وطولا . قد كان لى كيس لا ينفنى ولا أنفعه . وللاكياس ولما جاء على وزنها ورويها عادة مخالفة لسائر العادات . وهى انها اذا خفت ثقلت . واذا ثقلت خفت . فلما خف كيسى فى جوارك السعيد أى ثقل أحرقته بهذه النار . وانما جعلتها عظيمة هكذا لانى كنت أتوهمه كرضوى فى جيبى . حتى أنه كثيراً ما منعنى عن النهوض والخروج لحاجة مهمة . فلما سمع قوله ضحك من خرافته ورضخ له من كفه الجامدة شيئاً يقابل ما كتبه له الفارياق فى أسفاره فى الخساسة فاقبل يخنبش الى بيته وآلى أن لا يكتب شيئاً بعد ذلك إلا ما طاب موقعه . وجل نفعه . رجاء أن تكون الاجرة على قدر العمل . وهيهات فان أكثر الناس تفهاً وشغلا . اقلهم اجراً وجعلا . ومن لم يحسن إلا التوقيع أحلّ . المحل الرفيع . ولقمت يده وقدمه كما يلقم الثدى الرضيع .



الفصل السادس

فى طعام والتهام

بينما كان الفارياق رأسه ورجلاه فى البيت كان فكره يصعد فى الجبال ويرتقى التلال . ويتسور الجدران . ويتسنم القصور ويهبط الاودية والغيران ويرتطم فى الاوحال . ويخوض البحار . ويجوب القفار . اذ كان أقصى مراده أن يرى منزلا غير منزله . وناساً غير أهله. وهو أول عثاء الانسان فى حياته . فعن له أن يزور اخا له كان كاتباً عند بعض أعيان الدروز . فسار وحقائبه الامانى . فلما اجتمع به ورأى ما كان عليه القوم من الخشونة والتقشف ومن الاحوال المغايرة لطباعه . انكر بعضها ووطن نفسه على تحمل البعض الآخر ، ولم يشأ وشك الرجوع من دون تقصي معرفتهم ، ولو كان رشيداً لصرف نفسه عن هواها من أول يوم، اذ ليس من المحتمل أن أهل مدينة أو قرية يغيرون أخلاقهم وما ربوا عليه لاجل غريب دخل فيهم ، ولا سيما اذا كانوا شياظمة ذوى بسطة وباس • وكان هو قميئاً • ولكن الانسان كلما قل شغله كثر فضوله • فلا يكتفى بمجرد ما يسمع باذنه حتى يرى بعينه وكان الفارياق كلما زاد بهؤلاء القوم خبرة ونقداً زاد اعراضاً عنهم وزهداً • لانهم كانوا غلاظ الطباع • بهم جفاء وافظاع • وسخى الوساد والملبوس ملازمى الضعف والبوس • وأقذرهم كان طباخ الامير فان قميصه كان انتن من الممحاة • وقدميه اقلتا من الوسخ مالا تكاد تقشطه عنه المسحاة • وكانوا اذا قعدوا للطعام سمعت لهم زمزمة وهمهمة وقعقعة وطعطعة فخلتهم وحوشاً على جيفة يثرملون ويرهطون وينهسون ويتمرقون

ويتمششون ويتلمظون ويتمطقون ويلوسون ويلطعون ويتنطعون وكل ذلك في فرشطة خفيفة فكنت ترى في جبهة كل منهم مضمون ما قيل من لفلف لم يتقصف . فاذا قاموا رأيت الرز مزروعا في لحاهم والوضر متقاطرا من كساهم . فكان الفارياق اذا آكلهم قام جوعانا . ومعت عليه امعآؤه في الليل فبات سهرانا . فكان يقول لأخيه عجباً لمي يعاشر هؤلاء الناس . من الاكياس . ما الفرق بينهم وبين البهائم . سوى باللحى والعمائم لاجرم انهم عائشون في الدنيا لسد بصائرهم وأفكارهم . ولفتح أفواههم وأدبارهم . لايكاد أحد منهم يظن ان الله تعالى خلق بشراً الا وكان دونه . ومايدرون ان الانسان ليس له بمجرد النطق فضل على العجماوات ومزية على الجمادات . فان الكلام انما هو مادة لصورة المعاني . ولا تنفع المادة وحدها اذا لم تحل فيها الصورة التي هي الوجود الثاني . وقد يقال أن الرقين . تغطى أفن الأفين . وهؤلاء قد حرموا من العقل والنعمة . ورضوا من الكون كله بالنسمة . كيف أطيق أن أعاشر هؤلاء الهمج . وفضلك بين الناس قد بلج . فقال له أخوه ان كثيراً ليحسدونني على مكانتي عند الأمير . واني لكيد حسادي أصبر على العسير كما قيل

وكم اشياء يحسبها اناس لفاعلها نعيما وهي بؤس

ولولا ان يكيد بها حسودا لانكر ذكرها وبه عبوس

وفضلا عن ذلك فان القوم ذوو نخوة ومروءة . وشهامة وفتوة . وهم وان يكونوا سيئي الأدب على الطعام . فهم متادبون في الفعال والكلام لا ينطقون بالخنى . ولايعرف بينهم لواط ولازنا . غيران الفارياق كان يرى الأدب كله في المأدبة . وكأنه كان قد تخرج على بعض الافرنج أو كان [illegible] . فمن ثم استدعى بقريحته على هجوهم فلبته . و[illegible] . فنظم فيهم قصيدة بين فيها سوء

حالهم . وخشونة بالهم من جملتها

في ثغـر كل منهم سكينة وسلاحه الماضى فأين المطعم

ثم عرضها على أخيه وكان مشهوداً له بالأدب . وعلم لغة العرب . فاستحسنها منه على صغر سنه . وأعجب ببراعة فنه . ثم لم يلبث ان اشتهر أمرها . وشاع ذكرها . وذلك لأن أخاه من شدة اعجابه بها تلاها على كثير من معارفه فبلغها بعض الحساد . الى أمير الناد . وكان هذا المبلغ نصرانياً فان الحسد لا يكون الا عند النصارى . مع ان كثيراً ممن تليت عليهم من الدروز كانوا داخلين في عداد المهجوين . فلما سمع الامير بذلك استآء جداً وقال لأخيه . تالله لقد جاء أخوك أمراً فريا . كيف يهجونا وهو ضيفنا وقد أنزلناه منزلا كريما . وسقنا اليه رزقا عميما . لعمر الله لئن لم يتدارك هجوه بقصيدة مدح لأغيظنه . وكان هـذا الأمير متصفا بصفات العرب فى الفروسة والنجده . وفى شراء الحمد جهده . غير انه كان يكل الأمور الى المقدور . ولا يهمه ترتيب حاله . والنظر فى مآله . ثم خشى من ان يكون هذا الوعيد ادعى الى زيادة الهجو اذا فصل عنه الفارياق وهو مغيظ . فرأى ان الاغضاء . أجلب للارضآء . وان التملق • أوفق للتلفق . فمن ثم سارّ صديقا له من علمآء ملته • وفضلاء نحلته • ان يصنع مأدبة ويدعوه اليها والفارياق وأخاه • فلما جمعهم النادى • وجيء بالحلوآء على أطباق كالهوادى • أقسم الأمير قائلا والله لا أذوقن من هذا شيا أو ينظم ابو دلامة يعنى الفارياق بيتى مديح ارتجالا • فابتدر وقال بديها

قد كاد طبع أبى دلامة انه يهجو لأن الهجو وفق جنانه

لكنما هذا الخبيص نهاه اذ مزجت حـلاوته بمر لسـانه

فجن الحاضرون استحسانا لهما • حتى ان الأمير لم يتمالك ان صافح الفارياق وقبله بين عينيه فانعقدت بذلك الموادعة ورجع كل راضيا •

وقفل صاحبنا الى بيته • وآلى ان لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنب أحد من كبراء الناس • وان يسد أذنيه عن صوت صيتهم وان غلب على الاجراس •

الفصل السابع •

فى حمار نهاق وسفر واخفاق

ثم لبث الفارياق يتعاطى حرفته الاولى ومل منها ملل العليل من الفراش • وكان له صديق صدوق يراقب أحواله • فاجتمع به مرة وخاضا في حديث افضى الى ذكر المعاش • والتظاهر بين الناس بأحسن الرياش • فقر رأى كل منهما على ان الانسان في عصرهما لا يعد انسانا بفضله ومزيته • بل ببزته وزينته • وان الناس المولودين من الخز والحرير والقطن والكتان المعلقين في اوتاد حوانيت التجار أعظم قدرا من الناس الماشين العارين عنها • وان المرء اذا كان ضيق الصدر والرأس بحيث يكون واسع السراويلات واللباس • كان هو النبيه الآفق المشار اليه بالبنان • المحمود بكل لسان • فأجمعا رأيهما على أن يستبضعا بضاعة ويقصد ترويجها في بعض بلاد استطلاعا لحال أهلها وتفرجا من كرب بالهما • فاكتريا حمارا لحمل البضاعة وهو لا يستطيع حمل جثته من الهزال و[illegible] عن علاوته • ولم يكن قد بقى فيه شئ شديد سوى [illegible] الاستعلاف • ولسانى لمن ينحسه أو يأتى عليه [illegible] على قامة الآمال • ويقدران

بساط الفوز على ندحة الاجال • فما بلغاطيتهما الا والحمار على شفا جرف هار من رمقه • والفارياق ايضاً زاهق الروح من تعبه وقلقه • نادم على ترك القلم الضئيل • معما كان ينفث به من الرزق القليل • ويومئذ عرف عاقبة الجشع • وتبعة الرثع • وظهر له سفاه رأيه في الشراهة الى مايوجب نصب الابدان • وبلبال الجنان • غير ان اللبيب من استخرج من كل مضرة منفعة • ومن كل مفسدة مصلحة • حتى ان في فقد الصحة لنفعاً لمن رشد • وخيراً لمن قصد • إذ العليل وهو ممدود على وسادة تقصر نفسه عن التمادى في فساده • وفى شهواته المنكره واهوائه الموبقة • فتقوى بصيرته والمرض ناهكه • ويملك سداده والالم مالكه • ويرضى الله والناس بما هو سالكه • وهكذا كانت حال الفارياق • بعد مقاساته تلك المشاق • فانه لما أحس بضنك السفر • ولقى منه مالقى من الضرر تبين له ان شق القلم أوسع من حقائب البياعه وان سواد المداد أبهى من ألوان البضاعه • وان في ترويج السلعة لمعرة دونها معرة الغدة والسلعة فجزم بأنه عند الاياب الى وطنه • يرضى بلين العيش وخشنه • ولا يبالي ان لم يكن ذا شارة رائعة • أو طلالة رافعة • أو معيشة واسعة • بحيث لايجوب امصارا • ولا يتلو حمارا • اما وصف الحمار على أسلوبنا معاشر العرب فانه كان زبونا بليدا • حرونا عنيدا • تارزا قديدا • لا يكاد يخطو الا بالهراوه • واذا رأى نقطة ماء في الارض ظنها بحراً ذا طفاوه • فأجفل منها اجفال النعام • ووجل كما يوجل من الحمام • واما على الطريقة الافرنجية فانه كان حمارا ولد حمار وامه اتان من جيل كلهم حمير • وكان لونه يضرب الى السواد • ومس شعره كمس القتاد • مصلم الاذنين ولا نشاط • اعسم الرجلين بادى الامعاط • ادرم افوه • أدلم افره • يفركح في إسه • ويرفس عند نخسه . ويكرف ويتمرغ ويشغ ويدغ • لاتحيك فيه العصا • ولا يعمل فيه الزجر اذا عصى • ولا يحرك الا اذا أحد

بالعلف وان يكن زؤانا . ولا تظهر فيه الحيوانية الا اذا رأى اتانا . فيريك ح سموها واستنانا . ونشاطا وصميانا . حتى كثيرا ما كان يقلب حمله . ويفسد عدله . وفيه خلة اخرى وهي انه كان دائم الاحداث على قلة اعمال ضرسه ، مواصل الفقق فى النجوة والخفض زيادة على نحسه . فان منشأه كان فى بلاد يكثر فيها الكرنب والفجل والسلجم . واللفت والقرنبيط كبعض بلاد العجم . فلهذا اعتاد على اخراج هذه الرائحة من صغره . وزادت فيه بازدياد عمره . فكان لابد للماشي خلفه من سد انفه . والاكثار من أفه . وفى كلا الوصفين فان رفقة هـذا البهيم . لم تكن أقل اذى من السفر الاليم . وانه بعد جولان عدة قرى . ليس فيها من مأوى ولا قرى . وبعد مجادلات مع الشارين طويلة . ومحاولات ومصاولات وبيلة . قنع الفارياق وشريكه من الغنيمة بالاياب . ورضيا بالقفاء والعود الى المآب . وعلما أن البئر الفارغة لاتمتلئ من الندى ، وان التعب فى تجارتهما يذهب سدى ، فتسببا في بيع البضاعة بقيمتها ؛ كيلا يشمت بهما من ينظرهما راجعين بعاهيتها . وباتا تلك الليـلة خاليي البال . من القيل والقال . فان من الناس من لايعجبه شراء شيء الا بعد تقليبه . وبعد تحميق بائعه وتكذيبه . فلابد للبائع من ان يكون عن مثل هؤلاء متصامامتغافلا . متعاميا متساهلا . وتلك خلة لم تكن في الفارياق ولا في ... حبه فان كلا منهما كان يحاول استمالة الكون الى جانبه . ثم انهما رجعا بثمن البضاعة وبالحمار وسلما المال لصاحبه . فعرض عليهما سلعة أخرى ... . وتواعدا أن يجتمعا مرة أخرى للشركة فى مصلحة أهم ... أن تكون فى البيع والشراء

و... ... العدة بين الناس بأنه اذا تعاطى أحد عملا ولم ينجح به ... . فى معاطاته مرة أخرى . إذ ليس أحد يرضى ... ... وانما بنسب حرفه فيما احترف به الى

بعض عوارض وطوارئ حدثت له . فيقول في نفسه لعل هذه العوارض لا تقع هذه المرة . وعلة ذلك كله اعتماد الانسان على رشد نفسه . وثقته بسعيه والركون الى حدسه . وقد تهور في ذلك كثير من الخلق . وأكثرهم جنى على نفسه في التهافت على الرزق

الفصل الثامن

في خانه وأخوانه وخوانه

ثم انه بعد مذاكرة طويلة بين الفارياق وصاحبه قر رأيهما على ان يستأجرا خانا على طريق مدينة الكعيكات ، حيث ترد القافلة منها الى مدينة الركاكات ، فاستبضعا ما يلزم لهما من الميرة والادوات ولبثا فيه يبيعان ويشتريان بما تيسر لهما من رأس المال وذنبه ، فلم تمض عليهما برهة وجيزة حتى انتشر صيتهما عند الواردين والصادرين . وعرف رشدهما جميع المسافرين ، فكان الناس يقصدونهما لاقتصادهما ، وكثيرا ما انتاب خانهما أهل الفضل والبراعة ، والوجاهة والاستطاعة حتى كأنه كان حديقة يتفرج فيها المكروب ، وعادة أهل ذلك الصقع انهم لا يكادون يجتمعون في محل الا ويتنازعون كأس البحث والمناظرة . ويخوضون في أمور الدنيا والآخرة . فان أثبت أحد شيئاً نفاه لآخر وان استحسنه استهجنه وزعم أنه من المنكر . فيتحزب القوم احزابا قددا ، ويمتلئ المكان صخباً ولددا . وربما انتهى البحث الى التفاخر بالنسب ، والتكاثر بالحسب ، فيقول أحدهم مثلا لقرينه . أنرد على وأبي نديم الامير وسميره واكيله وشريبه وجليسه وأنيسه وخصيصه

ونجيه . لا يقضى ليلة من الليالى الا ويستدعي به لمسامرته ، ولا يحكم بشيء إلا بعد مشاورته : وقد عرف أهلى من قديم الزمان بانهم سفراء البلاد ، ونواميس الامجاد ، وما أحد من الناس ماجدهم ولا شارفهم ولا كاثرهم ولا فاخرهم ولا فاضلهم إلا وعاد ممجودا ومشروفا ومكثوراً ومفخورا ومفضولا : وربما أعلت بعد ذلك الهراوات ، وقامت مقام البينات ، فيتنمر منهم من لم يكن يتنمر ، ويعربد من سكر ومن لم يسكر ، فينتهى الامر الى أمير الصقع ، فيبعث عليهم مصادرين ذوى صقع ، وويل لمن يكون قد ذكر اسم الامير وقت الجدال ، فان عفوه حينئذ من المحال : هذا فى الحوادث العظيمة فان المتعدى اذا فر من القصاص أخذ بذنبه احد أهله أو جيرانه ، أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجره وأحرق منزله ، غير أن زمرتنا هذه لم تكن تتعدى حد الجدال الى القتل . فان الفارياق وصاحبه كانا يقومان فيهم مقام فيصل ، فمن هذه الحيثية كثرت الوفود عليهما ، وكثيراً ما بات عندهما اصحاب العيال والرح عليهم دائرة ، والاغانى متواترة ، والوجوه ناضرة ، والعمائم متطايرة . فكان ذلك داعياً الى خصام النساء مع بعولتهن . ومن طبع

من هؤلاء الاصناف الثلاثة يتمنون ذلك فى بعض الاحوال. أما للافتخار باجراء العدل والانصاف فى رعيتهم أو لعلة أخرى

ومن طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور . فترى المرأة منهن متزوجة كانت أو ثيبة تجلس الى جانب الرجل وتأخذ بيده . وتلقى يدها على كتفه وتسند رأسها على صدره وتبسم له وتؤانسه فى الحديث . وتتحفه ببعض ماتصل اليه يدها . كل ذلك عن صفاء نيـة وخلوص مودة . وأحسن ما يرى فيهن بلاهة والغرية فانهما فى النساء خير من النكر والدهاء . هذا اذا كان فى غير ما يشين العرض وينتهك الحرمة. فأما فى وقت الجد فلا تصح البلاهة . هذا ولما كان من دأبهن أن يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن اثدآهن من صغرهن بشىء . كان أكثرهن هضلاأى ذوات اثداء طويلة. وأكثرهن يعتقد أن فى طول رضاع الولد زيادة صحة له . فمنهن من ترضع ولدها عامين تامين . ومنهن من تزيد على ذلك . فأما محبتهن لاولادهن ورفقهن بهم وشوقهن اليهم فيجل عن الوصف . وأعرف كثيرا من البنات كن يبكين يوم زواجهن على فراق أبائهن وأمهاتهن واخوتهن كما يبكي غيرهن فى المأتم أو أشـد . فأما ما يقـال من ان البعولة يأكلون وحدهم دون نسائهم فـكلام لا أصل له . وانما يكون ذلك اذا كان عنـد الرجـل ضـيف غريب حتى لو أراد حينئذ أن تقعد امرأته مع الضيف لتأكل معه لأبت ورأت أن ذلك يكون استخفافاً بهـا وانتهاكا لحرمتها . وفى الجملة فانهن لا يعبن بشىء الا بالجهـل وهن فى ذلك معـذورات . فأما الجاهلات من الافرنج فهن يضفن الى الجهل مكرا وخبثا . وناهيك بذلك منسبة . و فى ليحزننى جداً أن أسمع أن هؤلاء المحبوبات قد ملن من هذه الفضائل وتخلقن باخلاق أخرى . فيجب على والحالة هـذه أن أغير ما وصفتهن به من

المحامد أو ان آذن للقارئ في أن يكتب على الحاشية كذب كذب أو هذين البيتين

ان النساء حيثما كن سوى يملن من حيث أتاهن الهوى
لا يغررن الغر منهن تقى ولا هدى ولا نهي ولا حيا

أو هذين

سر مضرب الارض في طول وفي عرض تر النساء يبعن العرض كالعرض
بالرجل يصفقن عند البيع لا بيد وكل قاض على تسجيله يمضي

أو هذين

واذا رأيت من الخرائد غادة تبدو وتخفى فارجون وصالها
واذا دعتك لحاجة عنت لها لتكون قاضيها فرج مبا .....

أو ما قاله دعبل

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

واعلم أن البلاد التي يجر فيها بعرض النساء بغير مانع الا بعكس عليه فيين يدفع لبيت المال لبناء معابد وغيرها دون اعتبار لقول من قال أطعمة الايتام الخ يقل فيها التغزل بهن . فان الرجل هناك ايان حضر ببياله ان رؤية الوجه الصابيح تنفي همه وتزيل بلباله . وتخفف [illegible] . وتنفس عنه كربه وتجلو صدا قلبه وتصفى دمه . خرج فوجد [illegible] تنتظره وراء الباب . فلا يحتاج عند ذلك الى شكوى وعتاب [illegible] . وال قوله * أرق على أرق ومثلي يارق . وكفى بجسمي نحولا [illegible] . وذات وحدا وغراماً ونحو ذلك . فأما البلاد التي يخطر [illegible] عند [illegible] فتجد الكلام في النساء متجاوزا به وراء الحد . ولذلك [illegible] شعر الاف لاقدمين من المجون ماتجده في كتب العرب : [illegible] كانت وقتئذ ممنوعة . فلما كثرت قل

عندهم المجون . أما في الجبل فانك لا تجد لهم بياعة ولا مجونا وحكي عن الفارياق انه هو واحدة من أولئك اللائي كن يترددن عليه ولم يكن يحظى منها الا بلثم أخمصها فكان اذا أصبح يقول لصاحبه

ان المقبل رجلها ليجل عن تقبيل راحة قسه وأميره
من الفواتن للخلى فشعرة منهن خير من كنوز غروره

الفصل التاسع

فى محاورات خانية . ومنافشات هانية

لا بأس في أن تذكر هنا متالا لما كان يقع بين تلك الزمرة من المحاورات فنقول . اجتمعت زمرتنا هذه مرة والكاس تدار عليهم والسرور يرقص بين يديهم . فقال أفصحهم مقالا . والدهم جدالا . اى الناس فيما علمتم أنعم بالا . وأحسن حالا . فقال من بيده الكاس هو من كان على مثل هذه الحالة . وفى راحته ذى الآلة . فقال له ليس ذلك على الاطلاق . ولم يقع عليه اتفاق . فان هذه الحالة لا يمكن كونها دائمة . فتكون غبطتها غير تامة . وانما هي بعض من كل . وجزء من جل وبقى النظر في الباقي . ولا خفا ان مداومة المدام . تورث السقام وتقهي عن الطعام . ولذلك سميت القهوة ولا يعتادها الا انسان الاحلت به الشقوة . فقال آخر إن أنعم الناس بالا أمير يجلس على أريكته . ونحفه جماعة من حشمنه وحفدته . يأتيه رزقه رغدا . ويكفيه رازقه فى المعيشة جهدا فاذا أوى الى حريمه حلا بأزهر امرأة على أوطأ فراش . فصدق فيه قولهم . أعجب الاشياء وثر على ور هذا وان كان المرازمة وببه

الناعمة . . وأمره مطاع . وحكمه مقابل بالاتباع . فقال بعضهم ليس الامر كذلك وما الحق فيما هنالك . فان الامير لا يخلو بامرأته الاوهو مشغول الخاطر . مكدر السرائر . اذ لا يزال يفكر فى كونه مخوناً بعماله مغشوشاً من عماله . يأكل رهطه رزقه ويذمونه . ويأتمنهم فيخونونا ويعطيهم فيبخلونه . وهو مع ذلك مرصود منهم فيما يفعله . منتقد عليه بما يتعمله . وانه ليود السفر ولا يتاح له . ويتمنى رؤية غير بلاده ولا يدرك أمله . فهو يحسد من يمشى فى الارض سبهللا . ويغبط من يعتسف الطريق ضللا . فقام بعض النقاد . وقال سمعاً يا أهل الرشاد . ان أسعد خلق الله راهب لزم كتابه فى صومعته . وتفرغ عن الشغل بعقاره وضيعته . فهو يأكل من أرزاق الناس . ويعوضهم عنهم دعاء يطفح من أصمار الكأس . ويغنيهم فى الدياجى عن النبراس ويركب ما لديهم من النحائب . فهو كما قيل آكل شارب راكب . ثم ما عليه بعد ذلك ان خرب الكون أو عمر وان مات الخلق أو نشر

فقال بعض ذوى الرشاد ما هذا القول من السداد . فان الراهب وأمثاله اذا رأى الناس مقبلين على أعمالهم . مشتغلين بأشغالهم . لم يرض الدناءة لنفسه أن يعيش من كدهم . ويستريح على تعبهم وجهدهم . ويتحين أوان رفدهم . بل يود لو كان شريكا لهم فى أتعابهم . أحرى من أن يكون شريكا فى مصوناتهم . هذا اذا كان نزيه النفس . كريم القانس صادق السعي . ضابط الوعى . ثم ان له عند رؤية الرجال مع نسائهم وأولادهم لغصات . وحسرات وأى حسرات . ولا سيما اذا خلا فى الصومعة . ورأى ان سمنه ذاهب سدى من غير منفعة . وان غيره ممن أضواهم الكد والنصب . وأجاعهم الجهد والتعب . أقدر منه على بلوغ الارب . مما اصطلح عليه سائر خلق الله من عجم وعرب . فقال من استصوب مقاله . وارتاح لما قاله . هذا لعمرى هو الحق المبين .

فان الراهب ومن أشبهه حرىّ بأن يعدّ مع الشقيين . وانما يظهر لي ان أسعد الناس عيشا هو التاجر يقعد فى حانوته بعض ساعات من يومه . فيكسب بأيمانه المغلظة فى ساعة واحدة ماينفقه فى شهره . يجعل الكاسد من سلعته بتكرير كلامه نافقا . والمكروه شائقا . والدون فائقا . ثم هو ان أوى الى منزله ليلا . أصاب فى خدمته دعد وليلى . فهو فى نهاره كساب للمال . وفي ليلته منفقه على ربات الحجال . فقال من انتقد كلامه . وتبين ذامه . ان التاجر لاتمكن له هذه العيشة الراضية . ولا تهنؤه هذه النعمة الوافية . الا اذا كان قازباذا معاملات في البلاد القاصية . وركوب للاخطار . واقتحام للاوطار . ومتى كان كذلك نقص من رغده . وافر تجشمه وكدّه . ونغص من لذّاته . تعدد بغياته . وملأ خاطره أشجانا . ماحاوله ليرضى به زبونا واخوانا . فكلما هبت ريح خشى على سلعته فى البحر . وكلما جشر صبح أوجس من ورود قادم يخبره بشر أو مالكة تنبي عن تلف وخسر . وكساد وحظر . فهو لايزال في أعمال نظر . وتجرع أسف وكدر . فقال بعض السامعين . انك لمن الصادقين . أما أنا فلا أودّ ان أكون ذا اتجار . ولو ربحت في كل يوم مئة دينار . لما يعقب هذه الحرفة من القيل والقال . والتكذيب والمحال . والمحاولة والمكر . والمداهاة والنكر . فضلا عن اقتصارى فى الحانوت ربع عمرى . ولا علم لي بما يجرى فى وكرى . فلعل رقيباً يخالفنى الى دارى . وانا اذ ذاك أكذب على الشارى وأمارى . وأجامل وأدارى . ففى عنقى حبل الاثم بما أفعل فى محترفى . وبكونى صرت وسيلة لارتكاب الحرام فى مألفى . وانما أظن ان أحق الناس بأن يغبط على عيشته . ويبارك له في حرفته ومهنته . انما هو الحارث الذى يسعى لنفع نفسه ولغيره فيما يحرثه . فيكسب به صحة بدنه ومؤنة عياله وذلك خير مايبرثه . وان زوجه تراوحه على عمله . وترفق به فى عسره

وعطله . ان مرض مرضته بنفسها وقامت بأمر مربعه . وان غاب رعت له ذمّة وباتت تنتظر وشك مرجعه . هـذا والتعب يستطيب طعامه . ويستحلى نيامه . الا ترى ان أولاد ذوى السعي والكدّ . أصح أبدانا وأذكى فهما من أولاد ذوى الترفه والجـدّ . وما ذلك الا لأنهم يرقدون عن نعاس ويأكلون عن جوع ويشربون عن ظمأ . فأجابه أقرب من وليه . انك فيما قلت لنظرا . فانك لم ترَ الصورة الا من جهة واحـدة وفاتتك الجهة الاخرى . فلعمرى ان الحارث مع كدّ بدنه . أسير همه وشجنه . وضجيع قلقه وحزنه . اذ هو عبد العناصر . ورقيق الحوادث والاكابر . ان عصفت ريح خشى على ثمره ان يتساقط فيسقط قلبه معه ، وان كثر المطر أو قل وجل من أن يتلف مازرعه . وان مات كبير فى بلده . أشفق من كساد ماتحت يده وان يكن ذا بصيرة وحجى . ساءه مايرى أهله فيه من العرى والوَجى . والذل والاستكانة ، والابتئاس والمهانة ، وتحسرهم على الطيب من المأكول ، والناعم من الملبوس ، وعلى كونه لايحسن تربية ولده كما يشا ، ولا يمكنه رؤية بلد غير الذى فيـه نشا ، فهو مهده وقبره ، وسجنه وجحره ، ومع ذلك فهو غرض لاغراض أمامه فى الدين ، وعصا يتوكأ عليها من هو فوقه من المثرين ، والسائدين والمسيطرين ، فمايكاد يتخلص من ورطة أحدهما الا ويقع فى شرك الآخر . ولا يفوته شرّ الا واستقبله شر أكبر . وهو مع إصره وجهله ، لايجد مخاصاً له ولا لأهله ، ولو أنه رام أن ينهج لاهله منهجا ارتضاه لنفسه واستصوبه ؛ ولم يك على وفق مرام أمامه وأميره أو آخرذى مرتبة ؛ لم يامن غرامة منهما أو حسم عرتبة ، أو قصم رقبة ، ولم يلبث ان يرى أصحابه له اعداء ، واخدانه الدّاء ، فهو على هذا رهين الخضوع ، وأسير القنوع ، فقال قرين له ، وقد صدق على مافصله ، نعم ان هذا لهو الحق الواضح ، وما بعد الرقّ ذل فاضح

وانى أري بعد امعان النظر والتروى ، والتحقق والتحرى ، ان أسعد الناس حالا ، رجل رزقه الله مالا ، وأصلح له بالا ، فجعل دأبه السفر فى البلاد الغربيه ، والمشاهدة للكائنات العجيبة ، فهو كل يوم فى شان ، وله فى كل معان ، أوطان واخوان • فقال قائل قد استوعب فحوى مقاله • واعتقد ماذهب اليه انه من فنده وضلاله • لقد زغت قصدا • ولم تقل رشدا • وليس المتعرض للسفر • بلوعناء وخطر • اذ كثيراً مايمنيه بأمراض شديدة • تغيير الهواء عليه والاحوال غير المعهودة • واضطراره أن يطعم مايعافه • ويشرب مابه ادنافه • فيكون آكلا لما يأكل بدنه • ويذهب وسنه • هذه الافرنج تأتى الى بلادنا فينغصهم عدم وجود الخنزير فيها • وخلوها عن السلاحف والارانب وما يضاهيها • اذ يزعمون أنهم يخلطون شحم الخنزير ودمه فى كل صبة وحسو وحلواء • ويتخذون من لحم السلاحف مرقابه شفاء من كل داء • ويعيبون علينا ان لبنا غير ضيح ولاممذوق • وخبزنا مملوح وطعامنا غير مزعوق • وان ماءنا غير ممزوج بالجير • وخمرنا غير مصوغة بالعقاقير • وانا نذبح الحيوانات ذبحاونا كل لحمها غريضا • وهم يخنقونها خنقا ويأكلونه دائما انيضا • وان جونا غير ذى دجن • ومطرنا غير دائم الهتن • وان سماءنا غير محلسة • وأرضنا غير مطلى وجهها بالرجيع والروث وسائر الاشياء المنجسة • فبقولنا غير مسيخة • وأثمارنا غير مليخة • وان شتانا لايدوم ثلثى العام • وصيفنا لا يسمع فيه رعد ذو ارزام • فاذا جاء أحدهم الى بلادنا ليتعلم لغتنا ومكث بين اظهرنا عشر سنين • ثم رجع وهو فيها من أجهل الجاهلين • أحال الذنب على الهوا • فقال انه منى منه بالحمى والجوى • أو بالاسهال المفرط • والسعال المقنط • هذا وان من جهل لسان قوم وهو فيهم • لم يمكنه ان يعرف عاداتهم وأخلاقهم واستوى عنده ظاهرهم وخافيهم • فيرى

عندهم مايرى دون علم • ويسمع مايسمع من غير فهم • فلم يكن لذى السياحة بدّ من اتخاذ ترجمان • واعتماده عليه فى كل خطب وشان • ولا يلبث ان يسيء به الظن • ويرى ان له عليه المنّ • ولو أنه حاول ان يستغنى عنه لفاته معرفة الاحوال • وبات بين القوم ذا وحشة وبلبال• وربما حن الى رؤية أهله • والاجتماع بشمله فأدنفه الحنين • وأضناه بين الخدين • وانما يطيب السفر ما اذا اتفق انسان مع ندّله نوىّ • وصديق نجيّ • وكانا عارفين بلغات كثيرة • وقلوبهما خالية من علاقة الحب بالقلب والبصيرة • وهيهات ان يتفق اثنان على رأى واحد • وان تم لذة من دون مانع جاهد • وهم حاصد • فقال أقل الحاضرين رشدا وفضلا • وأكثرهم هزلا • ياقوم • انى قائل قولا ولا لوم • ان أسعد الناس واحظاهم • واترفهم وارضاهم • البغي الجميلة التى تفتح بابها لقاصدها • وتبيح نفسها لمراودها • فانها تغتنم انس زائرها وماله • وتنيله بجبها حتى يرى ذله فيها عزّاً له • ومتى تمكنت من نفر يبذلون لها العين • ويكفونها مؤنة الاطيبين • فلا تحتاج بعدها الى البحث عن مراود فى المسالك • والتعرض للمكاره والمهالك • فاذا هي شاخت وجدت مما ادخرته فى صبائها ماتنفق منه عن سعة • وما تكفر به عن سيئاتها السالفة فتعيش فى دعة • ويثنى عليها الناس بالتوبة الناصحة • والمعيشة الواسعة • والانسان مطبوع على النسيان • لايبالى الا بما هو كائن لا بما كان • ولا سيما اذا كان الحاضر يجدى نفعاً جزيلا • ويسراً مأمولا • وكفى بائمة الدين اذا نالوا منها العطايا الوافرة • والصلات المتواترة • ان ينشروا عليها أحسن الثنا • ويبرؤها من كل فحش وخنى • فانها منهم على كل صلة صلوات • وعلى كل دعوة دعوات • فمن ماراني فى ذلك فليسأل قرينته • ويكظم ضغينته • ريثما أقيم له على ذلك البراهين • ممن غبر وبقى من العالمين • فلما سمعت الجماعة دعواه •

ولحنت مغزاه . ضحكوا من هذيانه • ورأوا ان الجواب على بهتانه • على طريقة الجدال انما هو من وضع الشيء فى غير صوانه • فأضربوا عنه صفحا • وقالوا له قبحا لرأيك وشقحا • فلوكان أهل صقع على رأيك لفسدت الارض • وبار العرض ولم يبق من الصلاح أثر ولا برض • وانما اللوم على الكاس التي ذهبت بلبك • وكشفت عن فساد مذهبك • وقبح إربك • ولعلك تهتدى الى الرشاد اذا افقت من خمارك • وتبين لك فظاعة هترك واستهتارك • فرأى ان السكوت له أسلم عاقبة من المحاورة والمجاوبة • والمناقرة والمغاضبة • وان الجمهور يغلب الفرد • وان كانوا على ضلال وكان هو على هدًى وقصد • فاستف تفنيدهم • وخشى وعيدهم • وتفرقوا ولم يجعلوا رأيهم على أى الناس اسعد • وأى عيش ارغد • اذ رأوا دون كل حرفة نغصا • ومع كل حالة غنصا • وفى كل أكلة مغصا • وقد فاتهم من أحوال الناس كثير مما ضاق وقتهم عن ذكره • كما ضاق هذا الفصل عن احصاء كل ما أوردوه وعن حصره • فقف على هذا القدر الذى ذكرته • وسر معي الى استئناف قصة من غادرته • وعليكم السلام •

الفصل العاشر

فى اغضاب شوافى وانشاب براثن

السجع للمؤلف كالرجل من خشب للماشي فينبغي لي ان لا اتوكأ عليه فى جميع طرق التعبير لئلا تضيق بي مذاهبه . أو يرميني فى ورطة لامناص لي منها . ولقد رأيت ان كلفة السجع أشق من كلفة النظم . فانه لايشترط في أبيات القصيدة من الارتباط والمناسبة مايشترط فى الفقر المسجعة . وكثيرا ماترى الساجع قد دارت به القافيــة عن طريقه التى سلك فيها حتى تبلغه الى مالم يكن يرتضيه لو كان غير متقيد بها . والغرض هنا ان نغزل قصتنا على وجه سائغ لأى قارئ كان . ومن أحب ان يسمع الكلام كله مسجعاً مقفى ومرشحا بالاستعارات ومحسنا بالكنايات فعليه بمقامات الحريرى أو بالنوابغ للزمخشرى .

فنقول ان صاحبنا الفارياق بعد اقامتــه مدة على الحالة التى ذكرناها . جرى بينه وبين جده من النزاع والمناقشات ما أوجب عليه ترك ما كان فيــه واقتفاء طريق آخر من طرق المعاش . فتاح له ان يكون معلما لاحدى بنات الامراء وكانت ذات طلعــة بهية . وشمائل مرضية . تامة الظرف . ناعسة الطرف . ولكن ليس المراد بذلك انها كانت لاتبصر من يحبها كما يكون من به نعاس . وانما المعنى انها ذابلته . حتى ولا هذه العبارة مفصحة بما أريد ان أقوله . فانها توهم انها كانت ذابلة مع انها كانت غضة بضة . بل المقصود ان نقول انها كانت كأنها تنظر عن تحشيف . ولكن مادة حشف لاتعجبنى . فان فيها معاني اليبوسة والخساسة والرداءة وشئ آخر تجل الملاح عن ذكره . بل المراد انها كانت تكسر جفنيها عند النظر . ولا الكسر ايضاً لائق بها . فلا أدرى كيف .

لاحن للقارئ ما أردت . ولعل الأوفق ان يقال انها كانت ترمى بسهام عن عينها . ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها . فان القلب يعلق بهوى الصغيرة الجدّاء . كما يعلق بهوى الكبيرة الوطباء . اذ ليس كل عشق مؤديا الى الدعارة . فقد عشق الناس الرسوم والاطلال والآثار . والاشكال والديار . ومنهم من عشق لرؤيته كفا مخضبا أو أو عقيصة شعر أو ثوبا أو سراويلات أو تكة ونحو ذلك . وأعرف من أحب هرة امرأة فكان يلاعبها ويخيل له الغرام انه ملاعب صاحبتها . وكثيراً ما كانت تنشب فيه اظفارها وتدميه . وهو يستعذب ذلك ويستحليه . اما لاستعذاب العذاب فى هوى المحبوب . أو لاعتقاده ان مداعبة النساء ايضاً لاتخلو من خدش وادماء . فكون الجرح منهن اصالة أو وكالة انما هو شيء واحد . وقد سئل أحد العشاق عن مبلغ الوجد منه فقال كنت أرتاح للريح اذا مرّت على نتن مقبلة من صوب المحبوب . هذا وان عشق أهل تلك البلاد أكثره على هذا النمط . أى ان العاشق منهم يكلف بأثر من محبوبه كمنديل أو زهرة أو رسالة وخصوصا بنصة شعر فيشمه ويضمه ويقبله ويعانقه كما قيل :

الشعر مثل الشعر داعية الهوى — والشعر مثل الشعر ذخر يذخر
من غاب عنك فلست تنظره سوى — بالشعر أو بالشعر وهو الأكثر

فان قيل انهم انما اعشقوا ذلك طمعا فى وصال الحبيب الذى تفضل بهذه النعم لا كلفا بها من حيث هى هى . قلت ما المانع من ان تعشق الصغيرة طمعا فى أن تصير كبيرة * ما أضيق العيش لولا فسحة الامل . ورب أمل أحلى من فوز . وقد علم أهل الدراية أن من حرمه الله من الجمال لغاية لا يعلمها الا هو عوّضه عنه زيادة قصاص له بحدة الفكر والبصيرة وشدة التصور والتخيل ودقة الحدْس فيكون أسرع الى العشق وأكثر حرصاً على أهل الجمال . اذ الانسان كلما بعد عن الشيء

المقصود كان توقانه اليه أكثر وتولعه به أشد . والمراد من ذلك كله أن نقول ان الفارياق كان يعلم من صغره انه بمعزل عن الجمال . وانه من صبائه كان يعظم أهله ويميزهن على غيرهنّ وان القبيح معذور على عشق المليح كما قال الشاعر .

وقالوا ياقبيح الوجه تهوى   مليحا دونه السمر الرقاق
فقلت وهل أنا الا أديب   فكيف يفوتنى هذا الطباق

قالوا أو أقول انا عنهم . وقد يكون عشق الصغير كبيرا كما يكون عشق الكبير صغيرا . فان الصغير لما كان غير ذى رشد يرده عن الاسترسال والتمادى فى هواه كان هذا الاسترسال معقبا للجموح دون حد . الا ترى ان الصغير اذا ولع بشيء من اللعب واللهو فانه يتهتك فيه وينهمك غاية مايكون . فكيف به اذا جنح الى شيء هو أقوى من كل مايستميل الطبع ويشوق النفس . نعم ان الكبير يقدر منافع مايقصده من معشوقه أكثر من الصغير ولذلك يكون حرصه عليه أبلغ وطلبه له أكثر . غير ان عزّة نفسه وسورة طباعه ونهيته قد تمنعه من ان يسلم عنان مشيئته للهوى . فيكون فى طريق ميله وتوقانه تارة مقدماً رجلا وتارة موخرا أخرى . والصغير متى ما استرسل استسهل .

وبعد فقد نذرت على نفسى ان أكتب كتابا . وان أودعه كل ما راق لخاطرى من القول سديدا كان أو غير سديد. فانى اعتقدت ان غير السديد عندى قد يكون عند غيرى سديدا كما تحقق لدى عكسه . فان شئت فاذعن أولا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف . والحاصل ان الفارياق لبث يعلم سيدته الصغيرة وجعل من دأبه ان يتوددّ اليها باغضاء النظر على اصلاح غلطها . بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال يجوز ردها فتأخرت هي فى العلم وتقدم هو فى الهوس . فما قال فيها .

بروحى من أعلمه وقلبى   أسير هواه لن يسطيع صبرا
اغار عليه وجداً من حروف   يفوه بها فتلثم منه ثغرا

والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الباء الفارسية والفاء الافرنجية والا لزادت غيرة صاحبنا وربما كان ذلك سببا فى جنونه • فان الغيرة والجنون يخرجان من مخرج واحد كما أفاده المشايخ الراسخون فى الزواج • وهنا دقيقة وهى ان بعض العتاول جمع عتول وهو من لاخير عنده للنساء يستثقل المؤنث فى الغزل والنسيب فيجعله مذكرا وبعضهم يضمره • وعليه قول الفارياق اعلمه • والظاهر ان المقدر في ذلك لفظة شخص • فياليت هذا الحرف كان فى لغتنا مونثا كما هو فى الفرنساوية والطليانية حتى لا يجد الناسب محيداً عن التأنيث • فاما تعليم نساء بلادنا القراءة والكتابة فعندى انه محمدة بشرط استعماله على شروطه • وهو مطالعة الكتب التى تهذب الاخلاق وتحسن الاملاء • فان المرأة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكايد واختراع الحيل كما سيأتى ذكر ذلك • ولا باس للمتزوجات بقراءة كتابى هذا وأمثاله • لانه كما ان من الوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى الوان الكلام • والظاهر ان اللغة العربية شرك للهوى اذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المصبية مالا يوجد فى غيرها • فمن قرأت مثلا فى شرح المشارق لابن مالك ان مراتب العشق ثمانية أدناها الاستحسان وينشأ عن النظر والسماع ثم يقوى بالتفكر فيصير مودّة وهي الميل للمحبوب (أى المحبوبة) ثم يقوى فيصير محبة وهى ائتلاف الارواح • ثم يقوى فيصير خلة وهى تمكن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما السرائر • ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلون ولا يدخله تغير • ثم يقوى فيصير عشقا وهو الافراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق (أى المعشوقة) • وانه يقوى فيصير تتيما وفي هذه الحالة لا ترضى نفسه

سوى صورة معشوقه (أى معشوقته) . ثم يقوى فيصير ولها وهو الخروج عن الحد حتى لايدرى مايقول ولا أين يذهب وحينئذ تعجز الاطباء عن مداواته .

قلت وان مل انواعه ايضاً الصبابة وهى رقة الهوى والشوق . والغرام وهو الحب المستاسر . والهيام وهو الجنون من العشق . والجوى . وهو الهوى الباطن والشوق وهو نزاع النفس . والتوقان وهو بمعناه . والوجدوهو مايجده المحب من هوى المحبوب (اى المحبوبة) والكلف وهو الولوع . والشغف وهواصابة الحب الشغاف اى غلاف القلب او حجابه او حبته او سويداءه . والشعف وهو ان يغشى الحب شعفه القلب وهو رأسه عند معلق النياط منه . والشعف وهو بمعناه . والتدليه وهوذهاب الفواد عشقا . لم تمالك ان تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال . بخلاف لغات العجم فانها لايوجد فيها الا لفظة واحدة بمعنى المحبة يطلقونها على الخالق والمخلوق . وقد يظهر لي ان كثيرا من الصفات المحمودة فى الرجال تكون مذمومة فى النساء كالكرم مثلا فان كرم الرجل يغطى جميع عيوبه وهو مذموم فى المراة . وقس على ذلك النكر والدها والاطراء والفروسة والشجاعة والحماسة والصلابة والخشونة والهمة الى المراتب السامية والأمور الشاقة والاسفار البعيدة والنيات النائية والمطامع المتعذرة وغير ذلك . والعلة فى ذلك كون المرأة تميل بالطبع الى الشطط ومجاوزة الحد . ودليله فى من تميل الى العبادة والنسك فانها لا تقف فى ذلك على امد بل تمادى فيه حتى تتهوس وتخبل فتدعى المعجزات والكرامات وتعمد الى الروى والاحلام وتخيل لها ان ملكا يناجيها . وهاتفا يناغيها . وانها تقيم بدعائها الاموات . وتحيي الرفات . وربما قتلت أولادها على صغر ابتغاء دخولهم الجنة بغير حساب أو ولدت توأمين فادّعت انهما من غير أب .

وفى من مالت الى الهوى فانها تترك أباها وأمها اللذين ولداها وربياها وتقبل تجرى فى اثر رجل لاتعرف من صفاته شيئاًسوى كونه ذكرا • فكل ماكلفت به المرأة كانت فيه أكثر تماديا من الرجل • فكلفهن بالقرآة لا أدرى أين يكون مصيره • والحامل لها على هذا الغلو والشطط انما هو معرفتها من نفسها انها أقوى على اللذات من الرجل . فزيادة اطاقتها لذلك زادت في تماديها فيه • ومنه سرى فى غيره من الأطوار والشؤون والأحوال الطارئة وفى بعض الغريزية ايضا • وذلك كالكلام والضحك والسبح والحركه • وما قلّ منه فيها فى بعض الأحوال فانك تراه زائدا في البعض الآخر زيادة فوق القياس • ولعل كلامى هذا يسوء النساء اذا سمعن به وهن بين الرجال • لكنى أعلم عين اليقين انهن يضحكن له فى اكمامهنّ استحسانا وتعجبا • حتى كأنى بهن يحسبن أنى عشت برهة من الدهر امرأة حتى أمكن لى معرفة سرائرهن ثم مسخنى الله تبارك وتعالى رجلا • أو انى علمت ذلك من هند وسعاد وزينب وميّة حين كنت اشبب بهن وأنا فتى وأكذب عليهن بقولى لهن انى حرمت الكرى • وأجريت على نواهن عِبرَا • وانى قد فتن لبى • وفارقنى قلبي • لاجرم انه لم يفارقنى قط • ولو فارقني مرة لما رجع اليّ ابداً • لانى طالما أدخلت عليه هموما وأحزانا لم تكن لتهم أحدا من الناس فى بلادى • اذ كنت أحزن لتعصي معنى من المعانى علىّ وأحاول اختراع شيء من البديع لم يكن أحد سبقنى اليه • ظانا أنه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التى يزهى بها الكون عصرنا هذا فلم يتهيا لى فكنت أبيت الليل فى يأس وكرب • معاذ الله لم تكلمنى وما كلمت هندا وانما عرفت ماعرفت من الاحلام الصادقة اذ كنت أبيت وأنا مخلص لله الانابة والقنوت • فان لم يصدقنى فليبتن ليلة أو ليلتين تائبات قانتات مثلى وأنا ضامن لهن انه يهبط عليهن من الاحلام الصادقة ما يوقفهن على أمور الرجال •

الفصل الحادى عشر

في الطويل العريض

فلنرجع الآن الى الفارياق فانه هو ايضاً رجع الى حرفته وهى النساخة وان كان ذلك على غير مراده • واتفق اذ ذاك ان فتيين من امرآء ذلك الصقع أرادا أن يقرآ النحو على بعض النحاة وكان الفارياق يحضر الدرس وهو مكبٌ على النسخ • وكان أحد التلميذين بطيئاً عن الفهم سريعا الى الجواب • يتثاءب ويتمطى • ويغرض ويحطا • ويتناعس ويتقاعس • ويتفاسأ ويتعاطس • واذا خيل له أنه فهم مسئلة حك تحت أبطه • وشم رائحتها وكرف ثم تمطق كما يتمطق من اقطه • ثم عربد من افتتانه وسلق من وليه بلسانه • وقال الا قبحا لذوى الخواطر البليدة • والفطن البعيدة • كيف لا يتعلم الناس كلهم فن النحو • وهو أسهل من حك ماتحت الحقو • أما والله لو كانت العلوم كلها مثله • لما غادرت منها كبيراً ولا صغيراً الا واستوعبته كله • لكنى سمعت أن النحو انما هو مفتاح للعلوم ولا يعد منها فلابد وأن يكون غيره أصعب منه • فقال له معلمه لا تقل هكذا بل النحو أساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار البناء الى الاساس • الا ترى ان أهل بلادنا لا يتعلمون سواه ولا يعرجون على غيره • وعندهم ان من تمكن منه فقد تمكن من معرفة خصائص الموجودات كلها • ولذلك لا يولفون الا فيه • وانما يحصل الخلاف بينهم فى تقديم بعض الابواب على بعض • وفى توضيح ما كان مبهما منه بأدلة

وشواهد • واختلفوا أيضا فى الشواهد فمن قائل أنها مفتعلة ومن قائل انها ضرورة أو شاذة بيد أن المآل واحـد • وهو أن العالم لا يسمى عالما الا اذا كان متمكنا من النحو مستقصيا لجميع دقائقه • ولا يكاد يستتب أمر الا به • ولو قلت مثلا ضرب زيد عمر من غير رفع زيد ونصب عمرو فما يكون ضربه حقاً ولا يصح الاعتماد على هذا الاخبار • فأن حقيقة فعل الضرب متوقفة على علم كون زيد مرفوعا • وجميع اللغات التى ليس فيها علامات الرفع فهى خالية عن الافادة التامة • وانما يفهم بعض الناس بعضا من دون هـذه العلامات عن دربة أو اتفاق • فلا معول على كتبهم وان كثرت ولا على علومهم وان جلت • وانى وان كنت قد لقيت منه عرق القربة وكثيرا ما بت وبالى مشغول بعقلة من عقله وبداهية من عراقيله • فكنت آرق ليلى كله ولا اهتدى الى وجه الصواب فيما عوض علىّ من ذلك • الا انى استفدت منه فائدة عظيمة جعلتنى ممنونا لبنت أبى الأسود الدؤلي أبد الدهر فانها هى التى كانت سببا فى استنباطه • (قلت وكذا سائر البدائع كان أصل استنباطها مسببا عن النساء) فقال له التلميذ ماهذه الفائدة يا استاذى • قال قد طالما كان يخامرنى الريب فى قضية خلود النفس . فكنت أميـل الى ما قالته الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتداء فهو متناه فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء قست النفس عليه فزال عنى والحمد لله ذلك الابهام . ومثله أو أكثر منه فى الصعوبة فن المعانى والبيـان . فقال له التلميذ لم أسمع بذكر ذلك قط . قال أما أنا فقـد سمعت به وأعرف ما يشتمل عليه . وهو المجاز والكناية والاستعارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع وبيان ذلك مفصـلا . يستفرغ أجلا . وربما قضى الانسان عمره كله فى علم الاستعارات وحدها لم يمت وهو جاهلها. أو يكون قد نسى فى آخر الكتاب أو الكتب ما عرفه

فى أوله . وذلك ان من اخترع هـذا العلم الجليل لم يكن سلطاناً حتى يمكنه أجبار الناس جميعاً على متابعته ومشايعته . بل كان فقيراً فأولع بهـذا الشيء وشرح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره على شيء الا وخطر بباله طريقة من طرقه . فاذا نظر الشمس مثلا طالعة قال كيف ينبغي أن يفهم هنا طلوع الشمس هل هو حقيقى أو مجازى وهل المجاز هنـا عرفي أو لغوى . وكذا لو رأى البقـل نابتاً فى زمن الربيع قال كيف تأويل قول القائل أنبت الربيع البقل . فهل يصح اسناد ذلك الى الربيع وهو انما نشأ عن دوران الارض حول الشمس فهو ولا شك مسبب عنها ولا ريب ان مدير الارض انما هو الله عز وجل . فيكون قوله أنبت الربيع البقل مجازاً بدرجتين . لان الربيع مسبب عن دوران الارض ودوران الارض مسبب عن تقدير البارى تعالى وكذا قولهم جرت السفينة أو الحجر . ومن المجاز ما له أيضاً ثلاث درجات ومنه ما له أربع . ومنه ما تفوق درجاته درج المأذنة ومن هذا الدرج ما شكله قرقى ومنه حلزوني ومنه لولبى . ومنه غير ذلك ثم ما زال المستنبط يفكر فى هذه البدائع حتى أدركه الاجل فات وبقى عليه أشياء كثيرة لم يحكمها . فقام من بعده من أولع مثله بهـذا الفن فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة . وظل يباحثه ويعارضه الى ان قضى نحبه وقد ترك مجالا لغيره . فجاء من بعده من أصلح بينهما فى عدة مواطن وعاب على كل منهما أيضاً أموراً . ثم مات ولم ينه ما قصده . فخلفه من صنع به ما صنعه هو بغيره وهكذا بقيت أبواب النقد مفتوحة في عصرنا هذا . فمن قائل ان هذه العبارة من الاستعارة التبعية . ومن قائل انها من الترشيحية

قال بعض العلماء الاستعارة تنقسم الى مصرح بها ومكنى عنهـا . والمصرح بها تنقسم الى قطعية و حتمالية . والقطعية تنقسم الى تخييلية

وتحقيقية .وتنقسم ثانياً الى أصلية وتبعية . وثالثاً الى مجردة ومرشحة. وقال بعضهم وهذه تنقسم أيضاً الى عقيونية ومكائية ونبيصية وطعطعية وغميسية ولعلعية ويلمعية . وعسعاسية . والعقيونية تنقسم أيضاً الى فرقعية وقرقعية ومقامقية والفرقعية الى جحلنجعية وشنطفية وعطروسية ودحالية وشينقورية وكربرية . والقرقعيــة الى خمخعية وعهعخية وعهخفية وكشعثيجية وكشعظجية والمكائيــة الى معوية وعنتريه وصفرية وعصلية وبلدكية وصفارية وصغيلية وطرطبيــة وانقاضية. الي غير ذلك من التقسيم . ويشــترط فى خطبة الكتاب أن تكون جامعة لجميع هــذه الانواع . وأن يراعى فيهــا وفى الكتاب كله نوع الطباق . مثال ذلك اذا قال القائل فى فقرة طلع . فلا بد وان يقــول فيها أو فى الثانية نزل . واذا قال أكل يقول بعــده من غير تراخ تقيأ أو — وفى الجملة فينبغي ان تكون الخطبة عويصة ما أمكن . وأية خطبة لم تكن كذلك كانت عنواناً على ركاكة الكتاب كله فلم يكن جديرا بالمطالعة . فقــال له التلميــذ وقد امتقع لونه وهل النحاة أيضاً ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم . وهل قراءتى له عليك تغنى عن اعادته عند غيرك هنا وهــل يجب على الطالب فى كل بلد سافر اليه أن يتعلم نحو أهله أم هو علم مرة واحــدة . فقال له الشيــخ أما عن المسألة الاولى فأجيب انه ماجرى على البيانيين فقد جرى أيضاً على النحاة . فقد قال الفراء أموت وفى قلبى شيء من حتي . وقد مات سيبويه وبقى فى قلبه من فتح همزة ان وكسرها أشياء ومات الكسائى وفى صدره من الفاء العاطفة والسببية والفصــيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات . ومات اليزيدى وفى رأسه من الواو العاطفه والاستئنافية والقسمية والزائدة والانكارية صداع وأى صداع ومات الزمخشري وفى كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك

والتعليل وتوكيد النفى وغير ذلك قروح وأى قروح . ومات الاصمعى وفى عنقه من رسم كتابة الهمزة غدة

وفى الجملة فان معرفة حرف واحد من هـذه الحروف اذا تعمد الطالب استقصاها وجب عليه أن يترك جميع أشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيه وأجيب عنه . وما قيل من الامثال . اعط العلم كلك يعطك جزأه الا لأجل ذلك . وأما قولك هل يلزم أن تقرأ النحو أيضاً على غيرى هنا أى فى بلادنا فذلك غير لازم . فان أهل بلادنا كلهم لا يطالعون غير هـذا الكتاب الذى تطالعه أنت . بل قل من يطالعه ويفهمه أو يعمـل بمقتضى قواعده . وأما عن سؤالك الثالث فأقول انه لا ينبغى اعادة هذا العـلم فى كل بلد ولـكنك حيثما سرت وايان توجهت وجدت أناساً ينتقدون عليك كلامك . فان عبرت بالواو مثلا قالوا الافصح هنا الفاء . أو باو قالوا الاولى أم . وفى بعض البلاد اذا علم انك تنقط ياء قائل وبائع سقط اعتبارك من عيون الناس . فقد قرأت فى بعض كتب الأدب ان بعض العلماء عاد صـديقاً له فى حال مرضه فرأى عنده كراسة قد كتب فيها لفظة قائل بنقطتين تحت الياء فرجع فى الحال على عقبه وقال لمن سار معه لقـد أضعنا خطواتنا فى زيارته وهـذا هو سبب قلة التأليف فى عصرنا . فان المؤلف والحالة هذه يعرض نفسه للطعن والقدح والبلاء . ولا يراعى الناس ما فى كتابه من الفوائد والحكم . الا اذا كان مشتملا على جميع المحسنات البديعية والدقائق اللغوية . ومثل ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة رثة ورعابيل شماطيط . فالناس لا تنظر الى أدبه الباطنى بل الى بزته وزيه والحمد لله على قلة المؤلفين اليوم فى بلادنا اذ لو كثروا وكثر نقـدهم وتخطئتهم لكثرت أسباب البغض والمشاحنة بينهم . وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق بعض فقر مسجعة فى رسائل ونحوها كقولك السلام

والا كرام . والسنية والبهية . فأخفه ما كان سا كناً

فأما الشعر فى عصرنا هذا فانه عبارة عن وصف ممدوح بالكرم والشجاعة أو وصف امرأة بكون خصرها نحيلا . وردفها ثقيلا . وطرفها كحيلا . ومن تعمد قصيدة جعل جل أبياتها غزلا ونسيباً وعتاباً وشكوى وترك الباقى للمدح . ثم ان التلميذ النجيب استمر يقرأ على شيخه الاديب فى النحو حتى وصل الى باب الفاعل والمفعول فاعترض على ان الفاعل يكون مرفوعاً والمفعول منصوباً وقال هذا الاصطلاح فاسد لان الفاعل اذا كان مرفوعاً كان الذى عمل فيه الرفع آخر . والحال انه هو العامل وبيانه انا نرى الفاعل في البناء يرفع الحجر وغيره على كتفه فالحجر هو المرفوع والفاعل رافع وكذلك فاعل ال ٠٠٠٠ فانه هو الذى يرفع الساق . فقال له المعلم مه مه لقد أفحشت فكان ينبغى لك التأدب في مجلس العلم فانه غير مجلس الامارة . ثم ختم التلميذان قراءة الكتاب ولم يستفد شيئاً وكأن الشرح كله كان موجهاً الى الفارياق . ومذ ذلك الوقت أخذ في تجريد عبارته بمقتضى القواعد النحوية . فصار يهول بها على رقاع الناس كما يظهر في الفصل الآتى

الفصل الثانى عشر

في اكلة واُكال

•

لابد لي من أن أطيل الكلام فى هذا الفصل امتحانا لصبر القارىء . فان آتى على اخره دفعة واحـدة من غير ان تحترق أسنانه غيظا . أو تصطك رجلاه غيرة وحمية . أو ينزوى ما بين عينيه أنفةوحشمة . أو تنتفخ أوداجه وغراً وهوجا . أفردت له فصلا على حدته مدحا فيه وعددته من القراء الصابرين . ولكون الفارياق فى هذا الوقت قد طال لسانه وان يكن فكره قد بقي قصيرا اورأسه صغيرا ناقصاً من عند قمحدوته وقد نذرت على نفسي أن أمشي وراءه خطوة خطوة وأحاكيه فى سيرته . فان رأيت منه حمقة جئت بمثلها . أوغواية غويت مثله . أو رشدا قابلته بنظيره . والافانى أكون خصمه لا كاتب سيرته أوناقل كلامه . وينبغي أن يعلق هذا الحكم فى أعناق جميع المؤلفين . ولكن هيهات فانى أرى أكثرهم قدزاغ عن هذه المحجة . اذالمؤلف منهم بيناهو يذكر مصيبة احد من العباد فى عقله أو امرأته أوماله اذابه تكلف لايراد الفقرا لمسجعة والعبارات المرصعة وحشى قصته بجميع ضروب الاستعارات والكنايات . وتشاغل عن هم صاحبه بما يدل على أنه غير مكترث به . فترى المصاب ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم . والمؤلف يسجع ويجنس ويرصع ويورى ويستطرد ويلتفت ويتناول المعانى البعيدة . فيمديده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم . ويحاول انزالها من أوج سمائها الي سافل

قوله . ومرة يقتحم البحار . وأخرى يقتطف الازهار ويطفر في الحدائق والغياض من أصل الي فرع ومن غوطة الي ربوة . ما ذلك دأبي فاني اذا أوردت كلاماً عن أحمق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة . واذا نقلت عن أمير تأدبت معه في النقل ما أمكن فكأني جالس بمجلسه أو عن قسيس مثلا أو مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختل . لئلا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تأليف هذا الكتاب . فاعلم اذاً أن الفارياق بعد ان فار دماغه بحرارة النحو زيادة على ما كان له من الرغبة في النظم سار ذات يوم لقضاء مصلحة له . فمر في طريقه على دير للرهبان وكان الوقت مساء . فرأى ان يبيت ليلته تلك في الدير فعرج عليه وطرق الباب فبرز له رويهب . فقال له هل من مبيت عندكم لضيف . فقال له الرويهب أهلا به ان لم يكن ذا سيف . ففرح الفارياق بهذا الجواب وعجب من أنه يوجد في الدير من يحسن المساجلة . وانما قال له الرويهب ما قال لان الدير كان ينتابه كثير من أتباع الامير ليبيتوا فيه من كل سرطم قهقم لهم نهم وحم وخم هقم يسمع له هيقم . فكان أحدهم اذا بات ثم ليلة يكلف الرهبان من المطاعم الفاخرة ما لم يعهدوه . لان هؤلاء الخلق يعيشون عيشة المتقشقين المقترين المتبلغين بادني القوت . اذ هم ينظرون الي الدنيا والى لذاتها نظر العدو . فهي عندهم ضره الآخرة . كلما تباعد عنها الانسان المخلوق فيها تقرب الي الجنة . حتى ان الخبز الذي كثيرا ما يأكلونه بغير ادام ليس كخبز الناس . فانهم بعد ان يخبزوه رقيقاً يشمسونه أياماً متوالية حتى يجف وييبس . بحيث يمكن للانسان اذا أخذ بكلتا يديه رغيفين وضرب أحدهما بالآخر ان يخيف بفرقعتهما جميع جرذان الدير او ان يتخذهما متخذ الناقوس الذي يضرب به لاوقات الصلوة . ولا يقدرون على أكله الا منقوعا بالماء حتى يعود عجينا . فاما تقلد تابع الامير بالسيف

فانما هو تهويل وانذار بنكال المتهاون به . كتهويل الفارياق على الرويهب بسؤاله . ومن لم يكن له سيف استعار سيف صاحبه أواتخذ له خشبة رقيقة فى غمد سيف . وليس فى استعارة الماعون وغيره عند أهل الجبل من عار بلى كثيراً ما يستعيرون حليا ومعرضا للعروس يزفونها به وللرجل ثيابا وعمامة يزينونه بها . ثم انه لما حان وقت العشاء جاء ذلك الرويهب بصحفة من العدس المطبوخ بالزيت وبثلاثة أصنج من ذلك الخبز وجعلها بين يدى الفارياق . فجلس للعشاء وتناول رغيفاً ودقه بالآخر حتى انكسر . فلما التقم أول لقمة نشبت شظية من الخبز فى سنه وكادت ان تذهب بها . فجعل يسندها ويسد مواضع الخلل منها بالعدس . ولم يكد يتم العشاء حتى اشتدت حرارة العدس فى بدنه فجعل يحك باظفاره وببعض قصد الرغيف حتى تهشم جلده. فساءه ذلك جداً وقال لقد خلخلت هذه الكسرة سنى فلأقلعن سناً من أسنان هذا الدير . ثم انه أعمل فكره فى نظم بيتين فى العدس تشفياً مما ناله منه جرياً على عادة الشعراء من انهم يتشفون بعتابهم الدهر مما هم فيه من النحس والقهر . والشقاوه والضر . فالتبست عليه لفظة فقام فى طلب القاموس . فطرق باب جاره وكان من المتحمسين فى الدين فقال له هل عندك يا سيدى القاموس * قال ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران فما حاجتك به الآن* فطرق باب آخر وكان أشدمنه خشونة فقال له هل لك أن تعيرنى القاموس ساعة قال اصبر على الى نصف الليل فان الكابوس لا يأتينى الا فى هذا الوقت . فمضى الي غيره وأعاد عليه السؤال*فقال له أى شيء هو هذا القاموس ياماغوص*فرجع الى صومعته وقال * لا بد من نظم البيتين وسأترك محلا فارغاً للفظة فقال

أكلت العدس فى دير مساء   فبت وبى أكال لا يطاق
فلولا اننى أعملت ظفرى   لقال الناس ـ الفارياق

فلما كان نصف الليل والفارياق نائم اذا بأحد الرهبان يقرع عليه الباب * فظن انه أتاه بالكتاب المطلوب * ففتح له وهو مستبشر بوجدان ضالته * فقال له الراهب قم الى الصلوة واقفل الباب واتبعني فتذكر عند ذلك ما قاله له جاره من ان الكابوس لا يأتيه الا في نصف الليل * فقال في نفسه لقد صدق الرجل فان هذا الداعي أشد على النائم من الكابوس * قبحاً لها من ليلة شؤمى لقد كاد الخبز يقلع سني والعدس منانى بالحكة * وما كدت الان أغفي حتى أتاني هذا القارع الاقرع النحس يدعوني الي الصلوة * أكان أبي راهباً وأمي راهبة أم وجب على الشكر والصلوة من أجل أكلة عدس * ولكن سأصبر الى الصباح فلما كان الغد جاءه ذلك الرويهب ليسأله عن حاله اذ كان قد دخل الدير مذ عهد غير بعيد فكان فيه بقية رقة ولطف * فقال له الفارياق سألتك بالله أن تجلس عندي قليلا * فلما جاس قال له قل لي فديتك أفي كل يوم انتم تفعلون هذا * فوجم الرويهب وظن به سوءاً ثم قال أى فعل تعني قال أكلكم العدس مساء وقيامكم فى نصف الليل للصلوة * قال نعم ذلك دأبنا فى كل يوم * قال ما الذى أوجبه عليكم * قال التعبد لله والتقرب اليه * قال ان الله تبارك وتعالى لا يهمه ان كان الانسان يأكل عدساً أو لحماً * ولم يأمر بذلك فى كتبه * اذ ليس فيه مصلحة لنفس الآكل أو للمأكول * قال هذا دأب النساك العباد اذ التقشف فى المعيشة ونهك الجسم بالردىء من الطعام وبقلة النوم ينفي الشهوات .قال لا بل هو مناف لما شاءه الله * اذ لو شاء أن ينهك بدنك ويخليه من الشهوات لخلقك ضاوياً دنفاً * ما قولك فيمن خلقه الله جميلا * أيجوز له أن يشوه وجهه بأن يبخق عينه أو يخرم أنفه أو يشرم شفته أو يقلع أسنانه كما أردتم قلع أسناني البارحة بخبزكم هذا اليابس أو أن يسخم سحنته * قال فى ظني انه لا يجوز * قال أليس البدن كله

على قياس الوجه * لعمرى ما خلق الله الساعد الفعم الا وهو يريد بقاءه فعماً * ولا الساق المجدولة الا وشاء لها أن تكون كذلك دائماً * ولا حلل الطيبات من المآكل للناس الا وهو يريد أن يأكلوها هنيئاً مريئاً نعم قد حرم هذه الطيبات بعض الاديان المشطة * غير أن دين النصارى يحللها * وانما جاء التحريم من بعض شهارب طعنوا فى السن فلم يكن بهم قطَم الى اللحم ولا الى غيره * ما المانع من تناوله كل يوم * قال لا أدرى وانما سمعت علماءنا يقولون ذلك فقلدتهم * وانى أقول لك الحق أنى مللت من هذه المعيشة فانى أرى جسمى كل يوم فى ذبول ونفسى فى في انقباض ولو كنت عرفت من قبل ما أصير اليه لما سلكت هذه الطريقة غير أن أبى وأمى فقيران وخشيا أن أكون من ذوى البطالة والتعطل * اذ لا صنائع نافعة في بلادنا يمكن للانسان أن يتعلمها ويعيش منها فزينا لى الرهبانية * وقالا لى اذا واظبت على الطريقة في الدير بضع سنين فربما ترتقى الى رتبة عالية فتنفع نفسك وايانا * وما زالا بى حتى أجبتهما ولولم أجبهما طوعاً لأكرهانى على ذلك * فقال له الفارياق نعم ان الرهبانية هي ملجأ من البطالة فكل من كان عطلا عن علم أو صنعة يقصدها * الا أنك ما زلت مثلى حدثاً فيمكن لك أن تقصد أحدا من أهل الخير والشفقة فيدلك على ما ينفعك * والله تعالى خلق لاشداق * وتكفل لها بالارزاق * وقد جعل فى الحركة بركة * هذا وأنت تعلم أن الرهبانية مشتقة من الرهبة وهى خوف الله تعالى فاذا تعاطيت حرفة وعشت بها بين الناس وتزوجت ورزقت ولدا وخشيت الله فأنت حينئذ راهب * ليست الرهبانية بأكل العدس والخبز اليابس أليس اذ رهبان ديرك بينهم من الخصام والطعن والحقد مالا يوجد عند غيرهم فان رئيسهم لا يزال يحاول اذلالهم واخضاعهم له * وهم لا يزالون مدمدمين عليه شاكين منه * وبينه وبين رؤساء الاديار الاخرى من

الحسد والمنافسة مابين وزراء الدول * وأكثرهم ينال الرئاسة بالتملق للامير الحاكم أو للبطرك * فاذا أحس بوشك انقضاء مدته وخشي العزل رأيته يجود بالهدايا والتحف لذوى الامر والنهي بما لا يجود به أكرم أهل بلادنا * وذلك حتي يقروه على رئاسته وهؤلاء الرهبان المكرهون على التبلغ بالعدس وعلى التنحس اذا دعاهم أحد لمأدبة سممت لاستراطهم دويا * فيلفلفون ويلعمظون ويلطمظون ويتكظكظون ويشتفون حتى تجحظ عيونهم * وأضر ما يكون على منهم أنك لا تكاد تسلم على أحد منهم الا ويمد لك يده لتبوسها وربما كانت نجسة قذرة * فكيف ألثم يد من هو أجهل منى ولا غناء عنده فى شيء * أنظر كم عندنا فى بلادنا من دير وعلى كم تشتمل هذه الاديار من الرهبان. ولم أر أحدا منهم نبغ فى علم ولا من أثرت عنه مكرمة بل لا تسمع عنهم الا ما يشين الانسان في عقله وعرضه . قد كنت في خدمة بمير بيمين مدة فرأيت أحد هؤلاء الـكارزين قد تمكن من ابنته تمكن الزوج من امرأته . فكان يقول لها فيما يسألها عنه هل تتمجمج اليتاك ويترجرج ندياك . فالراهب ولترعد الايا النسوان ورجرجة أثدائهن . وآخر كان رئيساً فى دير فعلق بنتاً فى قرية بالقرب من الدير فلم تلبث ان علقت منه . غير انه لما كان أخوه وجيهاً عند الحاكم خاف أبو البنت من أن يخاصمه ويفضحه . بل قد تقرر فى عقول الجهلاء من أهل بلادنا ان افشاء أمر مثل هذا مما يفتضح به عرض أحد هؤلاء النساك حرام . ايم الله ان الستر عليه حرام فان فضيحته تردع غيره

وأعرف آخر جاء الي قريتنا متماوتاً وقد طول كميه وأسبل قلنسوته حتى لم يكد يظهر من تحتها الا فمه ولحيته تظاهراً بالصلاح والتقوى . ثم أنزل نفسه منزلة خطيب فى القوم . فجعل يخطب ويعظ وينذر بصوت جهير . وكان يبكي عند ذلك أشد البكاء ويذرف المدامع اذا كان جعل

فى منديله الذى يمسح به وجهه شيئاً ذا حُرتة لا أدرى ما هو . ثم آل
أمره إلى أنه كان يقضى أياماً وليالى مع أرملة حسناء شابة من نساء
الامراء فى خلوة استذراعاً بأنها نعترف له اعترافاً عاماً أى من يوم انتفخ
ثديها ونبت شعرها الى ذلك اليوم . وأعرف آخر كان قد ذهب الى
رومية وكان مغفلا فكان ينام فى فراشه بثيابه الرهبانية على طريقته
فى الدير ويوسخ الملاءة . فكان صاحب المنزل ينهاه عن ذلك . ثم لما
رأى ان جميع قسيسى رومية وأعيان أئمتها من البابا الي الكردينال
الى الراهب ينامون عريانين لا شيء يستر سوأتهم غير ملاء الكتان
الرفيع كفر بهم وصار يستحل الحلال والحرام معاً . فأنظر الى هؤلاء
العباد من العباد فانك لا ترى فيهم الاخبيثاً منافقاً . أو جاهلا مائقاً
وندر وجود الصالح بينهم . أما العلم فهو محرم عليهم كلهم . لا بأس فى
الرهبانية تطوعاً لا بأس انما هى طريقة محمودة . ولكن بشرط مجاوزة
الخمسين سنة . وان يكون الداخلون فيها من أهل الفضائل والمعارف
يشتغلون بالعلم وبتبذيب املاء اخوانهم ومعارفهم . ويحضون على
مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة . ويؤلفون الكتب المفيدة
وينهجون لقومهم المناهج المؤدية الي الخير والفلاح والفوز والنجاح
لا مثل هؤلاء الجهال الذين لا يعرفون شيئاً من الدنيا سوى التقشف
والرثاثة . وناهيك دليلا على جهلهم انى سألت أشدهم تحمساً أن يعيرنى
القاموس فظنه الجاموس . وآخر ظنه الكابوس . وآخر القاموص .
فبدر يا صاح وتخلص منهم هداك الله والا فتكون لا من أهل الدنيا
ولا من أهل الآخرة فان دين الجاهل عند الله ليس بشيء واذا بلغت
الستين سنة فها هي الرهبانية بين يديك . فقال له كيف التخلص . قال
ألك في الدير متاع فاساعدك على حمله قال مالي سوى ماتراه عليّ قال
فامض بنا اذاً فان الرهبان الآن عاكفون على الصلوة فخرجا من باب

الدير ولم يعلم بهما أحد • فلما بعدا قليلا هنأ الفارياق صاحبه بخروجه من ربقة الجهـل وقال له • لعمرى لو كنت كلما أكلت أكلة عدس خلصت راهباً أو رويهباً أو بالحرى راهبة أو رويهبة لوددت أن لا آكل الدهر غيره وان أكل بدنى • فجزى الله الدير خيراً



الفصل الثالث عشر

في مقامة

أو مقامة فى الفصل الثالث عشر

قد مضت على برهة من الدهر من غير أن أتكلف السجع والتجنيس وأحسبني نسيت ذلك . فلا بد من أن أختبر قريحتى فى هذا الفصل فانه أولى به من غيره . اذ هو أكثر من الثانى عشر وأقل من الرابع عشر . وهكذا أعمل فى كل فصل يوسم بهذا العدد حتى أفرغ من كتبي الأربعة فتكون جملة المقامات فيما أظن أربعاً . فأقول

حدس الهارس بن هشام قال أرقت فى ليلة خافية الكوكب . بادية الهيدب . طويلة الذنب . ملأى من الكرب . الى الكرب . فجعلت أنام على ظهري مرة وعلى جنبي أخرى . وأتصور شخصاً ناعساً امامي يتثاءب وآخر يخر نخراً . وآخر يتهوم سكراً . فان التصور فيما قالوا معين على فعل ما ترغب النفس فيه . وينشط الى ماتصبو اليه وتشتهيه ومع ذلك فما اكتحلت غمضاً . ولا فتح فى تثاؤب طولا ولا عرضاً وكان يخيل لى ان أهل الارض كلهم رقود وأنا وحدى من بينهم أرق وان جميع حيرانى فى سكون وأنا دونهم قاق. فقمت الى الشراب فحسوت منه حسوة . فلم تك الا غفوه . كانما كانت هفوه . فأفقت فى أسوأ حال . وشر بال . و همومه قد انثالت على من كل جانب . والأفكار

متطايرة على كل مقارب ومجانب * فكان يخطر ببالي كل ممكن ومحال
ويعاودني ما كنت فكّرت فيه من الاحوال * مرة منذ أحوال* فلما
علمت أن النوم قد ندّ عني وان تناومت * وانه لا بد من ترقب الفجر
ان أذعنت وان قاومت * مددت يدي الى كتاب أطالع فيه وقلت ان لم
ينمني فينبهني ببعض معانيه * فتناولت أقرب ما وصلت اليه يدي *
وأنا غير مؤثر أحد الكتب على غيره في خلدي * واذا به كتاب موازنة
الحالتين * ومراوحة الآلتين * للشيخ الامام العالم العامل * الفاضل
الكامل * أبي رشد نهية بن حزم * المشهور بالبلاغة في النثر والنظم
وهو كتاب لم يسبقه اليه أحد من المؤلفين* ولم يجاره فيه كاتب من المجلّين
فقد وازن فيه بين حالتي بؤس المرء ونعيمه * ورَوحه وهمومه ومنافعه
ومضارّه * وأحزانه ومساره * منذ كونه طفلا * الى أن يصير كهلا *
ثم شيخاً قحلا * وقد جعل ذلك في جدولين متقابلين * وأسلوبين
متفاضلين * الا أنه لما كان الشيخ قدس الله سرّه * ورفع في أعلى عليين
مقامه وقدره * على ما يظهر لي ذا عيشة راضية * وسعادة وافية *
وهمة ماضية * رجح طرف اللذات على غيرها * واستقل شر الحياة
بالنسبة الى خيرها * حتى انه زعم أن اللذة تكون عن الفعل والتصور
معاً بخلاف الالم فان الفكر لا يقع منه موقعاً * وانه كان اذا امتثل
خوداً يداعبها وتداعبه * هزته نشوة طرب مال بها سريره ومركبه *
وكلكله ومنكبه * بيد أني ارتبت في كلامه في هذا المحل * وقلت
سبحان الله لابد لكل مؤلف من هفوة اذ حل * وذلك أني لما
تصورت الشخص المنهوم * والناعس والمسائب وأنا متناوم * لم يغنني
التصور عن الفعل نقيرا * ولا وجدت فيه لذة لا قليلا ولا كثيرا * على
أني أذهب الى ما ذهب اليه بعض المجانين * من أن لذة النوم لا تكون
قبله ولا معه ولا بعده للنائمين * وهي عقدة للطبائعيين لا يمكنهم حلها

بلسانهم وأفكارهم * ولا بأسنانهم وأظفارهم غير أن عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تخلب عقل الناقد الخبير * وتوبك في تحرى أحد القولين كل تحرير * فلما أطلقت النظر فيهما وعاد الىّ كليلا * وأعملت حد النقد ورجع مفلولا عزمت على أن أستجلى هـذا الاشكال * من بعض ذوى الدراية والجدال * فقلت فى نفسى كما ان يدى نالت أدنى الاسفار * كذلك يكون مراوحى عليه أدنى الجار * وكان يسكن بالقرب منى مطران يطرئ قومه على حليته * ويعظمون فضله وأدبه على طول لحيته * فقصدته ضحوة النهار * بادى الاستبشار فرأيته ذا بكلة تروق وبزة تشوق * فعرضت عليه الجدولين وقلت افتنى فِي هذه القضية * ولك الأجر من رب البرية * فنظر فيهما ثم حرك رأسه * وجعل يرمش ثم يشكو نعاسه * وقال لى ماترجمته * اذ لم يكن ممن تسمو الي السجع همته * ماالحنت مغزاهما * ولا دريت فحواهما * ولو كانا بعبارة ركيكة كان ذلك أسهل على من الجلوس على هذه الأريكة * فقلت قد أخره فى العلم والتقدم * تقدمه فى الصف * ونقص من عقله وفهمه مازاد في لحيته وكمه * فلا ستعلمن بعده أكثر الناس حمقاً وهوجاً * وما ذلك الا معلم الصبيان الهجا * وكان فى البلد من اتصف بهذه الصفة * وهو مع ذلك دو كبر وعجرفة * فقصدت محله * وألقيت عليه المسئلة فاخذ به قدم الصفق بيديه * ويبارئ بعينيه * ويقول لقد سقطت على الخبير * واهتديت برأى بصير * ان شئت أن تعرف أى القولين أرجح وأصدق وأصح * فزن الجدولين دون جلد الكتاب فى ميزان * فما رجح منهما فهو الراجح بلا اختلاف فى ذا اثنان * فقمت من عنده غضبان ندماً ولعنت الارق الذى كان السبب أن أكون لمعلمى الصبيان مكلماً بعد ما قرأت فى غير كتاب * وسمعت من ذوى الالباب * انهم أسخف خلق الله عقلا * وأكثرهم جهلا * وأبعدهم عن الفهم *

وأسفههم الى الوهم • فسرت فى ذلك اليوم • الى فقيه من جلة القوم قد كبر عمامته وكورها • ووسع جبته وزورها • فقلت افتنى أيها الفاضل الاحذق • أى القولين عندك أحق واصدق • فقال أما إذ جئتنى مستفتياً • ورمت أن تكون برأيي مستهدياً • وبطريقتي مقتدياً فانى أقول لك بعد التروى • فى هـذا المذهب المتحوي • إنا معاشر الفقهاء من أهل الـكلام • القائمين باحكام الأحكام • وتبيين المتشابه بين الانام • وان من دأبنا اظهاراً للحق أن نسهب فى التعليل • ونكثر من قال وقيـل • إذ لا بد من انتشاء عرف الصواب • من الاسهاب ومن الاهتداء الى بعض المذاهب • بفرض المستحيل وجعل المعدوم كالموجود الواجب • فعندى أنه لابد من عد ألفاظ القولين • واحصاء حروف الجدولين • فما كان منهما أكثر حروفاً • فهو أرجح وأحسن تأليفاً • والله أعلم • ففصلت من عند الفقيه • كما فصلت من عند صاحبه السفيه • وقلت انما اللوم على مستعتيه • ثم قصدت شاعراً كنت أعهده يتلهوق ويتشدق • ويتفصح ويتمدح ويتبجح ويتزنخ • وقلت له هاك ماتحرز عليـه أجراً • ويكسبك بين الناس فخراً • فأبن لي أى الاهلوبين أبدع • وبالحق فاصدع • قال أما أنا فمالي من خلاق فى الدنيا ولا نصيب • غير المدح والنسيب • ففي الاول غصتى • وفى الثانى لذتى فاصبر علىّ ريما أطالع ديوانى كله • وأتصفحه جمله فان وجدت المديح فيه أكثر من الغزل • كان الخير فى الدنيا أقل • فألحقته بصاحبيه الفقيه والمعلم • وقلت كم من متكلم مكلم

ثم سرت الى كاتب الامير • وكان مشهوداً له بالتحرى والتحرير • فأثنيت عليه قبل السؤال مطرئاً • وقلت لم يكن غيرك فى ذا مجزئاً • فقال ان سعادتى فى الـكون هى ان أرضى عن أميرى ويرضى عني • وشقاوتي هي أن أغضب منـه ويغضب منى • وقد نسيت كل ماجرى على من

الغضب والرضى * لكثرة المشاده والمقتضى * فان صبرت على فى المستأنف شهراً * لأقيد فى دفترى ما ألقاه منه حلواً ومراً * ونفعاً وضراً * أفدتك الجواب فاقبل عذراً * فصيرته رابع الثالثة * وقلت لأستشيرن ذا حداثة * فان أهل المراتب والمناصب قد ذهبت صدارتهم بألبابهم فلم يبق فيهم خير لقارع بابهم * فجئت الفارياق وهو مكب على النسخ * وفى طلعته مبادئ المسخ * فقد رأيت عينيه غائرتين * ويديه ذاويتين وعظم خديه ناتئاً * وجلده كالظل زائناً * حتى رثيت لحالته * وكدت أمسك عن الكلام إشفاقاً من بطالته * لكنه لما رآنى قام الي * ثم أقبل على * وقال هل من خدمة ارتضت سعيي * أو نجوى أوجبت وعيي * فقلت قد أقدمنى كذا وكذا * فاكفنى ذل السؤال كفيت الأذى * فأخذ رقعة من تحت أسمال * وكتب فيها فى الحال — ؟

أتيتنى مستفتياً فى أمر   يعلمه كل امرء ذى حجر

الخير ان قابلته بالشر   فى العمر كان قطرة من بحر

ألا ترى الأجرب كيف تسرى   عدواه فى جميع أهل المصر

وليس من ذى صحة ويسر   عدوى لمن داناه طول العمر

والطفل اذ يثغر كم من ضر   يلقى ويلقى عنده فى قبر

وعند إشعار ونات ظفر   ليس له من لذة وسر

وكل عضو لقبول الكسر   أقرب منه لقبول الجبر

وما فساده سريعاً يزرى   كالدين لن تصلحه فى دهر

ونمى طفل لا به يفرى   فؤاده وكل عظم يبرى

[illegible] فى مولده من البشر   [illegible] لحزن موته الأضر

وما [illegible] لذة من فكر   اذا تحققت ولا عن ذكر

وإنما [illegible] تجرى   فى خاطر المغفل المغتر

[illegible]   [illegible] أمرض [illegible] شهر

وهـل لمن يبرد وقت القر دفء بتذكار أوان الحر
فليس دنيانا لأهـل الخبر سوى بلاء دائم وخسر
يولد فيهـا العبـد غير حر وهكذا يموت رغمـاً فادر

قال فلما أخذت الرقعة وتأملت فيها * وتحققت معانيها * علمت أن قوله هو الأسد * وأن قول غيره هذيان وفند * فقلت له بورك في من جاد بمثلك * وهدى المستفيدين الى رشـدك وفضلك * وقبحاً لاهل الثرا * إذ لم يحلوك أرفع الذرى * ثم انصرفت من عنده داعياً ولما قاله واعياً

الفصل الرابع عشر

فى سر

هجع هجع الحمد لله * الحمد لله قد تخلصت من انشاء هذه المقامة ومن رقمها أيضاً فانهـا كانت باهظة * ولم يبق لى هم منها سـوى حث القارئ على مطالعتها * وهي وان تكن خشنة غير مهلهلة كسجع الحريرى الا أنها تلبس على علاتها * وتحمد لافاداتها * وفى ظنى أن الثانية تكون أحسن منها * والثالثة أحسن من الثانية * والرابعة أحسن من الثالثة والخمسين أحسن من التاسـعة والأربعين * لاتخف من هذا التهويل والتوهيل لاتخف * انما هى أربع لا غير كما وعدتك * والآن ينبغى أن أعصر يافوخي لأستقطر منه أفـكاراً ومعانى حسنة وألفاظاً رائقة مع تجنب الثرثرة * فان العلماء يسمون ذلك فيما أظن إخلاء * ولـكن قف هنا حتى أسألهم * ماذا تسمون الـكلام الذى يتدفق بالمعانى ويبل قارئه حتى آتيكم به * فان لم تسموه لى حالا فلا تلومونى على نقيضه فانى أنا من الموجود ودأبي أن أبحث عنه لا عن المعدوم * ولما كان اسم الاخلا موجوداً ونقيضه معدوماً ناسب أن أعدل اليه عن غيره الى أن تتواطئوا على اسم ولـكن لابالخناق والتناوش *والنقار والتهاوش وبالجلاد والجدال * وبالتماسك بالجيوب والأذيال • بل بالرزانة والوقار والأون والاستبصار • فان الرزين اذا وضع اسما لشئ جاء ذلك الاسم رزيناً مثله • فلا يمكن بعد انتقاله الى آخر • بل ربما وقر بالاسم المسمى وان يكن مما اتصف بالخفة والطيش • ألا ترى ان كلام الشاعر الرقيق

يأتي رقيقاً • وكلام الضخم يأتى ضخماً كما قيل كلام الملوك ملوك الكلام وشعر المرأة يأتى خالباً للعقول لاعباً بالالباب مثلها • ويستثنى من هذه القاعدة وضع الولد من قبل أبيه أى مادة توزيع الولد • لا ان الأب يحبل ويلد * وذلك ان الوالد قد يكون قبيحاً ويأتي ولده صبيحاً * وسببه ان الايلاد لما كان من الأفعال التى لا تتم الا بمشاركة اثنين أعنى رجلا وامرأة اذ التغليب هذا لا يخلو أيضاً من الابهام . لم يكن للوالد مطلق التصرف فى تهيئته ولده كما شآء . فقد يكون هو عند ذلك مقدراً له شكلا ارتضاه وتكون أمه حرسها الله مقدرة له شكلا آخر بحسبما استحسنته وخلج صدرها اذ ذاك · فيأتى الولد خنفشارياً . لا يقال ان الرجل لا يستحضر عند ذلك صورة معلومة لذهوله بشاغل المادة .فان ذلك لا يصدق على من ألف شيئاً واحداً بخصوصه . فان طول ألفة الانسان لشيء تعدل هواه فيه . فيباشره برشد وروية . فمثله كمثل الطباخ الشبعان يطبخ خضض الطعام باتقان وأحكام بخلاف الجائع فانه يلهوج عمله ويلهوقه . فاعلم اذاً بعد هذا الاستطراد البديع . والعظال المجيع * ان الفارياق ذهب ذات يوم الى بعض القسيسين ليعترف له بما فعل وفكر . وقال من المنكر . فقال له القسيس فيما سأله به . قد سمعت عنك انك كلف بالنظم وبالالحان وهما من أعظم أسباب الفساد والغرام . فهل سول اليك الخناس ان تتغزل فى الشعر بامرأة قاعدة النهد موردة الخد * بينة الكحل * مرتجة الكفل * نحيلة الخصر * مفلجة الثغر * عبلة الساقين . مجدولة الساعدين . سوداء الشعر والحلمتين . نجلاء العينين . مخضبة الكفين . رقيقة الشفتين . مزججة الحاجبين مدورة السرة . ذات عكن مفترة .حلوة الابتسام . مهفهفة القوام . لها رضاب عذب . ونكهة تسكر الصب * قال قد فعلت ذلك لكنى ان أراك لا حريني فى هذه الصنعة . فقد رأيتك تحسن وصف الحسان اى

احسان * قال ليست حرفتي تلفيق الكلام وانما هو شيء عرفته بالقياس والالهام . فان كل من تعاطى النظم يملأ دماغه بهذا الوصف المحرم . وكيف كان فلا بد من أن تحرق غزلك كله . بالتفصيل والجملة . فانه يبعث الاغرار على المعاصي . فتجزى به يوم يؤخذ بالنواصي . وتعز التفاصي قال كيف أحرق في ساعة واحدة ما سهرت فيه ليالي متعددة حرمت فيها من الكرى . وكابدت بها جهداً ولا جهد الشرى . أو السرى . فكنت اذا نظمت البيت من القصيدة يخيل الي اني قطعت مرحلة الى محل المتغزل بها . وعند تمام القصيدة أتصور اني وصلت اليها ولم يبق بيني وبينها سوى فتح الباب . فكان الختام عندي افتتاحاً خلافاً لجميع الشعراء . ولذلك لم أكن أقصد القصائد الطويلة خشية أن تطول على المسافة بطولها . فهل من الرأي السديد أن يحبط عملي كله من أجل الاغرار . وبعد فاني لا أريد انهم يقرؤن كلامي . لانهم ان لم يفهموه سألوا عنه أهل العلم فيذمه هؤلاء ويخطئونني ويفندونني . اذ لا يرون في كلام الصغير الوضيع حسناً . وان استحسنوه لم يكن جزاي منهم الا قولهم أخزاه الله وقاتله الله وثكلته أمه ولا أب له ولا أم له . قال ان أبيت الا الاصرار على العناد و والزيغ عن جادة الرشاد . أمسكت عنك مغفرة ذنوبك . ونددت في الكنيسة بعيوبك . قال لا تعجل فان العجلة من الشيطان . أرأيتك لو مدحتك بقصيدة طويلة تجعلها كفارة عن الذنب . وان شئت أن أمدح فيها أيضاً جميع الرهبان والراهبات والعابدين والعابدات والزاهدين والزاهدات والناسكين والناسكات والقانتين والقانتات والمفردين والمفردات والمغبرين والمغبرات والمذكرين والمذكرات والذاكرين والذاكرات والمتقين والمتقيات والمتبتلين والمتبتلات والمتهجدين والمتهجدات والساجدين والساجدات والمخبتين والمخبتات والمسبحين والمسبحات فعلت . ففكر ساعة وكأنه

رأى أن ليس فى التغزل كبير أثم • فان وصف المرأة مثلا بضخم الكفل وفعومة الذراع وتدملك الثدى اذا كانت فى الواقع كذلك انما هو من قبيل قول القائل البدر طالع عند طلوعه أو السحاب منقشع عند انقشاعه وانما يكون افتراء واثماً ما اذا وصفت بذلك • وكانت مسحاء مرداء أو كانت تتخذ الحشايا لتحسب عجزاء فصدقها ناظرها فى ذلك وقال فيها ما قال مجازفة • فلما تدبر الامر ورازه بعقله قال • لا ينبغى أن تتخذ مدحى كفارة فانى أخشى أن تمسك بى ولا تعود تطلقنى • اذا أرى من قوافيك فى الفاعلين والفاعلات انك مسكة علقة نشبه لزمة • وانما تمدح أولياء الله والربانيين الصالحين الذين زهدوا فى الدنيا رغبة فى الآخرة لوجه الله ولبسوا المسوح ولزموا السهر فى طاعة الله وداوموا على التقشف حباً بالله • فنهم من لم يأكل مدة حياته كلها الا العدس والخبز جافاً صلباً • فقال الفارياق وأعقبه أيضاً كسر سن وحكة • قف قف • قد نسيت أن أذكر لك شيئاً أخطره الآن ببالي العدس • وذلك اني تسببت مرة فى اخراج رويهب من ديره وتركه الطريقة وانما الذى أغرانى بذلك ما قاسيته فيه ففعلت ما فعلت تشفياً • فقال ذنبك في التشفي وهو ضرب من الانتقام أكبر من ذنبك فى اخراج الرويهب فان أكثر الرهبان لا فائدة من اقامتهم فى الدير لا لهم ولا لغيرهم وما عدا ذلك فقد يحتمل ان هذا الرويهب يتزوج ويجعل من ولده رهباناً كثيرين • ولكن اذا مدحت الراهبات فاحذر من أن تذكر لهن أنداء واعجازاً اذ لا شيء لهن من ذلك فان طول الاعتكاف والاحتجاب قد صيرهن مخالفات لسائر النساء • ونحن معاشر العباد أعلم بهن •

فقال له الفارياق سألتك بالله معبود أهل السموات والارض هل جميع القسيسين مثلك في الظرافة والدعابة • قال لا أدرى وانما أدرى انى أنا وحدى شقيت بما عرفت • وانى لو بقيت جاهلا مثلهم لكان

خيراً لي . ان من الجهل لراحة • فقال له وكيف ذلك • قال أعنـدك للسر مكان حريز • قال اني سري من دمي فلا أبوح به • (قلت بل بح به الآن) قال أتريد أن أقص عليك قصتي • قال أكرم بها قال أصغ سمعاً



الفصل الخامس عشر

في قصة القسيس

ثم طفق يقول . اعلم انى كنت فى مبدأ أمرى حائكا . ولما شاء الله تعالي من الازل أن يخلقني قبيحاً وقصيراً . حتى ان أمي عند نظرها الى كانت تحمد الله على أنه لم يخلقنى بنتاً لم اكن أصلح للحيا كة لان قصرى الفاحش منانى غير مرة فى حفرة النول بالبهر والخناق . اذ كان جسمى كله يغيب فيها فينقطع نفسي . مع أن منخرى بحمد الله يسعان من الهواء ما يكفي خمسين رئة وخمسين كرشاً . وكثيراً ما كان يغشى على فيها وأوخذ منها على آخر رمق . فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعناء رأيت أن التسبب ببعض ما يرغب فيه النساء أصلح . فاكتريت لى حانوتاً صغيراً وقعدت فيه . فكانت النساء يمررن على وينظرن الى ثم يتضاحكن . وسمعت مرة منهن من تقول . لوكان الظاهر عنوانا صادقاً على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له فى جثته ويروج سلعته . فاعتمدت على كلامها وقلت لعل من القبح سعاده . فقد قيل فى الامثال أن من الحسن لشقوة . ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل . فان أنفي وقف بينى وبين رزقى . وبلغ كبره من الفحش بحيث أنه لم يدع لغير الاباء والاعراض عنى موضعاً . فقعدت يوماً أفكر فى خلق الله تعالى هذا الكون . وأقول يا لحكمة الله كيف تخلق فى الدنيا انساناً ثم تخلق فيه شيئاً يمنع عنه رزقه وقوام معيشته . ما الفائدة من هذا الانف الضخم الذى لا يصلح لشيء الا لان تضمن

فيه اعجاز قفا نبك . ولم لم يقور منه شيءٌ ويكور فى جثتى.ومالى أرى
بعض الناس جميلا كالملك وبعضهم قبيحا كالشيطان .ألسنا جميعا خلق الله
أليس سبحانه يعمهم كلهم بعنايته على حد سوى .أليس الصانع الارضى
اذا أراد أن يصنع شيئا فانه يتأنق فيه ويتقنه عند استطاعته ويأتى به
من أحسن ما يكون . هل يصور المصور صورة قبيحة الا لكي
يضحك الناس من المصور عنه . ألعل فى ضخم الانف حسنا أو خيراً
أو نفعا ونحن معاشر المخلوقين لا نعلمه .ثم أقوم الى المرآة وأتأمل وجهي
فيها فانكره ولا أجد فيه موضعا للاستحسان . فأعود الى مذهبي
الاول وأقول .أن كنت انا لم أستحسن وجهى فهل يستحسنه آخر غيرى .
على أن الانسان يرى ذأم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة .أترى فى الناس
من يروق لعينه القبح .فقد يقال أن السود لا يرون فى الابيض مناحسنا .
غير أن لون السواد عندهم عام فلذلك يستحسنونه .وما أرى غيرى من اقل
أنفا كانفى حتى أطمع فى أنه يكون مستحسنا . أما اللون فانى لست
من البيض ولا من السود فانا بين اللاعنين . الا ليت أهل بلدتى كانوا
كلهم مثلى قنافيين فأتسلى وأتاسى بهم من أين ورثت هذا الجلمود
وأنف أبي كان كانوف الناس . ليت شعرى أين كان عقل أبي حين نقر
فى رأسه فكر انشائى فى هذا الكون وفى أى طود أو طربال أومنارة
كانت أمي تفكر ليلة راوحته على هذا العمل . الا ليتما غشى عليهما تلك
الليلة فما افاقا . أو فدرا فما أطاقا . أو سحرا فما تاقا . أو سكرا فماقا .
وجعلت أجيل هذه الافكار فى رأسي وأصوغها فى قوالب مختلفة
وأفانين متنوعة . واذا بامرأة متنقبة أقبلت على وقد نتأ من تحت
نقابها شيءٌ شبيه بالقلة . فظننت أنها جعلت حنجور عطر عند أنفها
لتشمه عند مرورها على الجيف فى أسواق المدينة . فسألتنى عن شيء
تريد شراءه فسعرته لها فكأنها استغلته فقالت لى أقصد فان تسعيرك

هذا تسعير • فقلت لها وان شراءك لشرى • فضحكت وقالت لقد أحسنت فى الجواب ولكنك أسأت فى الطلب • فراع حقوق الشركة والجنسية فانى شريكتك ورفيقتك • فكان ينبغى لك أن تحابينى • قلت أى شركة بيننا أصلحك الله وهذه أول خطرة شرفتنى فيها بالزيارة • فرفعت النقاب واذا بأنفها الناتىء بضيق عنه وجهها • وكانه واجه أنفى ليحييه • فخطر ببالي حينئذ ما قيل عن ذلك الغراب الذى كان يجمع والف غرابا مهيض الجناح • وان أحد الشعراء لما أبصرهما قال ما كنت أدرى ما أراده بعضهم بقوله * أن الطيور على آلافها تقع * حتى رأيت هذين الغرابين • ثم انى بعتها أخيراً ما أرادت أن تشتريه • وحاولت أن أقبلها قبلة واحدة تعويضا عما خسرته معها فما أمكن لي لان أنفينا حالا ما بيننا • ثم ذهبت ومكثت أنا على تلك الحال مدة • فلما تحققت انى لا أصلح للتجارة لان النساء لا يشترين الا من كان فرهدا غيسانيا تبركا بجمال طلعته فى أنهن يتمتعن بما اشترين من عنده وتذكراً لذلك النهار السعيد الذى عرفنه فيه • وانى مذ فتحت الدكان لم أبع الا لتلك الكرنيفية وكان ذلك بخسارة • عزمت على الرهبانية فذهبت الى دير ما وقلت للرئيس قد أقدمنى الزهد فى الدنيا والرغبة فى الاخرة • فان الدنيا لا تغنى عن الاخرة شيئا • وأن اللبيب من اتخذ دنياه هذه مجازا الى تلك • اذ لو كانت هذه وطننا الذى شاءه لنا خالقنا لكنا نعمر فيها طويلا • على أنا نرى أن من الناس من يولد فيها ويعيش يوما واحداً فهذا دليل على أنا لم نخلق لها • [illegible] ذلك من الكلام الذى جرى على ألسنة [illegible] • فقبلنى الرئيس واعتقد فى الفضل • واتفق فى اليوم القابل أنه حاول التسور على حائط ليتخذ منه الى بعض بيوت الشركاء • فدخلت فى احدى عينيه قصدة من غصن شجرة فذهبت بها فرجع غضبان وقال تشاءمت بقدومي الي [illegible] • اذ كان قد ألف التسور

قبل مجيء بمدة طويلة ولم يعرض له شيء قط • فمن ثم طردني من الدير فدخلت ديراً آخر وأعدت الكلام الاول • فقبلني رئيسه فأقمت ثم أياماً أقاسي فيها من قشف المعيشة والوسخ ما لا يرضى الله ولا أحدا من العالمين • هذا عدا ما كنت أرى من عناد الرهبان وتفرق آرائهم • وطعن بعضهم في بعض وشكواهم الدائمة للرئيس من أمور باطلة • وتكبر هذا عليهم وأثرته بأشياء استخصها لنفسه من دونهم • وتنافسهم فيما يهدى اليهم النساء من نحو منديل وكيس وتكة • وزد على ذلك كله جهل الجميع اذ لم يكن في الدير كله من يحسن كتب رسالة في معنى من المعاني • حتى ان الرئيس نفسه أدام الله عزه لم يكن يعرف أن يكتب سطراً واحداً بالعربية • وانما كان يخط هذه الحروف السريانية المعروفة عندهم باسم كرشوني وكان هذا الجاهل يتبجح بمعرفته لها ويحمل كل من دخل صومعته على إعظامها • حتى أنه كان يدعو أياما لزيارته فكانت الاغرار من الرهبان تعتقد أن ذلك من حسن أخلاقه وكرم طباعه • وكان قد كتب بها على بابه سطراً وعلى الحائط سطراً آخر فكنت حين أنظر ذلك أضحك • وهو من غفلته يظن أني أضحك إعجاباً بها • ومن كان خبّاً مخاتلا من الرهبان على جهله (فان كثيرا من الناس قد(جمعوا بين الجهل والختل) كان يتقرّب اليه استجلاباً لرضاه بأن يقول له وهو حاسر الرأس تواضعاً وخشوعاً أكرم عليّ ياسيدي بنسخة من خطك أصلح عليها خطي فكان ذلك من أحسن ما يُدل به عليه

فلما اشتد على الخطب من عشرتهم وخصوصاً من رداءة الطعام نفقت أدمدم وأنضجر فسمعني يوماً طباخ الدير أشكو من قلة السمن في الأرز الذي كان يطبخه في بعض الأعياد العظيمة وكان عتلا زنيما فستشاط مني غيظاً وحملني على كتفه كما يحمل الرجل ولده ولكن بلا شفقة ثم ذهب بي الى دار الدير وغطسني في خابية السمن وهو يقول

هذا السمن الذى أطبخ به الارز الذى لم يعجبك يا صاحب الخرطوم.
يا سايل البوم • يا نصيب المحروم • يا ابن اللوم • يا أبا الكبائر والجروم
يا رائحة الثوم • يا ريح السموم • يا علجوم • يا منهوم • يا لهوم •
يا وخوم • وصب على قوافى كثيرة غير هذه • فبلغ منى تغطيسه
عرضى فى السب أكثر من تغطيسه رأسى فى السمن فتملصت منه
بعد جهد ودخلت صومعتى حتى أغتسل واذا به يطرق الباب
ويعج ويقول لابد من أن أعصر أنفك فقد دخل فيه من السمن ما
يكفى الرهبان أياماً ثم أهوى بيديه على منخرى كأنهما كلبتا حداد
وجعل يعصرهما أشد العصر • حتى ظننت أن قد زهقت نفسى منهما
فان الأنف وحده دون سائر ثقوب الجسد محل دخول النفس وخروجه
خلافاً لقوم • ولذلك يقال تنفس الانسان • فلما شق على ما قاسيته ولم
أجد فى الدير من أشكو اليه • إذ الرهبان كلهم يتملقونه ويتوددون
اليه حتى يشبعهم ولو من الثرتم • (وهو ما فضل من الطعام والادام
فى الاناء) خرجت من الدير مبتئساً حزيناً قانطاً وقد ضاقت الدنيا على
برحبها وقلت أين أذهب بأنفى هذا الذى سد على مذاهب الرزق •
أم أين يذهب بى • فخطر ببالى أن أقصد ديراً بعيداً كنت أسمع عن
رهبانه انهم صلاح وان بعضهم يحسن الخط العربى ويحب الغريب ويكرم
الضيف • فتوجهت اليه فلما سلمت على رئيسه وطالعته بما عزمت عليه
أحمد رأيى وهش بى لكنه لم يتمالك أن نظر الى نظر المتعجب منى
المستعيذ من شؤم تبعة تلحقه من أنفى • فمكثت فى ديره ما شاء الله
أن أمكث

الفصل السادس عشر

﴿ في تمام قصة القسيس ﴾

وجعلت من همي مدة مكثي هناك بادئ بدئ مداراة الطباخ ومساحنته والثناء عليه * فكان لا يحوجني الى شئ مما يمكن نيله في في الدير * حتى اني جعلت جل مقامي في المطبخ * وكنت أحسن أيضاً طبخ ألوان من الطعام لايعرفها هو فعلمته إياها فكلف بي • فكان رئيس الدير اذا استضافه أحد عزيز عليه أو اشتهى لوناً من الطعام بخصوصه كلفني به • فكنت أتأنق له في عمله ما أمكن حتى حظيت عنده • أعني اني كنت أسامره وأجلس بين يديه • ثم اني تلبست بالصلاح والتقوى بين الرهبان • فكنت أسدل قلنسوتي حتى تبلغ قصبة أنفي • ويا ليت العادة جرت بأن يستر الأنف بها كله • وكنت اذا مشيت أخفض رأسي الى الارض ولا أنظر يميناً ولا شمالا الا لمحاً واذا أكلت أو شربت أو رقدت أو مشيت أو غسلت وجهي أخبر عن ذلك كله حامداً لله ومثنياً عليه • فأقول مثلا • قد خرجت اليوم من صومعتي ولله الحمد أو ولله المجد وهي أحب الى الرهبان • أو تناولت في هذا الصباح مسهلا ان كان الله تقبل وما أشبه ذلك مما عرف عند المتظاهرين بالتقوى • حتى اعتقد الرهبان فيّ جميعاً الصلاح والفضيلة • وكنت أيضاً قد كتبت بعض صلوات ركيكة للرئيس فأعجب بخطي ومدحني على ذلك ووعدني بأن يرقيني الى درجة تليق بي • إذ رآني

متميزا عن الرهبان بالعلم وجودة الرأي ٠ واخص ذلك بكوني غيداراً (الغيدار هو السيء الظن يظن فيصيب) ثم قدر الله رب الموت والحياة أن مات في بعض البلدان البعيدة بعض القسيسين الذين يباشرون خدمة الرعية ٠ اى الذين ياكلون ويشربون فى بيوت الناس لافى الدير ٠ والذين يختلطون برعيتهم خلافا لعادة الرهبان ٠ فان هؤلآء لايخالطون الناس الا عند الضرورة ٠ فتسبب رئيس الدير فى ان بعثنى الى ذلك البلد فى مكان القسيس المتوفى اى بدلا منه لا انى دفنت معه فلما وصلت تلقانى اهل كنيستى بالاكرام والترحيب ٠ فابديت فيهم الورع والعفة فشاع فضلى بينهم ٠ حتى ان بعض التجار ممن كان حرمه الله من لذة البنين دعانى الى منزله لاقيم عنده رجآء ان يفتح الله رحم امراته بسببى كما تقول التوراة فتلد له البنين ٠ وكانت جميلة رشيقة القد ٠ قاعدة النهد ٠ تحب الخلاعة واللهو ٠ والقصف والزهو (سبحان الله ماأحد يذكر النساء الا ويهيج خاطره للسجع) فأقمت عنده مدة ٠ فى انعم عيش وجدة ٠ ثم عنّ لى ان أغازل زوجته وناغيها واعاشرها واراضيها ٠ فاجابت الى مراودتى ٠ ولم تبال بارنبتى ٠ فان من طبع النساء الميل الى الولى ٠ والاستغناء عنه بالقصى ٠ وما ادراك مااعتذرت به احدى النساء بقولها قرب الوساد ٠ وطول السواد ٠ فبرزت الدنيا لعينى ح فى احسن صورة ٠ ونسيت مالقيت في الدير من المشاق الكثيرة ٠ وقلت لاعوضن علىّ مادامت فرصة الحظ لى ممكنة ٠ وشوارده مذعنة ٠ كل ما فاتنى منه ايام كنت حائكا ٠ وطباخا وناسكا ٠ ثم فرضت على نفسى ان تقسم لذاتى معها على كل يوم غير مرة ٠ كدأب المتزوج بحرة ٠ وعلى الحاضرة٭ وهو الان أيضا فى حيز الغابر ٠ بحسب البواعث والبوادر ٠ فبدأت بالعدد ٠ حتى بلغت الامد ٠ وكان الرجل ذانية سليمة ٠ وشيمة مستقيمة ٠ فلم يكن يسيء بى الظن ٠ ولا يعوقه عن

شغله امر عنّ . فترك لنا قطوف اللذات دانية . وكؤوس المسرات صافية ومن العجب . الذى ينبغى ان يدوّن فى الكتب . انها كانت تخاصم الخادمة فى حضرته وغيابه . وتشتمها بين يديه افحش الشتم منعا لارتيابه ولم تخش منها تبعة . ولا كانت من طردها جزعة . وقد طردت كثيرا من الخوادم لسبب ولغير سبب . بعد سبهن كل السب . وحملهن على الحقد والغضب . وذلك من معجزات النسآء وبدعهن الغريب . الذى يعمى الرجال عن كنه سره العجيب . والحاصل انى كنت اعجب بحسنها كما كنت اعجب من فنها . وانى اقمت معها على هذه الحالة فى غاية السر مفنقا راتعا ولا حظر (١) ومتزوجا ولا مهر . ثم استانفت عدداً آخر . اطول من ذالك واكثر . فلما ابطرتنى النعمه . وامنت من الدهر كل نقمه . نقر فى راسى ان اجمع بين الكافين . فان بكثرة العين قرة العين . ولما رايت من انهمك فى الاول . الا وتعاطى الثانى وما اشبهه من العقل . وذلك كالقمار والجبخ والفشخ والحدج والجر والاجار والندب والخطر والرشق والقرع والنجش والصبن والصغو والغذمرة والحارضة والمناحبة والمراهنة والمجازفة والمحاقلة والمزابنة والاجباء والمداخلة والمعارضة والمنابذة والمبادة والمباخسة والمغابنة والموالسة والتدليس والتطويش والمقاطرة والمعاومة والمراوضة والمواصفة . فطهبل وطهفل ومحل وتطهمل . ودجل وزعفل . وابطل وتخبل . وعرقل وتبهلص (٢) وتبلهص وبهصل فاجتمعت برجل كنت اسمع عنه انه يتعاطى هذه الصنعة . وقد تفرغ لها بجد وبذل فيها وسعه . واوسع فيها بذله . وعقل بها عقله وفى الجملة والتفصيل . من دون قافية وسجع طويل . تعاطيتها معه

---

(١) افنق الرجل تنعم بعد البؤس

(٢) تبهلص الرجل وتبلهص خرج من ثيابه وبهصل خلع ثيابه فقامر بها

(انتهى سجع القسيس) قال فجملت اتفق فيها ما اجمعه من العجائز والاغرار برسم النفوس والارواح • وانا مع ذلك مواظب على الصنعة الاولى • بل كان ذلك داعيا لزيادة هيام كل منى ومن بزيعتى • فانها طمعت ح فى الهدايا والصلات كما هو دأب النساء فى كل امر يحدث لازواجهن وعشاقهن • فبلغ خبر صنعتى هذه الحديثة للجاثليق • فارسل يطلب منى المال الذي جمعته • فتعللت له بعلل اباها ولم يرضها • فتسبب فى احضارى اليه وضبط ما كان عندى من متاع وغيره • ولم يشق علىّ فقد ذلك كله قدر ماشق على انقطاع العدد الذى كنت شرعت فيه فى بيت التاجر الصالح • ثم انى تقلت من عكال الجاثليق بعد مدة كادت ان تنسينى لذات لايام الغابرة وخرجت فى طلب آخر نكاية لذاك فصرت الى جاثليق من اشد الناس عداوة لجاثليقى القديم • اذ العداوة توجد بين الجثالقة • كما توجد بين الزنادقة • فاقمت عنده مدة ثم خشى علىّ ان يرهقنى من ذاك سوء فسفرنى الى بلاد بعيدة فى سفينة حرب • فاسرنا بعض ساعات حتى تعطل بعض ادوات السفينة وخشى ربانها ان تغرق بهم • فرجع وقد تشاءم بى وقال لبعض الركاب انه انما جرى عليه ما جرى من شمختريّتى • فتعجبت اذ بلغني كلامه جدا • لان اولئك القوم لا يرتسمون ولا يتشاءمون • ولا يتطيرون ولا يتفاءلون • ولا يتحتمون ولا يتيمنون • ولا يتسعدون ولا يتمسحون • ولا يقلدون بعود الشبارق ولا يستعملون نبت العطف • وما عندهم هقعة ولا الجام • ولا عاطوس ولا عاطس • ولا كابح ولا كادس • ولا قعيد ولا داكس • ولا بارح ولا سانح • ولا زجر ولا تحزى ولا عيثرة ولا عيافة • ولا طرق ولا عرافة . ولا هجيج ولا كهانة . ولا ابنا عيان ولا تنجى . ولا لمة ولا حفوف . ولا لعطة ولا انتجاء . ولا تشوه ولا تعيد . ولا طلاسم ولا تشهق . ولا عزائم . ولا رقى ولا تمائم . ولا الينجاب ولا تولة

ولا حوط ولا غز . ولا تدسيم النونة ولا شد الحقاب . ولا دَسع ولا صخبة . ولا قليب ولا كبدة . ولا وجيه ولا سلوانة . ولاسلوان ولا عقرة . ولا مجول ولا مهرة . ولا أخـذة ولا عوذة . ولا هبرة ولا رأمة . ولا كحلة ولا هِنمة . ولا جلبة ولا صرة . ولا قبلة ولا نشزة . ولا قبلة ولا تفرة . ولا صـدحة ولا همرة . ولا زرقة ولا عطفة . ولا فطسة ولا صرفة . ولا غضـار ولا كرار . ولا بريم ولا حرز . ولا خصمة ولا رتيمة . ولا أسحم ولا صهميم . ولا تذعب ولاصوت اللوف . ولا هامة ولا صفر . ولا أخذة النار ولا تجبيس . ولا لحج ولا انـكيس . ولا أس ولا شحيثا . ولا طب ولا تول . ولاسحر ولا ماقط . ولا عاضه ولا مستنشئة . ولا نفاثات فى العقد ولا صـدى . ولا شمبذة ولا نيرنج . ولا شعوذة ولا حابل ولا حاو . ويومئـذ أيقنت أن القنافى مكروه عند جميع الامم . وأن أوقية لحم زائده فى وجه الرجل تشقيه وتحرمه . ورطلين فى بتيلة المرأة يسعدانها ويفيزانها فزاد تعجبى من هذه الدنيا المبنية على رطلين وأوقية من اللحم . ومع ذلك فلم يمكن لى الزهد فيها .

ثم أنى سافرت بعـد ذلك الى تلك البلاد وأمنت فيها من مكر أعدآى . واستأجرت بيتاً واتخذت لى أمرأه تخدمنى . وقـد جرت العادة فى تلك البلاد وفى بلاد الافرنج أيضاً بان يتخذ القسيسون نساء للخدمة . فتأتى المرأة أحدهم صباحاً وهو فى فراشه الوثير وتقضي له ما يروم منها . فلما ذقت طيب العيش وسوس الىّ الوسواس أن أتزوج بنتاً فقيرة لكنها كانت جميـلة . غير أنى لم أكن على يقين من نهود ثديها ومع ذلك فقد كلفت بها . فطلبت من الجاثليق أن يزيد وظيفتى فأبى . فألححت عليه وهو مصرٌّ على المنع وأنا مصرٌّ على الاستزادة ثم ناقشته وراغمته فرأى أن يردنى من حيث جئت . فسرت الى جاثليق

محب للجاثليق الاول فسرّ برؤيتي وأنزلني عنده . فرجعت الى ما كنت عليه سابقاً . وها أنا مترقب فرصة أخرى تمكنني من المقايضة على هذ النحس الآخر أيضاً فانه جاهل جداً . وعندي أن مبادلة الجثالقه في هذا الزمان العسوف . أنفع من حجر الفيلسوف . انتهت قصة القسيس

وهذا تفسير ما أشار اليه آنفاً من الالفاظ الغريبة .

ابنا عيان — طائران أو خطان يخطهما العائف فى الارض ثم يقول ابناعيان أسرعا البيان الخ .

أخذة النار — بُعيد صلاة المغرب يزعمون أنها شر ساعه يقتدح فيها .

الاخذة — رقية كالسحر أو خرزة يوخّذ بها .

الارتسام — التكبير والتعوذ والتحتم التفاؤل .

الاسحم — الدم تغمس فيه أيدى المتحالفين .

أس — كلمة تقال للحية فتخضع .

الانكيس — فى أشكال الرمل كالمنكوس .

البارح — من الصيد ما مرّ من ميامنك الى مياسرك .

البريم — خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده المرأة على وسطها وعضدها .... والعوذة .

التحزى — حزا حزواً وتحزى زجر وتكهن وحزى الطير ساقها وزجرها

تدسيم النونة — تدسيم نونة الصبى تسويدها كيلا تصيبها العين .

التذعّب — تذعبته الجن أفزعته .

التشهق — شهقت عين الناظر عليه أصابته بعين .

التشوه — يقال لا تشوه على أى لا تصبنى بعين .

التعيد — تعيد العاين على المعيون تشهق عليه وتشدد ليبالغ فى اصابته بعينه . ذكره الفيروزابادى فى ع و د .

التنجيس — اسم شيء من القدر أو عظام الموتى أو خرقة الحائض كان

يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به •

تنجى — تنجى لفلان تشوه له ليصيبه بالعين كنجا له ونجأه بالهمز أصابه بالعين •

التول — تال يتول عالج السحر •

التولة — السحر أو شبهه وخرز تحبب معها المرأة الى زوجها كالتولة

الجلبة — العوذة تخرز عليها جلدة •

الحابل — الساحر •

الحرز — العوذة •

الحفوف — شدة الاصابة بالعين •

الحوط — خرزات وهلال من فضة تشده المرأة فى وسطها لئلا تصيبها العين •

الخصمة — من حروز الرحال تلبس عند المنازعة أو الدخول على السلطان •

الرأمة — خرزة المحبة •

الرتيمة — كان من أراد سفراً يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها فان رجع وكانا على حالهما قال أن أهله لم تخنه والا فقد خانته وذلك الرتم والرتيمة •

الرسع — رسع الصبى شد فى يده أو رجله خرزًا لدفع العين •

الزجر — العيافة والتكهن •

الزرقة — حرزه للتاخيذ

السانح — ضد البارح .

السلوان — ما يشرب ليسلى أو هو أن يؤخذ تراب قبر ميت فيجعل فى ماء ديسقى العاشق فيموت حبه الخ

السلوانة — حرزة للتأخيذ وخرزة تدفن فى الرمل فتسود فيبحث عنها

ويسقاها الانسان فتسليه .

شدالحقاب الِحقاب خيط يشد فى حِقو الصبي لدفع العين .

الشعبذة الشعوذة

الشعوذة أُخَذ كالسحر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله فى رأى العين

شحيثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح

الصخبة خرزة تستعمل فى الحب والبغض

الصدحة وبالضم والتحريك خرزة للتأخيذ

الصَّرة خرزة للتأخيذ

الصرفة خرزة للتأخيذ

الصهميم حلوان الكاهن

صوت اللوف نبات له بصلة تسمى الصراخة لان له في يوم المهرجان صوتاً يزعمون أن من سمعه يموت فى يومه

الصفَر حية فِي البطن تلزق بالضلوع فتعضها أو الخ)

الطب مثلثة الرفق والسحر

الطَرق أن يخلط الكاهن القطن بالصوف اذا تكهن

العاضه الساحر والعِضَة الكذب والبهتان والسحر

العاطوس ما يعطس منه ودابة يتشاءم بها والعاطس ما استقبلك من أمامك من الظباء

العرافة العرّاف الكاهن والطبيب وصنعته العرافة وقد عرف ككتب

العطف نبت يؤخذ بعض عروقه ويلوى ويطرح على الفارك فتحب زوجها

العطفة خرزة للتأخيذ

العُقرة خرزة تحملها المرأة لئلا تلد

عودالشبارق الشبارق شجر حال ويقلد الخيل وغيره بعوده للعين

العيافة عفتُ الطير أعيفها عيافة زجرتها وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنواعها فتتسعد أو تتشاءم

العيثرة عيثر الطير رآها جارية فزجرها

الغز غزّ الابلَ والصبيَّ علق عليهما العهون من العين

خضاروكَرار الخضار خزف يحمل لدفع العين وكرار خرزة للتأخيذ تقول الساحرة يا كرار كرّيه ويا همرة اهمريه ان أقبل فسريه وان أدبر فضريه

الفطسة خرزة لهم للتأخيذ يقلن أخذته بالفطسة بالثؤباء والعطسة

القَبلة ضرب من الخرز يؤخذ بها

القبلة ما تتخذه الساحرة لتقبل به وجه الانسان على صاحبه

القُليب خرزة للتأخيذ

الكابح ما استقبلك مما يتطير منه

الكادس ما يتطير به من الفال والعطاس وغيرهما والقعيد من الظباء وهو الذى يجيء من خلفك ويتشاءم به ونحوه الداكس

الكبدة خرزة للحب

الكَحلة خرزة للتأخيذ أو للعين

الأجام ما يتطير منه

اللحج لحجه بعينه أصابه بها

اللعطة اسم من لعطه بسهم أو بعين اصابه

اللمة يقال أصابته من الجن لمة أى مس أو قليل والعين اللامة المصيبة بالسوء

الماقط الحازى المتكهن الطارق بالحصي

المجول العوذة

المستنشئة الكاهنة

المهرة خرزة كان النساء يتحببن بها

النشرة رقية يعالج بها المجنون أو المريض

النفاثات في العقد السواحر

النفرة شيء يعلق على الصبي لخوف النظرة

النيرنج أُخذ كالسحر وليس به

الهامة الصدى وهو طائر يخرج من رأس المقتول بزعم الجاهلية

الهبرة خرزة يؤخذ بها الرجال

الهجيج الخط يُخط في الارض للكهانة

الهقعة دائرة في الفرس يتشاءم بها .

الهمرة حرزة للتاخيذ .

الوجيه خرزة م كالوجيهة قلت الظاهر أنها للوجاهة .

الينجلب خرزة للتاخيذ أو للرجوع بعد الفرار .

الحاوى رجل حواء وحاو يجمع الحيات .

قلت هذا غاية ما ذكر صاحب القاموس في ح ى ى والظاهر انه واوى ولكن ضعفه في الوا وبقوله قيل ومنه الحية لتحويها الخ وقوله يجمع الحيات كانه لحظ فيه معنى لايناسب ماقاله في تفسير الحنفش وعبارته . او حية عظيمة ضخمة الرأس رقشاء ركداء اذا حويتها انتفخ وريدها . فهو صريح هنا في الرقية وقد ذكرت ذلك وما اشبهه في كتاب مفرد :

الفصل السابع عشر

فى الثلج

لاغروان يجد بعض القارئين كلامى في هذا الفصل باردا لانى كتبته في يوم عبوس قمطرير . ذى زمهرير . والثلج اذ ذاك ساقط على السطوح • وقد سد الطرق ودخل فى البيوت والصروح • وكاد يطفى النار • ويذهب بالاصطبار • ويزرى بالقمر والقمار • غير انه لاينكر احد أن شارب الثلج او آكله اواللاعب به يحس منه بحرارة • وكذلك قارى كلامى فانه وان وجده باردا فلا بد وان يحتمى علىّ من هذه البرودة • فيكون قد حصل الغرض وهو تسخين دماغه • ولا سيما اذا كان قد بقيت فيه بقية غيظ وحدة من الفصل المتقدم • ولكنى لم اقصد فيما حكيته الا الصدق ولو خطر ببالى ان آتى افكا وعضيهة لأوعيت ذلك فى قصيدة وختمتها بدعاء ومدح لاحد البخلاء • ومن مارانى فى ذلك فليسال القسيس نفسه الا ان الثلج يخالف كلامى من جهة انه يسقط على الاسود فيبيضه وكلامى قد سقط على القرطاس فسوده • وكلاهما فى ظنى يروق العين وكلاهما يجتمعان فى هذه الجهة • وهي ان الثلج لاتطلع عليه الشمس اياما الا ويذوب • وكذا كلامى فانه لايكاد يبقى منه شئ فى رأس القارىء بعد تقمره او عند ظهور بوح عليه • وهناك جهة اخرى تضمهما • وهو ان الثلج بعد سقوطه ينشأ عنه الصحو وانجلا الجو • وكذلك كلامى مايرفانه بعد تساقطه من رأسى ينشأ عنه انجلاء جو فكرى وصحو بالى واستمداده الى وق ويروع • فعلى كل حال تجد المشابهة هنا فى موقعها وعذرى فى محله • وبعد فانى أرى الاغنياء المثرين يتخذون فى ديارهم الفسيحة مساكن للصيف وأخرى للشتاء وكنا للمبيت وآخر للاستحمام • ومن

لم يكن له من غيرهم الا بيت واحد فغير جدير بان يزار فيه الا حين يكون بيته موافقا لوقت الزيارة • او يكون وقت الزيارة موافقا لبيته فبناء على ذلك ينبغي للعلماء اقتداء باكابرهم الاغنياء ان يتخذوا لهم في رؤسهم الفيحا مواطن متعددة مختلفة لما يأتي عليهم من الكلام البارد والفاتر والحميم • ففي وقت ثوران الدم وهيجان الطبع يقرأون البارد تقليلا مما حركهم من بواعث الحرارة • وفي وقت السكون يتلون الحميم او بالعكس على مذهب من يداوي الشيء بجنسه لا بضده . لا يقال ان القارىء يضيع وقته في تمييز البارد والحميم من هذه الفصول • اذ لا يستوعب مضمونها الا اذا اتى على آخرها . بخلاف سائر الكتب فانه لا يتعمد فيها الكلام البارد فهي على منهاج واحد • فاني اقول ان كل فصل من تلك الفصول له عنوان يدل عليه دلالة قطعية كدلالة الدخان على النار . فمن درى العنوان فقد درى الفصل كله . مثال ذلك اذا مر بك في احد الفصول ترجمة البالوعة او البلوعة او البلاعة او البربخ او الاردبة فلا بد لك من ان تفطن الى ان حمارا من حمر الدير قد غطس فيها للتعريب او الترجمة الا انه لا ينبغي للقارىء اذا درى مغزى الفصل من العنوان ان يضرب عن قراءته. ثم يقول لو متبجحا بين اقرانه واخوانه قد قرأت الساق على الساق وفهمت معانيه كلها • فان ذلك يكون كقول مقنس (١) قد رايت اليوم الامير اعزه الله وكلمته مع انه لم يكن رأى منه الا قذاله عن بعد • ولم يتح له تقبيل يده الشريفة • او كان ذلك الامير قد ساله عن شيء فتلعثم في الجواب او تروى فيه فسب اباه واجداده ولعنه وتهدده بالصلب او بسمل عينيه • او كقول هبنقع (المزهو الاحمق المحب لمحادثة النساء) قد رايت اليوم فلانة . ولما ان

---

(١) أقنس الرجل ادعى الى قنس شريف (أي أصل) وهو خسيس

واجهتني وقفت وتنفست الصعداء . مع انها تكون قد وقفت لتبصق اوانها تنفست الصعداء بهرا . بل الاولى ان ينوي القارى عند افتتاحه هذا الكتاب ان يتصفحه كله من اوله الى آخره حتى حواشيه وعدد صفحاتة . ويعتقد ان لكل مؤلف اسلوبا . وانه لايمكن لاحدان كلهم . إذ الاهواء متفاوتة والآراء مختلفة . ومن الأسرارالتي بقيت مكتومة عني انك تجد بعض المؤلفين فاتر الحركة غير ذي نشاط ولامرح قليل الارتياح الى مايبعث على التهاوش والتناوش . متقاعس الهمة عن السبح والحركة . ناظراً الى الحوادث كلها نظر المتوقع لها . وهو مع ذلك اذا أخذ القلم أنبض كل عرق في القارىء وحرك كل ساكن . ومنهم من تراه نزقا حركا ذا تترع وتسرع وحفد وصميان واقبال وادبار وسعي وتهافت . ومعاجلة ومبادرة ومزاحمة ومزاهمة ومسابقة ومحاشرة . ثم هو أن قال شيئاً سقط من رأسه على ذهن القارىء سقوط الثلج حتى يكاد أن يخمد منه ذكاؤه . فلما تأملت فى ذلك وتحققته ارتبت فى كون سقوط الثلج ناشئاً عن فرط برودة متكونة فى الهواء وقلت بل لعل سببه فرط حرارة حزّت فى صدر الجو على سكان هذه الارض . ووافر وغر تكون فى حشاه فلفظه عليهم ثلجاً انتقاما منهم عما يأتونه فى الليالى الباردة من المنكرات . وذلك ان بعضهم يحاول عكس الطبيعة فيسخن فراشه بأداة فيها نار . وبعضهم بأداة فيهاماء حميم وبعضهم بأداة فيها شراب . وآخرون بأخرى فيها لحم . وربما كان من ذلك اللحم لحم خنزير أجلك الله . فمن أجل ذلك أسقط الجو عليهم الثلج المترا كم منعاً لهم من الخروج من ديارهم لاستعمال هذه الادوات لكي يستريح من فسادهم ولو يومين . الا أنه قد فاته ان كثيراً من هؤلاء الناس يتخذون أداة للأداة أو أداة لأدات الأدوات . مثال الأول ما اذا تربع الغني فى دسته وتدثر بفروته وقال لغلامه اسر ياغلام الى

محل كذابا وائتنى منه بأداة لتسخين فراشى هذه الليلة . فيذهب الغلام يطأ الوحول والثلوج ورجل سيده نظيفة . ومثال الثانى ما اذا كان السيد جواداً سخيا فيبعث غلامه في مركب له أو فى آخر مما يستأجر من الطرق . أو اذا كان ذا سيادة وإمارة ويريد أن يكتم سره عن غلامه لأن لذة الخادم انما هى الثلب فى عرض مخدومه وجعل نفسه أولى بالمخدومية منه . فيستعمل ذلك السيد آخر أو آخرين أو أخر فى مكان غلامه . ويكون قد بعث اليهم من قبل ذلك بهدية على يد خادمه إظهاراً لمكارمه . أو أنه أعطاهم إياها من يده . فيكون سقوط الثلج على أى حال كان سببا في التسخين والحرارة . لانه اذا اعتبر فى حق المخدوم كان سببا في اتخاذه الأداة . وان اعتبر فى حق الخادم وغيره ممن سد مسده كان موجبا للحسد . وهو من أعظم المؤثرات تسخينا وإحماء . ومع كونه أى الثلج يرى ساقطا على كل موضع فى المدينة دون تمييز دار عن دار فان لفظه فى الحقيقة لايصيب الا رؤس بعض الناس . وكان الأولى أن يطرد حكمه فيعم لا مثل أحكام اللفظ الارضى فانها تجرى على قوم دون قوم . والفرق بين اللفظين هو أن الثلج لما كان سقوطه أو لفظه من علو الى سفل كان المظنون به انه يتصوب على جميع الرؤس بشدة . فيشمل الكبير منها والصغير والمسفط منها والمسمرط . فأما الاحكام والقوانين الارضية فمن حيث كان لفظها من سفل الى علو أى من رؤس ناس مسودين الى رؤس ناس سائدين . لم يكن من المحتمل أن يكون تبعتها قويا حتى يبلغ ذوى الرفعة والعلا الذين يمر السحاب من تحت قذلهم .

ثم ان الثلج مع ما يتبعه فى الواقع من الضنك والمشقة لمن ألفه فقد يروق لعين من لم يكن رآه . فقد بلغنا أن بعض الصعاليك كان مرة ضيفا عند أناس لم يكرموه ولم يحتفلوا به اذ كان دونهم فى المعارف

والنباهة . وكان بلدهم لايسقط فيه ألبتة . فلما فصل من عندهم الى بلاد أخرى رأى فيها الزرق وعاين بها الثلج كبر لرؤيته وهلل وأعجب به غاية الاعجاب . حتى زعم أنه منة من الله خص بها ذلك الصقع تعزية له على غيره . كما انه تعالى حرم منها بلد مضيفه الاول . وكذلك كلامي هاهنا فانه مع ما فيه من الاستطراد والحشو والالفاظ المضغوطة بين المعانى ومن المغازى المعقودة بالتلميح والتلويح . والتحويل والتمليح . فقد يروق لخاطر من لم يكن قد ألف هذا التخليط بل ربما يحمله الاعجاب به على أن تحديه ومحاكاته . ولكن هيهات فان الباب قد أغلق فى وجوه المتحدين . على انى لست أزعم أنى أول كاتب فى الدنيا نهج هذه الطريقة وأسعطها المتناعسين . إلا أنى رأيت جميع المؤلفين فى سهوة كتبي قد قيدوا أنفسهم بسلسلة نفس من التآليف واحدة . لكنى لا أعلم الآن هل غيروا أسلوبهم أولا . اذ قد مضى على بعد فراقهم أكثر من خمس سنين . فكان العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة قد عرف سائر الحلق حتى اذ كل واحد منهم يصدق عليه أن يسمى حاقيا . بناء على انه مشى وراء القوم وحذا حذوهم . فاذ قد تقرر ذلك فاعلم أنى قد خرجت من السلسلة فما أنا بحلقي ولا بستيهى ولا أكون أمام القوم فان الثانية أنحس من الاولى . وانما أنا مستقبل لما استحسنت آخذ بناصية مااستظرفت . رافض مكلف العادة .

الفصل الثامن عشر

﴿ فى النحس ﴾

لقد أرحت سن القلم من كدم اسم الفارياق قليلا بعد ان تركته مع القسيس الربيط . وتلهيت بالكلام على الثلج لما داخانى من فرط الحده عليهما معا . أما على القسيس فلكونه خان صديقه الذى أواه الى منزله فى حرمته . وكان ينبغى له أن يذهب الى مؤاجره أو يفعل كسائر القسيسين من أهل حرفته . إذ لو كان الله تعالى رزق ذلك التاجر ولدا على نيته أى فتح له رحم امرأته كما تقول التوراة لكان أربعة ارباع هذا الولد من القسيس والباقى وهو اسمه من التاجر . فيكون قد أقام نفسه مقام من يرب المغول . مع أن أول ذكر فاتح رحم كما تقول التوراة مبارك ومعظم عند جميع الامم . ولهذا كان حق الوراثة عند الانكليز للبكر أى لفاتح الرحم . فكيف يحاول القسيس هنا جمع اللعنة والبركة على رأس مخلوق واحد . ان ذلك الامحال. وأما على الفارياق فلانه هو الذى كان السبب فى إفشاء هذا السر بما أبداه من العناد والتصلف فى حفظ أبياته التى لا أشك فى أنه ارتكب فيها المين والغلو والمبالغة المردودة لغير نفع . وهو مع ذلك يحسب ان يحسن صنعا . فأما مشابهة الولد أباه له فى الخلق هل هى دلالة قطعية على كونه ابنه فغير مشفق عليها فذهب بعض الى أنها ليست علامة كافية . لان الام قد يحتمل فى حالة كونها مسافحة أن تكون مفكرة فى زوجها ومتصورة له فيأتى توزيع الجنين بحسب هذا التصور . وذهب بعض الى أن الام وحدها لا فاعلية لها فى التوزيع فقد يأتى بعض الأولاد مشابهاً لعمه أو خاله أو لآخر ممن لم تكن أمه قد رأته قط . والآن ينبغى لى أن أستمر فى القصة .

.وأن أعرضها على مسامع القارىء من دون اجراض أحدنا بغصة * فأقول

قد تقدم فى أول هذا الكتاب أن الفارياق ولد والطالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى التيس • والسرطان واقف على قرن الثور • فاعلم هنا أن النحس على قسمين نحس ملازم ونحس مفارق • فالنحس الملازم مالزم الانسان فى يقظته ومنامه وأكله وشربه وغدوه ورواحه وفى كل ما يأتيه . والنحس المفارق ما خالف ذلك أعنى مالزم الانسان فى حال دون حال • واعرف ما يكون لزومه فى الاحوال الخطيرة الشأن الزواج والسفر وتأليف كتاب ونحو ذلك • ثم ان ماهيات النحس الملازم مختلفة أيضاً • فمنه ما يكون كالعقدة المحكاة • ومنه كالربقة ومنه كالمسمار •ومنه كالوتد ومنه كالمشبك . ومنه كالقفل بلا مفتاح ومنه كالغرا ومنه كالغمجار • ومنه كالجاذ ومنه كالشراس ومنه كالدبق والطبق أوكالرومة أو الثرط واللزاق.ومنه كالجلد ومنه كالدم السارى فى جميع أوصال الجسد ومفاصله . وجناجنه وسلائله. وسناسنه وشلاشله . وترائبه وتراقيه.وشراسيفه وبوانيه. وعضاريفه وحوانيه . وربلاته ومذاخره . وعضلاته وتواشره.وعصبه وبوادره واعصاله ومرادغه . وسافينه وناعوره . ووريده ووتينه . وأسهريه وأخدعيه • ومريئه وفليقه • وحلقومه وبخاعه • ونائطه ونخاعه . وأوداجه وذفرا . وثفنته وشظاه • ورواهشه وشرايينه . ونسيسيه وأشلائه . وعموده وأشوائه .فنحس الفارياق كان من هذا النوع . غير أنه لا ينبغى أن يفهم هنا أنه كان دمويا أى كثير الدم أو محباً لسفكه أو ولاجا فيه • فانه كان منزها عن هذه الصفات كلها • وانما كان نحسه كالدم من جهة انه كان ملازما له فى جميع أحواله • فقد ورد وان يك كاذبا فعليه كذبه انه بات ليلة وقد رأى فى المنام انه

شرب مثلوجا ثم شرب عقبه سخينا فأصبح يشكو من وجع فى أضراسه شديد ومن بحح فى حلقه : وكان يحلم أنه يتهور من قنة جبل أو يسقط عن ظهر جمل فيغدو وظهره منقوس . وكان اذا حلم أنه أكل السكامخ مغصه فى ليلته . أو شرب أجاجا أو زعاقا قاء . أو اشتم روائح كريهة غثت نفسه . وكان اذا حدثه أحد بأنه رأي فى حديقته ربحلة رأى هو فى المنام ليلته تلك أنه فى

ويل	واد فى جهنم أو بئر أو باب لها .
أو فى الموبق	واد فيها .
أو فى الفلق	جهنم أو جب فيها
أو فى بولس	سجن فيها .
او فى سجين	واد فيها .
اوفى أثام	واد فيها .
او فى الحطمة	باب لها .
أو في غى	واد فيها أو نهر .
أو فى الصعود	جبل فيها . وحوله
لبينى	اسم بنت ابليس .
أو زلنبور	أحد أولاد ابليس الخمسة .
أو مسوط	ولد لابليس يغرى على الغضب .
أوالسرحوب	شيطان أعمى يسكن البحر .
أو خنزب	شيطان .
أو السرفح	اسم شيطان .
أو الحم	الشيطان أو الشياطين .
أونهم	شيطان
وهياه	من أسما الشياطين .

أوالحباب اسم شيطان .

أو الازب اسم شيطان

أو أزَب العقبة اسم شيطان .

أو الهرا اسم شيطان موكل بقبيح الاحلام .

أوالولهان شيطان يغرى بكثرة صب الماءفى الوضوء

أو الخبث والخبائث ذكور الشياطين وأناثها ..

أو السفيف ابليس ويسمى ايضا المبطل وكنيته ابو مرة
وأبو قترة .

او عمرو اسم شيطان الفرزدق .

اوالقاوط من أولاد الجن والشياطين .

أو الشيصبان والبلأز والقاز والخابل والخناس والوسواس
والفتان والاجدع .

وكان اذا بصر من كوة بيته بكمكامة مكماكة خيل له فى المنام
أنه فى

أرض خافية بها جن .

أو فى البراص منازل الجن .

أو فى الدلوقة موضع بناحية البحرين فوق كاظمة يزعمون أنه
من مساكن الجن .

أوالعازف ع سمى لأنه تعزف به الجن *

أوفى الحوش بلاد الجن *

أو فى وبار وبار كقطام وقديصرف أرض بين اليمن ورمال
سميت بوبار بن إرم لما أهلك الله تعالى عادا
ورث محالهم الجن فلا يرها أحد منا *

أو فى عبقر   ع كثير الجن *
أو فى جيهم   كثير الجن * ولديه
الشيصبان   قبيلة من الجن *
أو بنو هنام   قبيلة من الجن *
أو بنى غزوان   حى من الجن *
أو دهرش   اسم أبى قبيلة من الجن *
أو أحقب   اسم جنى من الذين استمعوا القرآن *
أو زمزمة   قطعة من الجن *
أو الشق   جنس من الجن *
أو شنقناق   رئيس للجن *
أو العسل   قبيلة من الجن *
أو العسر   قبيلة من الجن وهو أيضاً اسم أرض للجن
أو السعلاة والعيسجور والشهام   ساحرة الجن
أو السمسلق   أم السعالى *
أو العضرفوط   من دواب الجن *
أو النظرة   الطائف من الجن *
أو الزوبعة   رئيس للجن
أو الخافى والخافية والخافيا   الجن وكذا الخبل *
أو التابع والتابعة   الجنى والجنيه يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب
أو العكنكع والكعنكع   الغول الذكر
أو الخيدع   الغول الخداعة *
أو السلتم والصيدانة والخيعل والخيلع وخولع والخينعور والسمر سمرذ والسمع والعولق والعوق والهيرعة والهيمرة والملد والعمرناة كلها من

أسما الغول) *

أو العتريس	الغول الذكر *
أو التمسح	المارد الخبيث *
أو الدرقم	اسم الدجال وهو أيضاً المسيح كسكين * *
أو الطغموس	المارد من الشيطان والخبيث من الغيلان *
أو الزبانية	جمع زبنية وهو متمرد الانس والجن ومثله العكب *
أو الحبزبون	وكان صاحبنا وهم فى هـذه فانى لم أجدها فى القاموس

فكيف يمكن رؤيتها فى المنام * واسمها غير موجود فى قاموس الـكلام *مع أن المص رحمه الله وزن عليها الحيزبور والخيتعور والقيدحور والعيجلوف والعيطبول والهيجبوس والجيهبوق والريزفون والجيثلوط والعيضفوط * ثم انه كان اذا سمع خنبة تـكلم رجلا بمنطق رخيم سمع فى الليل عزيفا وهساهس وتهويدا وزيزماوهدهدا وزهزجاوزى زيء (كلها من أصوات الجن) واذا رآى جارية تردى نصف النهار (١) جاءه فى نصف الليل الـكابوس والجاثوم والدوفان والنيدل والباروك والديثان والديثاني * ورأى ليلة ما أن قد زفت

اليه عروس فأتاه تيس وجعل ينطحه بقرنيه فاستيقظ فاذا بقرن رأسه مرضوض * ورأى ليلة أخرى أن قد وجـد على شاطىء نهر دنانير ودراهم فمد يده وأخذ منها خمسة عشر درهما لا غير * فلما عبر الشط الثانى رأى شيخا بيده كرة يديرها * فكان كلما أدارها أخـذ الفاريق فى ظهره وجع شديد كوجع الداء المعروف فى بلاد الشام بالوثاب

(١) ردت الجارية رفعت رجلا ومشت على أخرى تلعب *

فلما رجي بالدراهم من شدة ما أصابه سكن عنه الوجع * ورأى ليلة أخرى أن رجلا مغربيا أتحفه بشيء فتلاقفه في الحال مشرقي وذهب به * قال والي الآن لم يرجع به مع انتظاري له كل ليلة * وقس على ذلك سائر أحلامه * ومما قال له في الحلم نظما *

كأنّ همومي وهي تحت مخدتي اذا بت تغرى بي الهراء لتذرئه
تقول عليّ اليوم كان بواله وان عليك الليل ذا أن تخرّئه

وقال

أسر اذا انقضى يومي لأني أرجي فيه أحلاما تسر
فأحلم انني أسعى وأشقى فليلي مثل يومي أو أشر

وقال أيضاً

ويارب حتى في المنام تروعني بأضغاث أحلام تسوء وتزعج
فياليتني أشقى نهاري وفي الكرى أسر برؤيا من أحب وأبهج

وعن له يوما أن يمدح بعض ذوى السيادة والسعادة * فلما حظي بلثم اعتابه الشريفة وأنشده القصيدة رجع القهقرى على عادة أهل بلاده من أن الصغير لا يرى الكبير قفاه * اشارة الا انه لا اقذال الا قذال الكبير ثم جاءه الحاجب يقول ان الامير أدام الله دولته * وخلد صولته * وجعل الشمس والقمر نعلا لفرسه * وجعل يومه خيرا من أمسه * وجعل ظله ممدودا على الأرض ظليلا * وجعل طرف الكون بتراب نعاله مكحولا * وجعل الثريا مقرا لرجليه * والعيوق شراكا لنعليه وجعل الوجود باسمه مبتهجا * وبابه لكل لائذ ملتجا مرتجى * وجعل فلم يتمالك الفارياق أن بادره وقال دعني من جعل يا جعل * ماذا يقول الأمير * قال يقول الامير المعظم * الخطير المكرم ذو الآلاء الغامرة والنعم الوافرة * من اذا قال فعل * واذا سئل أعطى فأجزل * واذا تنحنح ألقى الرعب في قلوب أعاديه * واذا سعل خفقت فرقا أفئدة

شانئيه * واذا مخط ارتج المكان لهيبته * واذا حبق تزلزل المجلس لحبقته * فقال الفارياق أف لهذه الرائحة الخبيثة يا خبيث قل ما يقوله الأمير * وأرحني من هذا التقعير * لقد بززت على الشعراء بهذا الغلو والاطراء * قال انه يقول لك انك قد أحسنت فى أبيات القصيدة وأبدعت ما شئت * لانك شبهته بالقمر والبحر والاسد والسيف الماضي والطود الراسخ والسيل المنهمر مما هو خليق بالاتصاف به * الا فى بيت واحد جعلته فيه قوادا * قال كيف ذلك حل الامير عن القيادة * قال نعم انك قلت أنه يجود بالمال والنفائس ويولى الابكار * وقلت فى بيت آخر أنه محمد الذكر محمود محمود المناقب وهو غير محمد ولا محمود * وبسبب هذا الخطأ الفاحش حرمك من رؤيته * قال هذه عادة الشعراء انهم لا يزالون يتلمظون بذكر الخرائد والمحامد * وليس المقصود بذلك نسبة القيادة الى الممدوح * قال هذا غاية ما عندى فلا تطمع بعد فى المثول بحضرة أميرنا المبجل * فمن ثم رجع الفارياق محروما من هذا المغنم الهني * وبلغ منه الغيظ أن أضله عن الطريق المستقيم * فسار فى طريق آخر وما وصل الى منزله الا بعد اللتيا والتى * وأخذ يفكر فى نحس طالعه وشؤم قلمه * فظهر لهوسه أن القلم أنحس شيء يتخذه الانسان سبباً لمصالحه * وان إشفى الاسكاف أنفع منه * وان تقديم النون عليه فى قوله تعالي ن والقلم وما يسطرون ان هو الا اشارة الى النحس * وان ما قاله المنجم فى طالعه صحيح * فانه أول المرأة التى زفت اليه فى المنام بالعقرب * والجدى بالتيس الذى كان ينطحه والسرطان نفسه اذا رجع القهقرى من عند الامير فكاد أن يعثر بحصير مجلسه السامى لولا أن تمسك ببعض أوتاده الشريفة * وأول الثور بالامير الممدوح * ألا ان العبارة الاولى وهى قول المنجم نحس النحوس غير محصورة فى حادث واحد * اذ هى تستغرق جميع الاحوال والحوادث

كما سيرد بيانه * وذلك ان الفارياق لما سمع من نجية الذي قايضه على الاعتراف أن المساومة فى قيل وقال وهى من البياعات الرابحة * والاسباب الناجحة * خلج فى صدره أن يجرب تنفيق ماعنده من البضاعة المزجاة الا انه لم يعرضها على أحد من أول وهلة على أحـد المشترين من الجثالقة كما فعل صاحبه بل أخذ فى تقليبها وتفليتها وتمشيطها وتنسيلها من جهة واستشفافها من أخرى * فظهر له انها قديمة قد ركت بحيث لا يكاد احد أن يرغب فيها

واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يفدد على شرآء السلع القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها • وادعى انه يقدر أن يعيدها الى لونها الاول • وانه لايعجزه شيء من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها • وانه اى العنقاش لما بلغه فى بلاده فساد تلك السلع اقبل حفدا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات مايرفأ كل خرق ويعيد كل لون نافض • فسار اليه الفارياق عجلا الى المقايضة وواطاه على ابدال ماعنده من السلعة القديمة باخرى جديدة راقت لعينه • فقد يقال لكل حديد بهجة • ثم قفل الى منزله ممرورا بصفقته • فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا• لعمر رب الجنود ماجرت العادة فى بلادنا بتغيير البياعات ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها • ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصقع وكان من الضواطرة الكبار • فكانما كان سكينا سقط على حلقومه او خردلا دخل فى خرطومه • فهاج وازبد • وابرق وارعد • وماج واضطرب • وضج وصخب • والب وحزب • وبربر وثرثر • واقبل وادبر • وزجر ونهر • ووثب وطفر • وفتل لحيته من الغيظ حتى صارت كالمقرعة • واغرى كل حنتوف مثله بان يهيج معه • ونادى

ياخيل الله على الكفار . انهم صالوا النار . كيف تجرا هذا الشقي المنحوس، المعتوه المهلوس . على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له جاثليقة . وسلكه فيه بطريقه . وكيف اقدم بوقاحته . وصفاقة وجهه وقباحته . على معاملة ذلك العنقاش اللئيم . ومبايعته ماورثه من ابائه من الزمن القديم اليس في بلادنا صلب . وادهاق ويلب . هلموا به مهانا . اجلدوه عريانا اطرحوه نيرانا . القموه حيتانا . اطعموه دمانا . اقطعو منه لسانا اسقوه الزنانى . على به الآن الان . فابتدر بعض الحاصرين وقال انا آتيك بهذا الجعشوش باسرع من رد طرفك اليك . ثم ولي حفدا الى الفرياق فوجده مكبا على قراءة الدفتر الذى فيه اثمان السلعة . فتناوله بالسيف فاصاب فروته . ثم سيق الفارياق الى الجزار المشار اليه . فلما بصر به انتفخت اوداجه واتسع منخراه وتعقدت اسرة جبينه واصفرت شفتاه . ورقص شارباه واحمرت حدقتاه مقواحترقت اسنانه ودارت بينهما هذه المحاورة .

قال الضوطار ويلك يامغبون . مادعاك الى المساومة فى سلعتك .

الفارياق اذا كانت هي سلعتي كما اقررت فما الذى يمنعني من ذلك.

الضوطار ضللت . هى سلعتك من حيث انك ورثتها من ابائك لا من حيث ان لك حق التصرف فيها .

الفارياق هذا خلاف العادة والحق فان مايرثه الانسان يحق له التصرف فيه .

الضوطار كذبت . انك انما ورثتها لتحفظها لالتضيعها ولا لتبادل بها *

الفارياق هي ميراثى افعل به ماشاء *

الضوطار قبحت * انى أنا القيم عليه الصائن له من الشوائب

الفارياق ما بلغنا عن أحد انه تولى ميراث غيره الا اذا كان

الوارث غير راشد *

الضوطار غويت * انك أنت غير رشيد وانا وليك ووصيك وكفيلك ووكيلك وحسيبك *

الفارياق ماالدليل على أنى لست من الراشدين ومن ذا الذى جعلك وصيا ووليا *

الضوطار زغت * انما الدليل على غوايتك وضلالك هو أنك تبذلت به متاعا غيره * وأما كونى وصيا فان جميع امثالى يشهدون لى به كما أنى أنا أيضا أشهد لهم بأنهم أولياء غيرك

الفارياق ليس تبديل شىء بآخر دليلا على الضلال والزيغ اذا كان المبدل والمبدل منه من جنس واحد * ولا سيما أنى رأيت لون القديم يوشك أن ينصل وقد ركت رقعته فتبدلته بما هو ازهى واقوى *

الضوطار كفرت * انه غشى على بصرك فما تستطيع ان تفرق بين الالوان *

الفارياق كيف ذلك ولى عينان ناظرتان ويدان لامستان *

الضوطار عميت * فان الحواس قد تغش ولاسيما حاسة البصر *

الفارياق اذا كانت حواسى قد غشت فكيف سلمت حواسك من الغش وانت بشر مثلى *

الضوطار حنت * إنى وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل من طرف شيخ السوق * وقد افادنى مما اودع الله فيه من الاسرار العجيبة ان لا يطرأ على غبن ولا غش الا وتبينته لانه هو منزه عن الغش *

فقال الفارياق وكان به فأفاة * واين شيخ الفسوق هذا ثم

استدرك كلامه وقال انما اردت شيخ السوق فلا تكن زيادة هذه الثمانين موجبة لحد الثمانين

الضوطار لعنت * هو بعيد عنا بيننا و بينه ابحار وجبال * غير ان انفاسه القدسية تسرى فينا *

الفارياق كيف به اذا مرض او جن او مسه طائف من الجن او اصابه برسام * فكيف يمكنه والحالة هذه تميز المتاع الردى من الجيد *

الضوطار هلكت * ما هو يبلو للعوارض لانه بواب رتاج عظيم وبيده مزلاجان عظيمان لاحكام الباب من قبل ومن دبر *

الفارياق ليس هذا بدليل فان كل انسان فى العالم يمكنه ان يصير بوابا ذا مزلاجين *

الضوطار فسقت وفجرت * انه هو وحده مستبد بهذه الخطة اذا قد فوضت اليه من المالك الآمر *

الفارياق متى كان ذلك *

الضوطار صلت * مذ الفى سنة تقريبا *

الفارياق او عاش هذا الشيخ الفى سنة *

الضوطار الحدت * انما انتقلت اليه بالوراثة *

الفارياق ممن ورثها أمن ابيه وجده *

الضوطار نكات * من انسان لا يعد فى اهله *

الفارياق هذا امر عجيب كيف يرث الانسان شيئا من رجل غريب فان الغريب اذا مات عن غير وارث انتقل ماله الى بيت المال فهو اولى به من رجل على حدته *

الضوطار عذبت * هذا سر ليس لك ان تبحث فيه *

الفارياق مالدليل على كونه سرا *

الضوطار أخشت * هذا هو الدليل * وعند ذلك قام عجلا واتى بكتاب واخذ يقلب فيه من اوله الى آخره حتى يجد فيه مطلوبه اذ لم يكن كثير الدراسة له * الى ان وجد عبارة مضمونها ان المالك كان احب مرة رجلا فوهبه هبات شتي من جملتها كاس وطست وعصا فى راسها صورة ثعبان وجبة وتبان ونعلان وباب له مزلاجان * وقال له قد وهبتك هذه كلها فاستعملها واهنأ بها *

الفارياق لعمرى ليس فى هذه الهبة مايدل على سر * هذا وقد مات كل من الواهب والموهوب له وفقد الموهوب كله * فكيف لم يبق الا المزلاجان فقط وقد ضاع الباب وهما لا ينفعان من دونه شيا *

الضوطار فندت * لم يبق لنا فى غير المزلاجين من حاجة *

الفارياق بحق هذين المزلاجين عليك ياسيدى الا ماأريتنى الكاس مرة فى العمر وحسب * ولك على بعد ذلك الامرة التامة *

فلما ان ضغط الضوطار بين هذا السلب والايجاب استشاط وغراوهم ان يلحق الفارياق بالباب والكاس لولا ان دعاه داع الى اللوس * فقام ناشطا ووكل به بعض الاوغاد وكان وقتئذ يتضور جوعا فرأى ان رؤية قعر القدر فى المطبخ اشهى اليه من النظر الى وجه الفارياق * فتغافل عنه فتملص الفارياق من هذه الورطة واقبل يهرول الى الخرجى وقال له * لقد خسرت تجارتى معك فان البضاعة كادت تمنيني ببضع * فابتغي منك الاقالة * اولا فان يكن عندك فى الخرج راس يلائم جثتى حين تعدم هذا فارنى اياه ليسكن روعى * اذلا يمكن لى ان اعيش بلا راس

فاما ان لم يكن فى الخرج غير اللسان فمالى به حاجة هذا متاعك فضمه اليك * فقال له الخرجي ماهكذا حق التعامل * ينبغي ان تصبر على مايلحقك من تبعة الصفقة كما هو داب جمع المتبايعين عندنا * وتلك من بعض خواص هذه التجارة ولكن لاتخف فان من خواصها ايضا ان تقي الواقي لها وتحفظ المحافظ عليها * فيكون له بها غنى عن الراس اذا نقف * وعن العينين اذا سملتا * وعن اللسان اذا استل * وعن الساقين اذا غمزتا بالدهق * وعن اليدين اذا غلتا بالكبل * وعن العنق اذا وقصت * والكبد اذا فرصت * قال ماارى ما ترى فان الاسف لايحيي مائتا * والندم لايرد فائتا * فان يكن عندك مخزن آمن فيه من العدو على السلعة فاوني اليه * والا فهذا فراق بيني وبينك * فاطرق الخرجى ساعة ثم دخل به حجرة صغيرة واغلق الباب * واخذ يمتحن الفارياق كما سيرد بيانه فى الفصل الآتى *

الفصل التاسع عشر

فى الحس والحركة

قد جرت عادة الناس جميعا بان يقولوا اذا احبوا شيئاً او اشتاقوا الى شيء ان قلبي يحب هذا الشيء • او يحسن بعحبة هذا الشيء • او يشتهى ذلك الشيء • ولست ادرى علة هذا الاستعمال • فان القلب انما هو عضو فى الجسم من جملة الاعضاء فلا يمكن ان تكون حاسيتها كلها مجموعة فيه • وبيانه ان من احب مثلالونا من الطعام بخصوصه فلينظر في ادوات الاكل الباعثة على اشتهائه . ومن احب امرأة فلينظر في الاداة الباعثة على اشتهائها . وما يميل اليه الطبع وهو غير محتاج الى اعمال اداة ظاهرة وذلك كحب الرئاسة والسعادة والدين ينبغى ان يحمل على الراس . اذهى امور معنوية لاعلاقة لها بلك البضعة اى القلب. وكما ان الطحال الذى هو وزير الميمنة لاتعلق له بهده الامور . فكذلك كان وزير الميسرة اى القلب . الا انه لما كانت حركة القلب اسرع من غيره لكونه اقرب الى الرئة التي هي حرز التنفس . ظن الناس ان القلب اصل فى جميع اهوآء الانسان واشواقه . ومن عادتهم اجتنابا للبحث عن كثرة الاسباب والعلل والتيقن للحقائق ان يقتصروا على سبب واحد من الاسباب المتعددة . وينسبوا اليه كل ماتسبب عن غيره . كما تنسب الشعراء مثلا دواعى النحس الى الدهر ودواعي البين والفراق الى الغراب

وبنآء على هذا الاعتقاد اى نسبة الاهوآء كلها الى القلب اراد الخرجى. ان يمتحن قلب الفارياق ليعلم هل نبض فيه حب السلعة الجديدة نبضا قويا اولا . فجعل يقول له هل تحس فى قلبك بان السلعة الجديدة خير من الاولى . وهل يضطرب فرحا وسرورا عندما تسمع بذكرها . وهل ينبسط ويتسع وينشرح عند خطور هذه ببالك . وينقبض ويضيق ويتضام عند ذكر تلك . وهل عند قرآتك دفتر الاثمان يخيل لك ان قد طبع فيه اى فى قلبك كل حرف من حروف الدفتر . حتى لواعوزك وجوده سدت تلك الحروف مسده. وهل يضطرم ويتوقد مرة ويذوب ويضمحل اخرى . ثم يعود اقوى مما كان عليه كالسمندل المعروف وهل تحس ايضا بان ناخسا ينخسه . وواخزا يخزه . وعاصرا يعصره وراهصا يرهصه . وممزقا يمزقه . وضاغطا يضغطه .

فقال له الفارياق اما الاضطراب والخفقان فانه دائما على مثل هذه الحالة . وهو عرضة لذلك فى حالتى الفرح والترح فان ادنى شىء يوثر فيه . واما التوقد والذوبان فلا ادرى . فقال المراد بالتوقد هنا و بالنخز والعصر الحميه والتحمس والنهوس وتخيل ماهو معدوم موجودا وما هو موهوم يقينا . ومثل ذلك من يسافر في فلاة لاماآء فيها فيبلغ منه الظمأ أن يتصور السراب ماآء وشعاع الشمس نقزا ولايزال يمنى نفسه بوجدان الماء حتى يقطع المفازة . فان شدة التخيل والنهوس تعين الانسان على تحمل المكاره والمشاق . فيكون رازحا تحت ثقلها وهو يحسب انه من المتكئين على الارائك . فيستوى بذلك عنده المجاز والحقيقة والمحسوس وغير المحسوس . حتى يحسب الصفر خوانا والنعش عرشا والخاروق او الصليب منبرا • وربما كان ذازوجة وعيال فيتخذهم متخذ الماعون من الخزف فيغادرهم ويجرى فى البلدان القاصية لترويج

السلعة . ويستغنى عن هله واخوانه ورهطه بالديه فى الخرج . فيحمله على كتفه مستبشرا مسرورا ويضرب مناكب الارض طولا وعرضا فكل من مر به من عباد الله عرض عليه الشركة والمضاربة . ولا يزال دأبه كذلك حتى يقضى نحبه وطوبى له ان مات على هذه الحالة. الخرج الخرج . مالنا سواه من حرفة ولا شغل . السلعة السلعة . ليس لنا غيرها من جعل . ثم طفق يبكى وينتحب . فلما افاق بعد حين ساله الفارياق هل عندكم معاشر الخرجيين سوق وشيخ للسوق . قال لا قال ومن يقوم لكم المتاع قال كل منا يقوم متاعه بنفسه ولا نحتاج الى آخر . فتعجب الفارياق وقال فى نفسه ان فى هذا لعجبا . فان قوما من هؤلاء الصعافيق لهم شيخ سوق وما لهم خرج . وقوما لهم خرج وليس لهم شيخ . ولكن لعل صاحبى هذا على الحق . اذلو لم يكن كذلك لما تكلف حمل الخرج من اقصى البلاد وتجشم اخطار السفر وغيره . ثم نخزه الخناس ان الخرجى ربما لم يجد محترفا فى بلاده فجاء بما عنده لينفقه في بلاد اخرى . فان تاجرا لو استبضع من بلده مثلا خزا او كرباسا الى بلد آخر لم يحكم له بانه قدم الى هذا البلد حبا باهله فقد جرت العادة بان المتسببين يطوفون فى كل الاقطار . ثم فكر فى ان أناة الخرجى وما هو عليه من الرزانة والصبر لابدوان يكون قرينها الرشد والحزم . بخلاف النزق والطيش فانه لايكون الاقرين الغواية والضلال . فمن ثم حكم بان الخرجى كان على هدى وذلك لاناته وحلمه وان المطران كان من الضالين لحدته وتترعه .

ثم قال للخرجى قد وعيت ياسيدى كل ماوعيته اذنى . وما ارى الحق الا معك . وانى مشايعك ومتابعك وحامل للخرج معك . ولكن جرنى من هؤلاء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لاتاخذهم فى خلق

الله رافة ولا شفقة • وعندهم ان اهلاك نفس غيرة على الدين يكسبهم عند الله زلفى • وقد تمسكوا بظاهر اقوال من الانجيل فيما رأوه موافقا لغرضهم وزائدا فى جاههم وسلطانهم • فيقولون ان المسيح بقوله ماجئت لالقى على الارض سلما لكن سيفا انما رخص لهم فى اعمال هذه الاداة فى رقاب الناس ردا لهم الى طريقة الحق • وقد نبذوا وراء ظهورهم خلاصة الدين وجوهره ونتيجته • وهى الالفة بين جميع الناس والمحبة والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى • وما صعب على من زاغ وعمى عن الحق ان يستخرج من كل كتاب وحيا كان او غير وحى ما يوافق غرضه وفساد عقيدته • فان باب التاويل واسع • ايجوز الآن لامير الجبل اذا شاخ ولم يعد التدثر بالثياب يدفئه ان يتكوى ببنت عذراء جميلة اى يتدفأ بها ويصطلى بحر جسدها كما فعل الملك داود ام يجوز له اذا حارب الدروز وانتصر عليهم ان يقتل نساءهم المتزوجات واطفالهم ويستحيي ابكارهم لتفجر بهن فحول جنده . كما فعل موسى باهل مدين على ماذكر فى الفصل الحادى والثلثين من سفر العدد . ام يجوز له ان يتزوج بالف امرأة ما بين ملكه وسرية كما فعل سليمن. ام يجوز لاحد من القسيسين ان ينكح زانية ويولدها النغول كما فعل النبى هوشع . ام يسوغ لاحد من الولاة ان يقتل من اعدائه كل رجل وكل أمرأة وكل طفل رضيع . كما فعل شاول بالعمالقة عن امر رب الجنود . حتى ان الرب غضب عليه لعدم قتله خيار الشاء والانعام ولا بقائه على اجاج ملك العمالقة وندم على انه ملكه على بنى اسرائيل فقام صمويل وقطع الملك قطعا امام الرب فى جلجال .

هذا وانى قد قرأت فى فهرست التوراة المطبوعة فى رومية فى حرف الهاء مانصه ينبغى لنا (اى لاهل كنيسة رومية) ان نهلك الهراطقة اى المبتدعين او المتاحنين . واستشهدوا على ذلك بما كان يجرى بين

اليهود واعدائهم من القتال والفتك والاغتيال على ما سبق ذكره . فأن يكن دين النصارى يحلل قتل الرجال والنساء والاطفال والفجور بالابكار من النساء و يبيح التوثب على عقار الغير من دون دعوة الى الدين بل بمجرد عتو وظلم كما كان يحلله دين اليهود . فلاى سبب نسخه اذاً وابطل احكامه . لكن دين النصارى مبنى على مكارم الاخلاق . وغايته من أوله الى آخره ابقاء السلم بين الناس . وحثهم على الاصلاح والخير . والا فلا يرجع يهودا . فلما سمع الخرجى ذلك رأى ان وراء هذا الكلام لباقعة فحرص على انقاذ الفارياق من ايدى العتاة . فارتاى ان يبعثه الى جزيرة تسمى جزيرة المالطة استئماناً فيها . فركب الفارياق فى سفينة صغيرة سائرة الى الاسكندرية . فلما ان سارت بهم غير بعيد هاج البحر واضطرب بالسفينة فلزم صاحبنا فراشه من الدوار . وطفق يشكو من ألم البحر و ينوح قائلا .

(نواح الفارياق وشكواه)

ويلي من السفر ومما اشتق منه ما كان اغناني عن مقاساة هذا الضر الاليم . ما كان اغناني عن هذه المساومة التي سامتني هذا الكرب العظيم . ما ذا وسوس الي حتى دخلت بين الضواطرة ولا عائدة لي من هذا الفضول الذميم . لقد ولدت في الدنيا وعشت زمانا ولم يخطر ببالي ما اختلف فيه عبام وبعيم . فلأي شيء دخلت في هذه المضايق وتورطت في هذا الشر العقيم . هل كان يعنيني ما تهاتر عليه اهل المشرقين من فساد رأيهم وخلقهم اللئيم . لهفي على القلم وان يكن في شقه شق وحول محاجه الونيم . لهفي على الحمار الذي كان يرتع ويرفس من لي بذلك البهيم . لعله الآن احسن حالا مني ولعله في نعيم متيم . وانا اليوم بما فرطت مليم . من لي بالحسان والاخوان فيهم بزيع نديم . زمان لاشغل الا معاقرة المدام والتطريب والترنيم . ليتني قلت ما قال الناس وعبدت معهم البعيم . (استغفر الله قد كفر صاحبنا) ليس كل وقت وقت جدال ومناقشة خصيم لقد نصحني المطران بقوله ان الحواس قد تغش في الضئيل والجسيم . والغبي والحكيم . والجاهل والعليم . انه يعرف الحق ويقول غيره خوف كل عتل زنيم . اذ الجاهلون لا يعجبهم الا التضليل والتهييم ، ألم يقل لي انك لاتقدر على تجديد القديم ، وعلى تقويم مالا يستقيم ، نعم ان الحواس تغش وسيان في ذلك السفيه والحليم . والكريم واللئيم . ثم وقف قليلا حتى يورد امثلة على هذا واذا به يقول . ان القبيحة الشوهاء اذا نظرت وجهها في مرآة تقول ان كنت شوهاء عند بعض فاني حسناء عند آخرين . ولذلك قال صاحب القاموس الشوهاء العابسة والجميلة ضد . وان القناف

اذا نظر جلمود انفه قال يحتمل ان بعض الحسان يرغبن فيه وما يرين به امتا ولا عوجا ؟ وان سادتنا القباح من الملوك والمالكات وذوى السعادة والجد لايصورهم المصورون الا حسانا ؟ وهم لاينظرون انفسهم في العناس الا كما صورهم المصورون ؟ وانا لانرى الشمس طالعة ولما تكن قد طلعت كما يقول الرياضيون ؟ ونرى العصا في الماء معوجة وهي غير ذات عوج؟ وان السراب يرى الشخص اثنين ! وان بعض الالوان يبدو بلونين ؟ وان السحرة يخيلون للناظرين انهم يمشون على الماء ويدخلون في النار ولا يحترقون ؟ ومن يك في سفينه ماخرة قبالة ديار وعقار فانه يرى ما يقابله في الارض متحركا ماشيا وهو ساكن ثابت . ومن يقعد في شباك مناوح لشباك آخر مساو له في الارتفاع فانه ينظره اعلى من شباكه . ولعل صاحبي الخرجي كان بكاؤه لداع غير داعي السلعة . فانه يبلغني عن اللاعبين واللاعبات في الملاهي انهم يبكون ويضحكون ايان شاؤا فلعل البكاء عندهم من الصنائع التي يتعلمونها على صغر . ما ذا يفيدني الخرج الآن . أأدعوه ويتركني . أأحبه ويبغضني . أأحمله وينبذني . فلما ابتدأ هذه السفاهة التي تعد عند الخرجيين كفراً . وعند السوقيين تسبيحاً وعند المتوسطين بينهم سفاهة ناشئة عن الجزع . اذ الناس لم يتفقوا الى الآن الا على الخلاف .

مادت به السفينة ميدة شديدة يحسبها الخرجيون انتقاما من الرب . والسوقيون عارضا من العوارض . فجعل يصرخ ويقول الا ياشيخ السوق عفواً بحق لحيتك التي عند الحلاقين الا ما اجرتني . ياخرج . ياسلعه . يادفتر . ياضواطرة . ياصعافقة . يانساجي السلعة . ياصباغيها . ياسديها ياملحميها يامنيريها يامطرزيها ياموشيها يارقاميها يارفائيها ياشصاريها ياخياطيها ياكفافيها ياشراجيها يانشاريها ياطوائيها ياقساميها (١) يالفافيها

(١) القسامي من يطوي الثياب أول طيها حتى تنكسر على طيه .

يامليحها . تداركوني بحقكم قد هلكت . فما كاد يتم هذا الدعاء الا ومالت به السفينة ميلة تدحرج بها رأسه الصغير كالبطيخة . فجعل يصرخ ويستغيث ويقول لقد عديت عن التفديد . هذا أثره ظهر من أول الطريق فكيف يكون في آخره . ثم غشي عليه وصار يهذى ويقول الخر الخر . فسمعه أحد الركاب يكرر ذلك فظن انه يشكو من احد الاخبثين في فراشه . فلما لم يجد شيئا قال هو يهذى من الألم وتركه . ثم قدر الله ان سكن البحر وصفا الجو وظهرت بعد ساعات ارض الاسكندرية فجاء ذلك الرجل وبشر الفارياق برؤية الارض . فقام متجلدا وغسل وجهه وبدل ثيابه . فلما خرجوا من السفينة سبقهم الفارياق وما كاد يطأ الارض حتى تناول منها حصاة والتقمها وقال هذه أمي. واليها أمى . فيها ولدت وفيها اموت . ثم انه توجه الى خرجى كان في المدينة وادى اليه كتاب توصيه من الخرجى الآخر . ولبث عنده ينتظر سفينة تسافر الى تلك الجزيرة . فلنهنئه بوصوله سالما آمنا . ولنقدم عرض حال للسدة الاميرية . والحضرة الملكية . حضرة بطرك الطائفة المارونية كائنا ما كان. ثم نعرج قليلا على السوقيين والخرجيين وتذكر الفرق بينهم .

(عرض كاتب الحروف)

قد تفلت الفارياق من ناديكم . وانملص من بين ايديكم . وعنجر في وجوهكم جميعاً واصبح لايخاف لكم وعيداً . وبقى الآن ان اذكركم ما اشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على أخي المرحوم أسعد . اذ أودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين . وبعد ان اذقتموه جميع ضروب الذل والهوان والبؤس والضنك في صومعة

صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور أو يستنشق الهواء اللذين يمن بهما الخالق على الابرار والفجار من عباده قضى نحبه وما كان سجنكم له الا لمخالفته لكم فى اشياء لا تقتضى عذابا ولا عتابا . وما كان لكم عليه من سلطان دينى ولا مدني .

اما الدين فان المسيح ورسله لم يأمروا بسجن من كان يخالف كلامهم وانما كانوا يعتزلونهم فقط . ولو كان دين النصارى نشأ على هذه القساوة الوحشية التى تصفعم بها الآن انتم رعاة التائهين وهداة الضالين لما آمن به احد . اذ لا احد من الناس يصبؤ الا اذا كان يرى الدين الذى خرج اليه خيرا من الذى خرج منه . وكل انسان فى الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوعد والتأويق والتشنيع ليس من الخير فى شيء . وناهيك ان المسيح ورسله اقروا ذوى السيادة على سيادتهم وامرتهم . ولم يكن دابهم الا الحض على مكارم الاخلاق والامر بالبر والدعة والسلم والاناة والحلم . فانها هى المراد من كل دين عرف بين الناس .

واما المدني فلان اخى اسعد لم يأت منكرا ولا ارتكب خيانة فى حق جاره أو اميره أو فى حق الدولة . ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعى . فاساءة البطرك اليه انما هى اساءة الى ذات مولانا السلطان لاننا جميعا عبيد له مستامنون فى امانه وحكمه . وكلنا فى الحقوق سواء . اذ البطرك ليس له حق فى ان يخطف من بيتى درهما واحدا لو شاءه فانى له ان يخطف الارواح . وهب ان اخى جادل فى الدين وناظر وقال انكم على ضلال فليس لكم ان تميتوه بسبب هذا . وانما كان يجب عليكم ان تنقضوا ادلته وتدحضوا حجته بالكلام أو الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تخشون تبعته . والا فكان الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك . بل اصررتم على عتوكم فى تنكيله وزعمتم ان فراره من داركم مرة لنجاة نفسه كان زيادة فى جنايته وجريرته فزدتم تجبرا عليه وظلما . وكانى

بكم معاشر السفهاء تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة مهدة ينـدب اليها . ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاضطهاد والاجبار على شيء لا يزيد المضطهد وشيعته الا كلفا بما اضطهد عليه . أولا سيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه القاهر له على ضلال أو انه متحل العلم والفضائل وقرينه عطل عنها . فقد فاتكم على هذا العلم الديني والسياسي . وعرضتم عرضكم للمـذف والتسويد . وذكركم للمقت والتنفيد . ما دامت السماء سماء والارض ارضا . وان اخي رحمه الله وان يكن قد مات فذكره لن يموت . وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشد والبصيرة ذكر معه ايضا سوء فعلكم وافحاشكم وغلوكم وجهلكم وشناعتكم . وقد لعمري اخرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحمة على سفك الدم اكثر مما لو بقي حيا . وحسبك بالخواجا ميخائيل مشاقه الاكرم وبغيره من ذوي الفضل والبراعة مثالا . الم تأخذكم يا غلاظ الاعناق رأفة في شبابه وجماله . ألم تتأثر قلوبكم التارزة لصفرة وجهه حين حجبتموه عن النور والهواء. وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته . وحين لم يبق من ترارته غير الجلد والعظم وبخلتم عليه ايضا ان تطلموه بهما . الم تشفقوا عليه اذ رأيتم انامله قد ضنيت لعوز ما كان يتمتع به حمر ديركم . ولقد طالما والله اخذت القلم فخطت ما يعجب به الملوك . ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فيكم ارتجالا والعرق يتصبب من جبينه ذاك الصليت . ولشد ما ابكى سامعيه تذكيرا وتزهيدا . وطالما الف وعرب لكم كتبا ركيكة وعلم حمقى رهبانكم واخرجهم من ظلمات الجهل . الم يخز وجوهكم الصفيقة ما كان يترقرق في وجهه من ماء الحياء فكان اشد خفرا من مخدرة . وانه كان عزيزا في اهله . مكرما عند الامراء محببا الى الخاصة والعامة . نزيه النفس . كريم الخلق . فصيح اللهجة . انيس المحضر . امثله يحبس ست سنين ويذل وينكل ويموت والله يعلم باي شيء مات . ما بال الكنائس الفرنساوية

والنمساوية والانكليزية والمسكوبية والرومية الارثوذكسية والرومية الملكية والقبطية واليعقوبية والنسطورية والدرزية والمتوالية والانصارية واليهودية لا تفعل هذه الفظاعة والشناعة التي تفعلها الكنيسة المارونية . أم هي وحدها على الحق والناس اجمعون على الباطل . الستم تزعمون ان ملك فرنسا هو مجير الدين وناصره . والناس من اهل مملكته الكاثوليكيين مازالوا يطبعون كتبا يندددون فيها بعيوب رؤساء كنيستهم وقبائحهم وسفاهتهم وفحشهم وشراهتهم والحادهم . بل ان كثيرا منهم قد الفوا تواريخ خاصة بما كان عليه البابوات من الفسق والفجور وسوء التصرف . وبكفرهم بخلود النفس والوحي وبالهية المسيح .

فمنهم من قال ان البابا ارماديوس الثامن ويعرف بدوق صفوى رقى الى درجة بابا وهو عامي . ومنهم من قال ان مجمع باسيل انما كان انعقاده لخلع البابا يوجين وانهم حكموا عليه بالعصيان والارتشاء والشقاق والبدع ونكث اليمين .

ومنهم من قال ان البابا نيقولاوس الاول كان قد حرم كونتيار مطران كولون لمخالفته له في المجمع الذي عقد في متز سنة ٨٦٤ . فكتب المطران المذكور رسائل الى جميع كنائسه يقول فيها . ان المولى نيقولاوس الذي اتخذ له لقب بابا ويحسب نفسه انه بابا وسلطان معا وان يكن قد حرمنا فقد علونا على سفاهته .

ومنهم من قال ان امبروسيوس حاكم ميلان حصل على درجة مطران مع انه كان غير صحيح الاعتقاد بدين النصارى .

ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثامن ارسل نوابا من طرفه الى القسطنطينية . فعقدوا ثم مجمعاً اجتمع فيه اربعمائة اسقف وكلهم حكموا ببراءة فوتيوس وانه جدير برتبة مطران .

ومنهم من قال ان البابا اسطفانوس السادس امر بان تنبش جثة

فرموسيوس اسقف بورطو من القبر لانه كان قداثار شغبا على سلفهالبابا يوحنا الثامن . ثم حكم عليه حالة كونه ميتا بقطع رأسه وثلث من اصابعه والقيت جثته في طيبر . وان البابا سرجيوس كان قد استوزر ثاودورة ام ماروزيا التي تزوجت بمركيز طوسكاني . وانه اى البابا اولدماروزيا هذهولداً رباه عندهداخل قصره مندون محاشاةاحد من اهل رومية . ثم تزوجت ماروزيا بعد ذلك بهونملك ارلس وعملت على قتل البابا يوحنا العاشر لانه كانيهوى اختها . فخنقته بين فراشين واستبدت بالامر . ثم احتالت ان ولت ليو هذه الرتبة ثم قتلته في السجن بعد أشهر . ثم ولت من بعده رجلا خامل الذكر فولى بعض سنين ثم عزلته ونصبت يوحنا الحادي عشر وهو ابنها من سرجيوس الثالث وكان قد أتى عليه أربع وعشرون سنه لاغير . وشرطت عليه ان لا يباشر من الاحكام الا ما كان مختصاً برتبته الباباوية . وانها سمت زوجها ثم تزوجت بسلفها ملك لومباردي وفوضت اليه الحكم . فقام أحد ولدها من زوجها الاول وشغب عليها أهل رومية وحبسها وابنها البابا في صانت انجلو . وانهولى بعده اسطفانوس الثامن . غير انه لما كان بغيضا عند الرومانيين لكونه من جرمانية شوهوا وجهه فلم يقدر بعدها على الظهور بين الناس . ثم انتخب ابن ولد ماروزيا المسمى اكطافيانوس وله من العمر ثماني عشرة سنة وسمي من بعدها ذلك يوحنا الثاني عشر . وكان خليعا ماجنا فحاشا مستهتراً منهمكا في اللذات وهوى النفس مولعاً بركوب الخيل والفروسية . وانما لم يخل ذلك بامور الكنيسةلان أكثر الدول والكنائس كان على هذه الحال . وان اوتو الامبراطور لما علم ان هذا البابا قد اضمر العصيان وكان أهل ايطاليا قد استدعوا حضوره لاصلاح ما اختل من احوالهم توجه من بافيا الى رومية . وبعد ان استتب له الامر في المدينة عقد مجمعاً حضر فيه البابا بنفسه وكثيرا من امراء جرمانيا ورومية

واربعون ألفاً وسبعة عشر كردينالا وذلك في كنيسة مار بطرس . وشكى البابا بحضرتهم اجمعين انه فسق بعدة نساء وخصوصاً ايتنت التي ماتت وهي نفساء . وانه قلد مطرنية طودي لغلام كان سنه عشر سنين لاغير وانه كان يبيع الرتب والدرجات الكنائسية بيعاً وسمل عيني اشبينه في المعمودية سملا . وجب أي خصي احد الكرادلة أو الكردينالات جبا . ثم قتله . وانه لم يكن يؤمن بالمسيح وغير ذلك مما أوجب على الامبراطور خلعه ونصب ليو الثامن في مكانه . الا انه لم يكد الامبراطور يخرج من رومية حتى هاج البابا عليه اهل المدينة . وعقد مجمعاً خلع فيه ليو الثامن وامر بقطع يد الكردينال الذي كتب الشكوى عليه . وقطع ايضا لسان الكاتب الذي كان يقيد الحوادث وانفه واثنتين من اصابعه ثم قتل البابا يوحنا الثاني عشر وهو معانق لامراة وكان القاتل له على ما قيل زوجها .

ثم ان القنصل كريسنتيوس ابن البابا يوحنا العاشر من ماروزيا جيش اهل رومية على اوثو الثاني وسجن بندكتوس وكان من حزب الامبراطور فمات في السجن . فلما بلغ ذلك مسامع أوثو ولى يوحنا الرابع عشر . فقام عليه بونيفاس السابع الذي كان ولى الرئاسة من قبل المنصل وقتله وبقي القنصل مستقلا بتدبير الامور ومباشرة الاحكام الى ان قام غريغوريوس ابن اخت الامبراطور وخلع اوثو الثالث . ثم احتال عليه الامبراطور وضرب عنقه وامر بان تعلق جثته من القدمين . وسملت عينا البابا يوحنا الخامس عشر الذي كان انتخبه الرومانيون وقطع انفه ثم رمى به من ذروة قلعة صانت انجلو . ثم عرضت الرئاسة البابائية على البيع فاشتراها كل من بندكتوس الثامن ويوحنا التاسع عشر واحدا بعد واحد . وكانا اخوي مركيز طوسكاني . ثم اشتريت لولد سنه عشر سنين وهو بندكتوس التاسع . ثم انتخب بابا وان آخران وكان احدهما يكفر الآخر ويحرمه .

ثم اصطلحا على ان يتقاسما دخل الكنيسة فيما بينهما وان يعيش كل منهما مع سريته .

ومنهم من قال ان كنيسة رومية اصدرت مرة منشورا حكمت فيه على بعض ملوك فرنسا بان يطلق امرأته ويباشر دواعى التوبة سبع سنين . وانه لما شهر المنشور فى المملكة سقطت حرمة الملك من عيون الناس فتجنبته الخاصة والعامة حتى لم يبق عنده غير خادمين .

ومنهم من قال ان البابا غريغوريوس السابع عقد مجمعا فى رومية على آنرى الرابع سلطان جرمانية وقال فيه . قد خلعت آنرى عن ولاية النمسا وايطاليا واعفيت جميع النصارى من الطاعة له ونقضت عهدهم له . ولست آذن لاحد فى ان يخدمه باعتبار انه ملك ذو سلطان . وان آنرى لما ضاق بذلك ذرعا اضطر الى الذهاب الى رومية . فلما قدم على البابا وجده خاليا بالكنتس ماتيلدة فى كانوزا (١) فوقف السلطان يستأذن فى الدخول لدى الباب ولم يكن معه احد يخفره . فلما دخل المقام الاول اعترضه بعض حشم البابا ونزعوا عنه حلته الملكية والبسوه ثوبا من الشعر ووقف ايضا ينتظر الاذن فى صحن القصر حافيا وكان ذلك فى قلب الشتاء . ثم الزم ان يصوم ثلاثة ايام قبل تقبيل قدم البابا . فلما انقضت الايام الثلاثة دخل به الى مجلس البابا فوعده بالعفو بشرط ان ينتظر ما يحكم به عليه فى مجلس اغوسبرغ . الى ان قال ثم مات البابا المذكور وخلفه رئيس دير سمي اوربانوس الثاني . وكان مثل سلفه فى العتو والتجبر . فمن ثم جعل يحرض ابنى آنرى على قتال ابيهما . وهذه ثانى مرة هاج البابا فيها الابناء على آبائهم فقاما عليه واودعاه السجن ثم فر منه ومات فى لياج مسكينا ذليلا .

ومنهم من قال ان آنرى السادس ولد فريدريك الثانى سار الى رومية

---

(١) الكنتس مؤنث الكنت من الالقاب الشرف عند الافرنج .

ليتوجه البابا سيلستانوس . ولما كان الامبراطور متطاطئا لتقبيل قدمه وعلى رأسه تاج الملك رفع البابا رجله ورفس بها التاج عن رأسه فوقع على الارض وكان سن البابا وقتئذ ستا وثمانين سنة .

ومنهم من قال ان بعض الباباوات واظنه اينوصنت الثالث حرم الملك لويس واباه . غير ان مطارين فرنسا نسخوا حكمه وأمروا بالغائه . وان البابا اينوصنت الرابع عقد المجمع الثالث عشر على الامبراطور فردريك الثاني وذلك فى سنة ١٣٤٥ وحكم عليه فيه بكفره وبانه كان يتسرى بجوارى مسلمات . فناضل عن الامبراطور خطباؤه وحزبه وردوا على البابا انه افتض بنتا وارتشى غير مرة .

ومنهم من قال ان البابا المذكور اغرى طبيب الامبراطور المشار اليه بان يدس له السم فى طعامه . وان البابا لوقيوس الثاني ولى مرة حصار رومية بنفسه ومات من رمية حجر على رأسه . وان البابا اكليمنضوس الخامس عشر كان يجول فى فينا وليون لجمع المال ومعه عشيقته . وان راهبا من الدومينيقيين سم الامبراطور آرى عن امر البابا ذلك فى القربان وانه فى سنة ١٢٠٠ تزاحم بابا وان على الرئاسة وجمع كل منهما حزبه للقتال وعلى راية كل صورة المفاتيح . وان احدهما تصرف فى آنية كنيسة مار بطرس وانفقها فى اهبة الحرب . وان البابا اوربانوس كان يعذب كل من خالفه من الكرادلة أو الكردينالات وفى ذلك الوقت انكرت دولة فرنسا رئاسة البابا واستبدت اساقفتها بامور رعيتهم .

ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثالث والعشرين شكى بانه سم سلفه وباع الوظائف الكنائسية وقتل عدة ابرياء . وانه كان كافرا ولوطيا معا . فمن ثم خلع بحضرة الامبراطور . الى غير ذلك مما يضيق عنه هذا الكتاب فاني لم اضعه فى الدين وانما أوردت ما مر بك على سبيل الاستطراد . فان كان ما قاله هؤلاء المؤلفون من الفرنساويين حقا كان اخى ابر من هؤلاء

الائمة وا تقى . اذ لم يشك قط بانه لاط أو زني أو سم احدا أو هاج الابناء على ابائهم ليقتلوهم . أو انه اختلس آنية الكنائس أو طغا وتجبر على سلطانه أو ارتشى . وانما هي مماحكات جرت بينه وبين بطركه على اشياء غير مقيسه ولا معدودة ولا موزونة ولا مكيلة . فانت تقول مثلا ان دركات قنوبين المؤدية الى سجين ثلث . وهو قال ثلثمائة . وانا اقول ثلاثة الاف . فما مدخل انسجن هنا والعذاب . وان كان ما قالوه كذبا وافتراء كان ذلك ادعى الى تنكيلهم والاقتصاص منهم ، لافترائهم على احبار الله وخلفائه فواحش لن يستطيع عباد الفتيش ان يأتوا بافظع منها . مع انا لم نر احدا منهم عذب أو نفى أو استفز من داره أو انف من محضره . بل قد طبعت كتبهم المدة بعد المرة . وسعرها في الاسواق كسعر كتب العلم .

ولعل قائلا يقول ان عرضك هذا موجه الى البطرك المتولي الان من أهل الفضل والمكارم وليس هو الذي سجن اخاك وقتله وانما كان سلفه . قلت عندي علم ذلك . غير انه ما دام هو يعتقد ان ما فعله سلفه كان صوابا فهو شريك له ولا يلبث ان يعامل من يقتدي باخي معاملة سلفه . وكذلك يعم اللوم جميع المطارنة والاساقفة والقسيسين والرهبان ان كانوا يصوبون ما فعله البطرك المتوفي . وكنت اود لو اختم هذا العرض بعتاب اوجهه الى حضرة المطران بولس مسعد ابن خالي وخال اخي وكاتب امرار البطرك . ولكني خشيت الآن من الاطالة . وفيما قلت ما يغني اللبيب .

الفصل العشرون

فى الفرق بين السوقيين والخرجيين

اعلم ان للسوقيين شهرة عظيمة فى جميع الاقطار . وذلك انهم احتكروا السلعة منذ القديم فى مخازنهم وقالوا كل من لم يشتر من مخازننا انزلنا به القصاص ثم انهم اخفوا دفتر اسعار البياعات عن المشترين وغالوا بثمن الاصناف واشطوا . فكانوا يتقاضون من المشتري اضعاف القيمة . ثم اتخذوا لهم معامل ومخازن فى جميع الامصار وجعلوها مظلمة خالية عن الكوى ومنافذ النور . فكانوا يبيعون منها من غير ان يبدوا حقيقة لون السلعة ورقعتها وكانوا يجعلون ما يبيعونه من اصنافها ملفوفا مظروفا فياخذه الشارى وينطلق به ولا يرى منه شيئا . وكان عندهم من النساجين والخياطين والرفائين والصباغين ما يفوق العدد . فكان هؤلاء يصنعون لهم كل ما يامرونهم به .

واتفق فى بعض السنين أن وقع موات ذريع فى الماشية واحلت البلاد فقل الصوف والحرير عندهم وكادت الانوال والمعامل تتعطل . فارتأى رجل منهم من اهل الحصافة والحذق ان يستعمل الشعر وبعض اصناف الحشيش بدل ما اعوزهم من الحرير وغيره . وجاء عمله هذا متقنا محكما حتى اشتبه على اكثر الناس . ثم ان نفراً من المعسرين الذين حملهم الضنك في المعيشة على توسيع دائرة الفكر والنظر في الامور والتمييز لها . (فان جل العلماء والمستنبطين من الصعاليك) ذهبوا يوماً الى بعض المخازن لشراء ما لزم لهم وجاءوا بما اشتروه الى منازلهم ملفوفا مصونا على العادة . وكان احدهم يهوى امرأة يريد ان يتزوج بها وقد اشترى لها منديلا فلما اهداه

اياه بحضرتهم وكانت ذات استشراف واستطلاع واستكشاف للمستور كما هو شأن سائر النساء . اخذت المنديل وقبل ان تشكره على معروفه ادنته من نور السراج اذ كانت زيانها له في الليل . فرأت فيه خللا كبيراً مع ان النور كان ضعيفاً يوشك ان ينطفى . واذا بها صرخت تقول . بئس من باعك هذا انه قد غبنك . ان فيه خللا مثل الذى قد فتنك . فلما سمعوا ذلك تنبهوا فاخذ بعضهم ينسل حاجته . وصار الاخر يقيس ثوبه على قامته وهلم جرا . فظهر لهم ان البضاعة ليست على وفق مرادهم لان من ذهب ليشترى حاجة بلون احمر وجدها سوداء . ومن أراد ثوبا طويلا وجده قصيراً . ومن أراد حريراً وجده كرباسا . فرجعوا بها في الغد الى الباعة وقالوا لهم قد بعتمونا مالم نرده . وأوردوا لهم عللا واسبابا للاقالة فقال صاحب المنديل لقد كدتم تسودون وجهى عند محبوبتي البيضاء . وكادت تغاضبني لما اتحفتها من سقط المتاع لولا انها طمعت فيما يكون خيراً منه . فقالت لهم الباعة انما بعناكم ما طلبتم ولكن على ابصاركم غشاوة فلستم تبصرون اللون ولا الرقعة ولا تعرفون المقادير ولا المقاييس. فقال من اشترى الثوب كيف يمكن ان يجهل الانسان قامته ويعرفها آخر غيره . وقال صاحب اللون الاسود انما اردت اللون الاحمر وها أن ثوبك اسود ورفيقاى هذان يشهدان لي وها هو واضح لكل ذى عينين . فقال له البائع انت أعمى لا تميز الالوان ثم ذهب ليأتيه بالماء ليكحله به فابى ذلك وقال لا بل انت عمه اعمى . وقال من اشترى الكرباس بدل الحرير هب ان البصر يغش افيخفى اللمس على الاعمى . فلج بينهم الجدال والعناد وملأوا المكان صخباً وضجيجاً . وفيما هم على ذلك اذا برجل اقبل يسعى وهو يلهث بهراً وقد اندلع لسانه ووضع يديه على كشحيه . فما كاد يدخل الحانوت حتى سقط لا يستطيع حراكا وغدا يئن ويقول آه امرأتي آه امرأتي . ثم غشي عليه ساعة . فلما افاق ادار

نظره يمنة ويسرة فرأى غريمه . فلم يتمالك ان وثب من مجثمه وقال

يا أهل الفساد . ومروجي الكساد . ومسببي الفتن بين المرء وزوجته ومفرقي الاب عن ابنه وابنته . وغابني الاغرار من الشارين . ومبرقعي وجوه المبصرين . كيف حل لكم من الله ان تغشوني وتبيعوني ما لا حاجة لي به . اني اتيتكم بالامس اطلب منكم ان تبيعوني لحما لاتخذ منه مرقا لزوجتي لانها عليلة منذ ايام . فبعتموني كسر خبز وقلتم لي انه لحم غريض . فلما اوقدت النار لاطبخه اذا به خبز . فباتت امرأتي منى غير ان تذوق شيئاً وقد اصبحت لاحراك بها الا بلسانها . فهى لاتزال تلعن تلك الساعة التى رأتنى فيها قبل الزواج . وتسب القسيس الذى كان السبب فيه . وقد حلفت انها اذا برئت من مرضها لتأمرن النساء جميعاً بان يكن مع ازواجهن ضجعاً مفسلات مناشيص (١) وكانه لما قال ذلك فار دمه في دماغه فوثب من مكانه وكاد ان يبطش بالبائع . لولا ان تداركه بعض الصناع في الحانوت ، فلما تملص البائع من يديه صعد منبراً وقال ،

اسمعو ايها الخصماء ، ولا تعجلوا الى اللوم فانه من دأب اللؤماء ، ان عيونكم قد غشي عليها فهى تبصر الاحمر أسود ، وذوقكم قد فسد فعندكم ان اللحم خبز مفتأد ، وعقلكم قد رك وحرض فانتم تحسبون الحرير قطناً ، والجوهر بهرجا ، فما ينصفنا الا قيم السوق ، فهلموا اليه والا فانتم من أهل الكفر والفسوق ، فلما سمعوا مقالته وعلموا ان محاكمته لهم عند شيخ السوق شطط لكونه اضعف منهم بصرا وبصيرة لهرمه

---

(١) الضجع جمع ضجوع وهى المرأة المخالفة لزوجها ، قلت وهو غريب من اشتقاقه من ضجع فكان يقتضي ان يكون معناه الطاعة والمفسلة المرأة التى اذا اريد غشيانها قالت انا حائض لترده والمناشيص جمع منشاص للتى تمنع زوجها في فراشها ،

التهبوا غيظاً فجعلوا يركسون الامتعة ويشوشونها ويبعثرونها ويمزقون كل ما قدروا عليه ، ويطأون ما أمكن لهم وطؤه ، ويكسرون كل ما اصابوا من معد وصندوق وكؤس واكواب وخرجوا وهم سامدون ، ثم تواطأوا على ان يعقدوا مجلساً تلك الليلة ليتدبروا في امورهم ، فلما كان المساء اجتمعوا وقالوا قد اتضح لنا ان هؤلاء الباعة ظالمون غابنون ، وان حواسنا لم تر الشيء الا على ماهو عليه ، فشكراً لله ولصاحبة المناديل التي هدتنا الى هذا ، فتعالوا نستقل بامورنا ونعمل لنا مخازن ومعامل كما عملوا هم ثم اتخذوا لهم شيعة واخداناً ، واصحاباً واعواناً ، واسقطوا عنهم من السعر ما امال اليهم كثيرا من الناس ، وقالوا لهم ان عهدنا اليكم ان نبيعكم البضاعة بمرأى اعينكم ولمس ايديكم وذوق السنتكم ، ومن لم يرض شيئاً اشتراه فانا نبدله له بما هو خير منه ، ثم بحثوا عن الدفتر ونشروه فى جميع البلاد واستعملوا لذلك وسائل مختلفة ، وقالوا للناس ها وكم الدفتر الانور ، والدستور الاكبر . فلاتشتروا منا حاجة الا على مقتضى تسعيره . ولا تذهبوا الى شيخ السوق فانه هالك في غروره . فرضي الناس بالشرط هؤلاء على انفسهم . وانفصلوا عن الشيخ المذكور وعن حزبه وغدا كل من الحزبين يكذب حريفه ويسوىء عليه ويخطئه ويسفهه ويحمره ويفنده ويخرفه ويلعنه ويكفره ويؤثمه ويفسقه . وسبحان من يداول الايام . بين الانام .

انتهى الكتاب الاول

الـكتاب الثانى

الفصل الاول

• في دحرجة جلمود

قد القيت عني والحمد لله الكتاب الاول وارحت يافوخى من حمله . وما كدت اصدق ان اصل الى الثاني فاني لقيت منه الدوار ٠ ولا سيما حين خضت البحر مشيعا للفارياق تفضلا وتكرما . اذ لم يكن مفروضا علي ان ارافقه فى كل مكان . وقد مضى علي حين بعد وصوله الى الاسكندرية والتقامه الحصاة من الارض ولسان قلمي يتمطق . وثغر دواتي مطبق . حتى عاد الي نشاطى فاستانفت الانشاء ورأيت ان ابتدى هذا الكتاب الثاني بشيء ثقيل ليكون عند الناس اكثر اعتبارا . واطول اذ كارا . وكما اني ابتدأت الكتاب الاول بما يدل على السامى بشيء من العلويات ان كنت لما تنس مامر بك . استحسنت الآن ان آخذ فى شيء من السفليات لاجل المطابقة . هذا ولما كان الحجر من الجواهر المنيعة المفيدة راق لى ان ادحرج منه هنا جلمودا من اعلى قنة افكارى الى اسفل حضيض المسامع . فان وقفت تنظر الى تصوبه من دون ان تتعرض له وتحاول توقيفه مر بك كما تمر السعادة علي . أى من غير ان يصيبك منه شيء . والا أى ان استسهلت حبسه عن منحدره كر عليك ودفعك تحته . والعياذ بالله مما وراء هذا الدفع . فانظر اليه هاهو متحرك للسقوط . هاهو متصوب فالحذر الحذر . قف بعيدا . واسمع من دويه مايقول .

ان من نظر بعين المعقول الى هذه الدنيا والى ما اختلف فيها وائتلف من الاحوال والاطوار . والجواهر والاعراض ، والاوطار والاغراض ، والعادات والمذاهب ، والمراتب والمناصب ، وجد ان كل شيء عز عليه منها يفوق كنهه ادراكه و يفوت تأمله ، وان حواسنا وان تكن قد ألفت اشياء لم تغادر الالفة عليها محلا للتعجب منها ، الا ان تلكم الاشياء لاتنفك فى نفس الامر عن كونها معجبة محيرة ، ومن تبصر فى ادنى ما يكون منها حق التبصر رأى نفسه كمن قد اهمل اداء فرض تعين عليه ، انظرّ مثلا الى اختلاف ضروب النبات فى الارض فكم فيه من الازهار البديعة الصنعة العجيبة الكينة من دون ان نعلم لها منفعة خصوصية ، والى اختلاف انواع الحيوان من دبابات وهوام وحشرات وغيرها ، فان منها ما هو حسن الشكل ولا فائدة منه ومنها ما هو قبيحه والحاجة اليه ماسة ، وانظر فى السماء الى هذه النجوم درارئها كوكب دريء و يضم متوقد متلالىء ،

وخنسها	الخنس الكواكب كلها أو السيارة أو النجوم الخمسة الخ ،
و بيانياتها	الكواكب البيانيات التى لا تنزل الشمس بها ولا القمر ،
وتوائمها	توائم النجوم واللؤلؤ ما تشابك منها ،
و بروجها	معروف ،
وتنينها	التنين بياض خفى فى السماء يكون جسده فى ستة بروج وذنبه فى البرج السابع الخ ،
ومجرتها	باب السماء أو شرجها ،
ورجمها	النجوم التى يرمى بها ،
واعلاطها	اعلاط الكواكب الدرارى التى لا اسماء لها ،
واناثها	الاناث صغار النجوم ،
وخسانها	النجوم لا تغرب كالجدى والقطب و بنات نعش والفرقدين ،
وانوائها	النوء النجم مال للغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر

وطلوع اخر يقابله من ساعته فى المشرق

التى يرجع البصر عنها وهو كليل . والى اختلاف سحن الناس ورؤسهم فانك لا تكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره . ولا تجد بين رؤسهم اى عقولهم رأسا يشبه غيره . فمن عباد الله هؤلاء من اختار المخالطة والمعارفة والمحاشرة والمزاحمة . والمضاغطة والمصادمة . والمباراة والمعاجمة . والملاهسة والمداحمة . والمجاحسة والمداغمة . والمراعمة والمداهمة . والمساومة والمراهمة . على اختلاف فيها . وذلك كالتجار والنساء . ومنهم من قابلهم بضد ذلك فاختار العزلة والانفراد كالنساك والزهاد . ومنهم من جعل دأبه التهافت على المين والافتراء . والغلو والاطراء . كالشعراء والمستأجرين لمدح الملوك فيما يطبعونه من هذه الوقائع الاخبارية . ومنهم من قابلهم بضده فاختار الصدق والتحرى . والتحقيق والتروى . والقول الفصل والمطابقة بين الماضى والحاضر والآتى . وذلك كاهل الفلسفة والحكمة والرياضة . ومنهم من يعمل النهار كله ويكد بكلتا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة . وذلك كاصحاب الصنائع الشاقة . ومنهم من لا يحرك يده ولا رجله ولا كتفه ولا رأسه وانما ينطق فى بعض ايام الاسبوع بكلمات ثم يقضى سائر الايام مستريحا متنعما . مترفها متترفا . وذلك كالخطباء والوعاظ والمرشدين الى الدين . ومنهم من يفتك ويبطش ويجرح ويقتل كالجند . ومنهم من يعالج ويداوى ويشفى ويحيى كالاساة واولياء الله تعالى اهل الكرامات والمعجزات . ومنهم من يستأجر للتطليق . ومنهم للتحليل . ومنهم للايلاد ومنهم للالحاد . ومنهم للتفريق . ومنهم للتأليف بين الآحاد . ومنهم من يتكوى في بيته فلا يكاد يخرج منه الا لضرورة . ومنهم من يصعد الجبال والادقال . والمنابر والاشجار . ومنهم من يهبط الاودية والبواليع والمراحيض . ومنهم من يسهر الليالى فى تأليف كتاب . ومنهم من لا يذوق النوم حتى يحرقه . ومنهم من يسود ومن يساد . ومنهم من يقود

ومن يفاد . ومع هذا التنافي والتباين فما ل مساعيهم وحركاتها كلها الى ش
واحد . وهو ادخال الانسان خنابتيه غداة كل يوم فى رائحة كريهة قبل
ان يستنشق روائح الازهار . ويتمتع بتنوع النهار . واعجب من جميع ما
مر بك من هذه الاحوال حالتا اصحابنا السوقيين والخرجيين . فان حرفتهم
لما كانت لا تتوقف الا على استعمال اداتين فقط . اى الحيلة والقسم دون
افتقار الى آلة اخرى . وكان مورد اقوالهم . ومصدر جدالهم . ومبنى
انتحالهم . وجل رأس مالهم . قولهم يحتمل ان يكون هـذا الشيء من
باب المجاز الاسنادي او اللغوى . او من مجاز المجاز او الكناية . او من
حمل النظير على النظير . او النقيض على النقيض . او من باب ذكر اللازم
وارادة الملزوم او بالعكس . او من قبيل ذكر البعض وارادة الكل او بالعكس
او من نوع اسلوب الحكيم . او من باب التهكم . او من طاقة التلميح ، او
من كوة الالتفات ، او من خرق الحشو ، او من خرت الادماج ، او من
خصاص الاكتفاء ، او من شق الاحتباك ، او من سم عكس التشبيه ،
او من خلل سوق المعلوم مساق غيره ، او من فتحات التجريد ، او من
فرجة الاستطراد ، او من ثقوب التورية ، لم يكن من اللائق بهم ان يخلطوا
هذه الاوات وتلك اللوات بشيء

من العرادات	العرادت شيء اصغر من المنجنيق ،
والدبابات	الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل ا. فينقبون وهم في جوفها ،
والدراجات	الدبابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال :
والمنجنيقات	المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة والمن المنجنيق ،
والنفاطات	النفاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط ،
والخطار	المنجنيق والذى يطعن بالرمح ،

السبطانات	السبطانة قناة جوفاء يرمى بها الطير.
والضبر	جلد يغشى خشبا فيها رجال تقرب الى الحصون للقتال .
والفقع	جنة من خشب يدخل تحته الرجال يمشون به في الحرب الى الحصون .
والجلاهق	الذى يرمى به ونحوه البراقيل والبنادق .
والحسك	اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر تعمل على مثال الحسك المعروف .
والمردمانى	قباء محشو يتخذ للحرب وسلاح كانت الاكاسرة تدخرها في خزائنهم والدروع الغليظة .
والتجفاف	آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان .
واليلب	الترسة او الدروع من الجلود .
والسرد	اسم جامع للدروع .
والدرق	التروس من جلود بلا خشب ولا عقب ونحوه الحجف .
والحرشف	الرجالة وما يزين به السلاح .
والعتلات	العتلة العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح يهدم بها الحائط .
والمنسفات	المنسفة آلة يقلع بها البناء .
والفلاق	مقطرة السجان وهي خشبة فيها خروق على قدر سعة الساق .
والخنازر	الخنزرة فاس عظيمة يكسر بها الحجارة .
والعذراء	شيء من حديد يعذب به الانسان لاقرار بامر ونحوه .
والمقاطر	المقطرة خشبة فيها خروق على قدر سعة ارجل المحبوسين .
والمراديس	المرداس آلة يدك بها الحائط والارض .
والدهق	خشبتان يغمز بهما الساق .

والصاقور	الفاس العظيمة .
والملاطس	الملطس المعول الغليظ .
والمقاريص	المقراص السكين المعقرب الرأس .
والملاوظ	الملوظ عصا يضرب بها .
والمقامع	المقمعة خشبة يضرب بها الانسان على رأسه
والمقافع	المقفعة خشبة يضرب بها الاصابع .
والحدأة	الفاس ذات الراسين .
والمنقار	حديد كالفاس .
والمهامز	المهمزة المقرعة أو العصا .
والعرافيص	العرفاص السوط يعاقب به السلطان .
والمخافق	المخفقة الدرة أو سوط من خشب .

ولا بالرماح الطاعنات والسيوف الباترات والنبال الصاردات والنصال المدميات والمقادع المولمات والمدارع المضنيات والصلب المهلكات والخوازيق النافذات والاغلال المصلصلات والنيران المتاججات والغارات والغزوات والنكايات والكبسات والاستلابات والافتضاضات والاثكالات والعدوات والمشاحنات وآخر الجميع بالركاكات . فكم لعمري من دم سفكوا وجند أهلكوا وعرض هتكوا وحرمة انتهكوا وذي اهل ربكوا وعزب همكوا ونساء ايموا . واولاد يتموا . وبيوت خربوا . وأموال نهبوا ومصون أذالوا . وحرز نالوا ومستور فضحوا . وحرام أباحوا . فهل فعل ذلك من قبلهم سدنة .

الانصاب الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى .

والكعبات الكعبات أو ذو الكعبات بيت كان لربيعة كانوا يطوفون فيه .

والربة كعبة لمذحج .

وبس بيت لغطفان بناها ظالم بن اسعد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة و يسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتاً على قدر البيت و وضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة وأجتزأ به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما وهدم بناءه .

وعبدة مرحب صنم كان بحضرموت .

والعبعب صنم .

والعبغب صنم .

و يغوث صنم كان لمذحج

والبجة والسجة صنمان .

وسعد صنم كان لبني ملكان .

وود صنم ويضم .

وآزر صنم .

و باجر صنم عبدته الازد ويكسر .

وجهار صنم كان لهوازن .

والدوار صنم ويضم .

والدار صنم سمي به عبد الدار أبو بطن .

وسعير صنم .

والاقيصر صنم .

وكثرى صنم لجديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس ولحق بالنبي صلعم فاسلم .

والضمار صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه .

ونسر صنم كان لذى الكلاع بارض حمير .

والشمس صنم قديم

وعميانس صنم لخولان كانوا يقسمون له من انعامهم وحروثهم .

والفلس صنم لطيىء .

وجريش صنم كان في الجاهلية .

والخلصة صنم كان فى بيت يدعى الكعبة اليمانية لخثعم .

وعوض صنم لبكر بن وائل .

واساف صنم وضعه عمر بن لحى على الصفا .

ونائلة صنم آخر وضعه على المروة وكان يذبح عليها (فى قول).

والمحرق صنم لبكر بن وائل .

والشارق صنم فى الجاهلية .

والبعل صنم كان لقوم الياس عليه السلام .

وسواع صنم عبد فى زمن نوح عليه السلام فدفنه الطوفان فاستثاره ابليس فعبد وصار لهذيل وحج اليه .

والكسعة صنم .

والعوف صنم .

وذى الكفين صنم كان لدوس .

ومناف صنم .

ويعوق صنم لقوم نوح او كان رجلا من صالحى زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان فى صورة انسان فقال امثله لكم فى محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة اصناما يعبدونها .

والاشهل صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحى من العرب .

وهبل	صنم كان فى الكعبة .
ويااليل	صنم .
والبعيم	صنم والتمثال من الخشب والدمية من الصبغ .
والاسحم	صنم .
ونهم	صنم لمزينة وبه سموا عبد نهم .
وعائم	صنم .
والضيزن	صنم .
والمدان	صنم ،
والجبهة	صنم .
واللات	صنم لثقيف سمي بالذى كان يلت عنده السويق بالسمن ثم خفف وهو فى حديث عروة الربة .
وذى الشرى	صنم لدوس .
والعزى	صنم او سمرة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عرق الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بسا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة .
ومناة	صنم
والالاهة	الحية والاصنام والهلال والشمس ويثلث كالاليهة .
والطاغوت	اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله .
والزون	الصنم وما يتخذ ويعبد — والموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين .
والجبت	الصنم والكاهن والساحر والسحر والذى لاخير فيه وكل

ماعبد من دون الله تعالى .

او عبدة الشمس والقمر و زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وفردود والفرقد والذيخ والكتد والعوائذ والحضار والاحور والزبرة والاظفار والعذر والمعرة والاعيار والنثرة والجوزاء والبرجيس والتياسين والميسان والسنيق والشرطين والفارطين والاثافى والعيوق والعوهقين والصرفة والطرفة والابيض والضباع والهقعة والهنعة والردف والمعلف والناقة والنسقين والسماكين وشهيل والشولة والعوكلين والمرزمين والسلم والبطين والصدر والحية والتحابي والخراتين والخبا وسهى والشاة والعواء وكوى .

فكان يجب عليهم ان يجمعوا رايهم على امر واحد ويقولوا من حيث ان حرفتنا لاتحتاج بحمد الله الى قياس وعدد كحرفة الطبيعيين والمهندسين والرياضيين . فانهم ايان طلب المناقش منهم دليلا بادروا حالا الى البرهان بالمقادير والمساحة والحساب . فانصبوا انفسهم وانفس سائليهم . كان حقا علينا ان ننهج منهاجا مريحا يقربنا ومعاملينا الى الغرض المقصود . وهو ان نيسر اسباب تعلم هذه الحرفة لكل مضطر اليها منهم . فمن شاء بعد ذلك ان يلبس قباء اوجبة مع سراويلات من تحتها اوتبان فليصنعها هو باى لون اعجبه و باى شكل راق له . اذ ليس من الرشد ان يعترض الانسان انسانا آخر مثله فى كيفية لبسه او فى ذوقه ومنامه . لان ابن ادم من يوم يستهل بالبكاء الى ان يبلغ اربع عشرة سنة يعيش مستغنيا عنا غير مفتقر الى ما رسمنا به عليه . اذ الغريزة تهديه الى ما يلائمه و يصلح له . الا ترى ان الطفل اذا خلى وطبعه لم يلبس الكتان الرفيع فى الشتاء وان كان مطرزا . ولا الفرو فى القيظ وان كان مزركشا . وانه متى جاع طلب الاكل . ومتى نعس نام . وان طربته بجميع الات الطرب والانغام ومتى ظمي شرب . ومتى تعب استراح فهو فى غنى عنا من أصل الفطرة

حتى انه يمكنه بحول الله تعالى أن يعيش مائة وعشرين عاما وشهرا من دون رؤية وجه أحد منا أو مشاهدة تاجه وحلته الفاخرة وخاتمه النفيس وعصاه المفضضة . فلندع الناس اذاً فى دعتهم وسلامتهم وشغلهم . ولا نتطفل عليهم ولا نكلفهم مالا طاقة لهم به . اذ لو شاء الله أن يحوج الطفل الينا لاوحى اليه أن يسأل ابويه من وقت ترعرعه عن اسمائنا ومقامنا . وعما نحن عليه من المماحكة والجدال . والقيل والقال . والتشاحن والتشاجر . والتناقر والتنافر . والتلاعن والتهاتر . والتدابر والتهاجر . واحسن من تركه على هذه الحالة ما اذا عنينا بتأديبه وتربيته وتهذيبه وتعليمه صنعة تنفعه فى تحصيل معيشته ومعيشة والديه . كالقراءة والخط والحساب والادب والطب والتصوير ، وما اذا نصحنا له ان يسعى فى خير نفسه وخير ابويه ومعارفه وجنسه وكل من صدق عليه انه انسان بقطع النظر عن هيئات اللباس وتفاوت الالوان والبلاد . لأن اللبيب الرشيد لاينظر الى الانسان الا لكونه متصفاً بالانسانية مثله ، ومن اعتبر الامور الطارئة عليه كالالوان والطعام والزى فانه يتباعد عن مركز البشرية كثيرا ، وانما يتم حسن صنيعنا هذا كله ماذا صنعناه حسبة لوجه الله تعالى ، غير طالبي الجزاء والهدايا . ولا النذور والعطايا لان كثيرا من الاطباء يداوون المعسرين مجانا فترى احدهم يغادر طعامه وفراشه ويذهب الى مريض محموم أو به جدرى أو طاعون احتسابا عند الله اذ الناس كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله

هذا ما كان ينبغى أن يقولوه . وهذا ما اقوله انا . تامل فى خرجى اقبل يطوف البحار والامصار . ويجول فى الجبال والقفار . ويعرض نفسه ونفس من ينحاز اليه للسب والقذف والعداوة والمشاحنة . وما ذلك الا ليقول للناس انه اعرف منهم باحوالهم واذا سئل عن دواء لعين رمدت . أو ساق قرحت . أو ادرة انتفخت . أو اصبع دميت . أو اذا قيل له

ما ترى فى من كثرت عياله . وقل ماله . وعظم زمانه . وجار عليه سلطانه . فمنى بالجوع . وحرم الهجوع . واصبح يمشى والناس ينظرون جهوته . ويتجنبون خلطته . ولا يستعملونه ولا يستخدمونه . لما تقرر فى عقولهم من ان الفقير لا يحسن عملا . وقد اصبحت أولاده يبكون ويتضورون . وامرأته تشكو وتسترحم ولا راحم لها لكون شبابها قد ذهب فى تربية أولادها · أو قيل له هل عندك من ماوى لضيف عزيز . ماله من نصير . قال ماجئتم بهذا وانما قدمت اليكم لانظر فى انوالكم التى تنسجون عليها بضاعتكم وفى الوانها التى لا تشا كل ماعندى فى الخرج من اللون الناصع . وما ان يهمنى النظر فيما فيه راحتكم وانما الراحة فيما به تعبكم . ولو تعطلت جميع معاملكم لاقتصاركم على لوني الذى ابرزه لكم راموزا وعنوانا واستوجبتم بذلك لوم التجار والحراس والحكام لم يكن علي فى ذلك من شيء . وهذا سوقى يضع احدى عينيه على فم جاره والاخرى على عينيه . ثم يغل يديه ورجليه ويقول له اليوم يجب عليك ان تتنحس. (١) لان شيخ السوق اصبح متخما يشكو وجعا فى معدته وامعائه واضراسه وهو نحس ، فينبغي ان نجانسه ونمسك معه ، لا يحل لك اليوم ان تنظر ، لان الشيخ المشار اليه اضر به طول السهر البارحة مع ندمائه ونديماته فغدا وباحدى عينيه الكريمتين رمد أو عمش ، لا يحل لك اليوم ان تعمل بيديك ، ولا ان تحرك رجليك ولا ان تسمع باذنيك ، أو تستنشق بمنخريك لان السوق اليوم لم تقم والبياعات لم تنفق ، ثم هو اذا قيل له افلا تصلح بين زيد وزوجته فقد خاصمته بالامس بعد ان جاءت من حانوتك العالى وتماسكا بالشعور ، وحلفت المرأة لتمنينه بجيزبون أو لتشكونه الى احد اصحابك الضواطرة الكبار . أو ان عمرا التاجر قد حبس مذ يومين لكونه دان بعض الامراء ولم يمكن له ان يحاكمه ويستوفى

---

(١) التنحس ترك اكل اللحم ،

منه حقه ، ففلسه القاضي واركبه حمارا في الاسواق ووجهه الى دبر الحمار . أو ان فلانا قد مرض ولزم فراشه لانه ناقش بعض خدام الامير فنكل به الامير ضربا بالعصي على رجليه وصفعا بالنعال على القذال . فغدا لاحراك به وقد ورمت رجلاه وانتفخ قفاه . لم يكن منه الا قوله ما دام السوق وشيخه سالمين فالدنيا كلها سالمة والمصالح مستتبة والسوق مرفوعة وقائمة . والبطون ملأى والافواه لاقمه والاضراس خاضمه . والمعدهاضمه . والايدي قائمه . والافراح دائمه . والخيرات متراكمه . والرؤساء حارمه . والعناية عاصمه . والمادمات بالنذور متزاحمه . والوقوف شاملة عامه . وثغور الاماني باسمه والسلامة خاتمه ، الى السوق ، الى السوق ، فهو حرز العلوق ، وذخر الحقوق ، في الصندوق ، فهو اولى من الصبوح والغبوق ، وقد طالما والله امتلأ هذا الصندوق ذهبا وجواهر ثم افرغ على ترهات وترهات ومباحث فارغة وامور سخيفة ، فقد بلغنا ان بعض ضواطرة السوق انفق في مدة ست سنين قضاها بالبحث والجدال على شكل قبعة كذا وكذا بدرة من المال ، وتفصيل ذلك انه نظر نفسه ذات يوم في المرآة وكان قد تعلم مبادىء الهندسة والهيئة ، ورأى رأسه مدورا كالبطيخة ، فراق له ان يتخذ قبعة مدورة على هيئة رأسه ، لان المدور يلائم المدور كما تقرر في الاصول ، فرآه بعض مزامليه من سوق آخر وكان اعظم منه قدرا ووجاهة وأوفر علما ، فسخر منه وقال له من وسوس اليك يا ابن قبعة ، حتى لبست هذه القبعة (١) ، مع ان شكل رأسك مخروط ، فقال له قد ضللت بل هو اكثر استدارة من رأسك كما يشهد لي بذلك شيخ السوق . قال كذبت بل هو مخروط وان كنت كثير العنس اليه واني اهدى من شيخك واقوم طريقا . قال كفرت وعميت عن معرفة نفسك فانى لك ان تعرف غيرك قال تبدعت بل انت عمه كمه وقد حمقت وسفهت في عدم قبولك النصح

---

(١) ابن قبعه وقابعاء وصف بالحمق .

فاليوم ترى الناس المدور من المخروط . والسارط من المسروط . ثم لج بينهما العناد وتقابضا بالازياق والجيوب والاقلاع . ثم بالجمم ثم بالاعراض . فزق كل منهما عرض صاحبه اي عدوه . ثم صاحا واستغاثا وتشاكيا لدى الحاكم وتباهلا وتهاترا . فلما ثبت للحاكم ان فعلهما فعل الشبازقة (١) رأى ان مداواتهما بغرامة رابية . اولى من حصرهما في الزاوية . فانصرف كل منهما وقد غرم كذا وكذا بدرة . ثم ان الضوطار الاول اتخذ له بعد ذلك قبعة بين بين . اى نصفها مدور ونصفها مخروط بحيث لايقدر على تمييزها الا الجهبذ النحرير . والناقد الخبير . وآب الى حانوته كمن قفل من غزوة أو أسر الدحية . (رئيس الجند) أو كذلك الديك الغالب . وأول ما أطن على السوق امر جميع القبعيين ان يخرجوا لملاقاته بالتقليس لا بالتلقيس (٢) . فخرجوا على تلك الحالة وهم يضجون و يقولون . اليوم عيد القبعة . اليوم يوم الفرقعة . يا أممه يا أممه . فبصر بهم اعوان الحاكم في ذلك الصقع فظنوا انهم خلعوا ربقة الطاعة ، وشقوا عصا الجماعة ، فبادروهم بالات الاز والبحز والبخز والبز والبغز والبهز والجرز والجلز والحز والحمز والخز والدغز والرز والرفز والزز والشخز والشرز والشفز والشكز والضخز والضفز والطعز والعرز والقحز والقلز واللبز واللتز واللز والسكز واللقز واللمز واللهز والمحز والمرز والمهز والنحز والنخز والنغز والنكز والنهز والوخز والوكز والوقز والوهز والهبز والهرز والهمز والرهز حتى جعلوهم عبرة للمعتبر ، وفر الضوطار بقبعته وقد اوقع قومه فى الخزى والعار مما اصاب الرجال من الرزه ولحق النساء من الزيادة . ومع ذلك كله

---

(١) الشبزق من يتخبطه الشيطان من المس .

(٢) التقليس استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو وان يضع الرجل يديه على صدره ويخضع . والتلقيس مبالغة لقسه اى عابه ولقبه .

فلم يجد شيخ السوق المستعز به شيئاً . بل ظل مكبا على تعاطى الافيون لطول ارقه وتبييته . وقد سد اذنيه ببعض او راق دفاتر السوق لئلا يسمع صراح المستجيرين به أو يوقظه احدمن سباته . فهوراقد الى هذا اليوم أى يوم تدوين هذه الواقعة . فان افاق فللقارىء ان يقيد ذلك في آخر هـذا الفصل فقد تركت له محـلا .

انتهت دحرجة الجلمود والحمد لواجب الوجود



الفصل الثاني

فى سلام وكلام

عمت صباحا يافارياق . كيف انت . وكيف رايت الاسكندرية . هل تبينت نساءها من رجالها فان النساء فى بلدكم لا يتبرقعن . وكيف وجدت ماكلها ومشاربها وملابسها وهواءها وماءها ومنازهها واكرام اهلها للغرباء . الم يزل برأسك الدوار . وعلى لسانك هجو الاسفار . قال اما موقع المدينة فانيق لكونه على البحر . وقد زادت بهجة بكثرة الغرباء فيها فترى رؤس ناس مغطاة بطراطير . واخرى بطرابيس . واخرى بكمام وغيرها بقاعط . واخرى ببرانس وغيرها بعمائم . وأخرى باصناع وغيرها بعصائب وأخرى بعمارات وغيرها بعداميج واخرى بنصاف وغيرها بقبعات واخرى بقلانس وغيرها ببراطل . واخرى بسبوب وغيرها باراصيص (١) . واخرى باراسيس وغيرها بخنابع . واخرى بقنابع وغيرها بدنيات واخرى بصواقع ، وغيرها بصمد واخرى بصوامع . وغيرها بمشامذ واخرى بمشاوذ . وغيرها ببرانيط على شكل الشقيط والشبابيط والضفاريط والضماريط والقلاليط والعصاريط والعذافيط والعماريط والمماعيط . ومنهم من له سراويلات مفرسخة تكنس ما خلفه وما قدامه ومنهم من لا سراويلات له فبعثطه باد والناس يتمسحون بما امامه . ومنهم من له تبان . ومنهم من له اتب . ومنهم نور ومنهم بهميان . ومنهم برجل (السراويل الطاق) ومنهم باندرورد ، ومنهم بدقرارة أو دفرور . ومنهم من يركب الحمير والبغال ، وغيرهم على الخيل والجمال ، والابل فى ازدحام ، والناس فى التطام ، فينبغى

(١) الارصوصة قلنسوة كالبطيخة

للسائر بينهم ان لايفتر من الدعــاء بقوله اللهم اجر ، اللهم احفظ ، اللهم الطف ، توكلت على الله ، استعنت بالله ، اعوذ بالله ، فاما براقع النساء فهي وان كانت تخفى جمال بعضهن الا انها تريح العين ايضا من قبح سائرهن . غير ان تستر القبيحات اكثر . لان المليحة لايهون عليها اذا خرجت من قفصها ان تطير فى الاسواق من دون ان تمكن الناظرين من رؤية ملامحها . لينظروا حسنها وجمالها و يكبروا لافترارها . فيقولوا ماشاء الله . تبــارك الله . جل الله . الله الله ، حتى اذا رجعت الى منزلها اعتقدت ان جميع اهل البلد قد شغفوا بها حبا : فباتت تنتظر منهم الهدايا والصلات : والاشعار والمواليات : فكلما غنى مغن انصتت الى غنائه وسمعت اسمها يتشبب به : فاذا بكرت فى اليوم القابل الى الاسواق ورأت النــاس مكبين على اشغالهم تعجبت من بقــائهم اصحاء قادرين على السعى والحركة : فزادت لهم فى كشف مسافرها . وقسامتها ومحاجرها . وفتنتهم باشارتها وأيمائها . ورأراتها وأيبائها . ورمزها ولمزها . وهجلها وغمزها وغنجها ودلالها . وتيهها وعجبها . وزهوها وشكلها . وتدعبها وتصعيرها . ودعلجتها ودغنجتها . وتبغنجها ودهمجتها وشزرها وخزرها وشنفها وحدقلتها . وشفونها وأزلاقها . واستكفافها واستشفافها . واستيضاحها واستشرافها . وخلاعتها وخيــلائها . وتمايلها وتهاديها . وتغدنها وتعاطفها . وتثنيها وتأودها وتدكلها وتخودها : وتذيلها وتميلها . وتفتلها وتقتلها . وتذيلها وترفلها : وتبخترها وتخطلها : وتفخنها وتدهكرها وتهكنها وتهذخرها : وتخلمها وتفككها : وميحها وحككها : وتدأديها وتغطرفها . وتوذفها وتعضفها : ودألها ووهازتها : والها وهوادتها : وخيزلاها وخيزراها : وزأنباها وأوزاها : ومطيطائها وكردحائها : وهبيخاها وعجيساها . وهربذاها وحيداها : وهبصاها وجيضاها :

وفنجلاها ودبلاها : وخبطاها ودفعاها : وعرقلاها وهمقاها وتيتليتها
وقمطراها . وسبطراها ونبدحها وبرحها : وخندفتها وخرنفتها . وخنطرفتها
وبادلتها : وبحلانها وبيدلتها : وتحذحتها وحرقلتها : وحركاتها .
وهركلتها : وزراباتها وزهيانها وهبلنها وكسملتها : وقندلتها وحنكتها .
وعردلتها وهيئاتها . وخدعلتها ودرباتها وزيحلتها وركبكتها ودودمها
وذوذوتها وزوزكتها ودهوكتها وورتكتها ومكمكتها ودهدنتها : ...
وزهلقتها وبزفطتها وقرمطتها وحرقصتها وزهرمتها وحذلمتها ودعرمتها
وزهلقتها وتربثها ... وجمجمها . وبهورسها وتهبرسها ... ...
وتكدسها وهوكها ونهالكها وتهكيلها . وتدركها وزوزتها . وهبهبها
وانتبا . ورسمها وزوفها . وزيفها وهوجلها . وحنكاها وعنكاها .
وزيكانها وروكانها ورفلانها ومذلانها . وزيدانها وذالانها ... بسانها
وكتفانها . ... : وهمذانيها وتمرطلها : ... وتزيجلها
وحقطها ولبطها : وبغرها وبعرها وبمرها مصبلة مدبرة : وزاد ... ايضا في
الهدايا : قال وقد نظمت في البرقع بيتين ما أظن احدا سبقني اليهما
وهما :

لايحسب الغر البراقع للنسا ... منعا لهن عن التمادي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا ... وضع الشراع لها على حكم الهوا

فاما رجالها فان للترك سطوة على العرب وتجبراً : حتى ان العربي لا يحل له ان
ينظر الى وجه تركي كما لا يحل له ان ينظر الى حرم غيره : واذا اتفق في
نوادر الدهر ان تركيا وعربيا تماشيا اخذ العربي بالسنة المفروضة وهي ان
يمشي عن يسار التركي متقبعا خاشعا ناكسا متحاقرا متصاغرا متضائلا لاقفاً
منقبضاً متقبعا متدنعا مقشعا متحمعا متحرفصاً مكبزاً متكاوزا متارحا
متقرفعاً متقرعفاً مقرعنا منقعاً متكنبا متقعصراً متموحراً مسمئزا معرنفطاً
مقرنفطاً متجعثما متعجثنا مرزئماً مرمئزاً مقمئنا مكبئنا متحنبلا متقاعساً

مراغاً متردحاً متضاماً متصعصعاً متزازئاً متربعاً مدعساً مطمرساً مطرمساً متحرنساً منمشاً مع نفسه متحوياً معرنزعاً متخشلاً آزماً لازباً كانعاً كانعاً متشاجباً متعصباً محربراً محرمراً مندحدخاً : فاذا عطس التركي قال له العربي رحمك الله . واذا تنحنح قال حرسك الله . واذا خط قال رقاك الله : واذا عثر عثر الآخر معه اجلالاً له وقال نعشك الله لا نعشنا :

وقد سمعت ان الترك هنا عقدوا مجلس شورى استقر رأيهم فيه لدى المذاكرة على ان يتخذوا لهم مركباً وطيئاً من ظهور العرب فانهم جربوا سروج الخيل وبراذع الجمال واكفها واقتاب الابل وبواصرها وحصرها وسائر انواع المحامل من

كفل مركب للرجال .

وشجار مركب يتخذ للشيخ الكبير ومن منعته العلة من الحركة .

وحدج مركب للنساء كالمحفة .

واجلح هودج ماله رأس مرتفع .

وحوف شيء كالهودج وليس به .

وقر مركب للرجال والهودج .

ومحفة مركب للنساء .

وفرفار مركب من مراكب النساء .

وحمل هودج .

وحلال مركب للنساء .

وكدن مركب لهن .

وقعش مركب كالهودج .

ومحارة شبه الهودج .

وقعدة مركب لهن ،

وكتر الهودج الصغير .

ومثرة ج موائرة مراكب تتخذ من الحرير والديباج ·

ورجازة مركب اصغر من الهودج :

وعريش كالهودج

وعبيط مركب .

وحزق مركب شبيه بالباصر ·

وبلبلة هودج للحرائر :

وحقل هودج ·

وتوأمة من مراكب النساء ج توأمات :

وفودج الهودج ومركب العروس .

ومن رحل وعجلة وعرش وشرجع ومزفة ومنصة وسرير ونعش فوجدوها كلهم لا تصلح لهم :

ورأيت مرة تركيا يقود جوقة من العرب بخيط من الكاغد وهم كلهم يقودون له . استغفر الله مرادى ان اقول ينقادون له : ولم ادر ما سبب تكبرهؤلاء الترك هنا على العرب . مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عربيا . والقرآن انزل باللسان العربي . والائمة والخلفاء الراشدين والعلماء كانوا كلهم عربا . غير اني اظن ان اكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول شويله بويله . او بقالم قبالم . او

غطالق قاب خى دلها طفالق باق بخ بلها

صفالق باه خشت وكرد فصالق هاب دركاها

دخا زاوشت قلدى نك خدا شاوزت قردها

اشكرهم كبى والله قلاقلهـــا بـلابلهـــا

لا والله . ما هذا كان لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والائمة الراشدين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين امين وبعده امين .

فاما مأوها فما احسن رأسه وانجعه . الا انه قذر الذنب تنجسه حيوانات

الارض باجمعها . وطيور السماء بجملتها . حتى ان سمك البحر اذا اصابته هيضة طفر الى رأس هذا الذنب فالقى فيه ما اثمله . فاما اكلها فالفول والعدس والحمص والزن والدوسر والفريشاء والخرفى والجلبان والباقلى والحنبل والدجر والخلر والبلس والبقية والترمس والخرم والشبرم واللوبياء وكل ما يحبنطى به البطن . وذلك ان اهلها لا يرون فى الخمائص حسناء . حتى ان النساء فيما بلغني يتخذن معجونا من الجعل وياكلنه في كل غداة لكى يسمن ويكون لهن عكن مطويات . واضر ما لاقيت فيها قيمر قيعار . قدم اليها من بعض البلاد الحميرية وتعرف بجماعة من النصارى فيها . فصار يدخل ديارهم ويسامرهم . فلما لم يجد عند احدهم كتابا اقام نفسه بينهم مقام العالم فقال انه يعرف علم الفاعل والمفعول وحساب الجمل . واتخذ له كتبا بعضها من غير ابتداء وبعضها بغير ختام وبعضها مخروم او ممحو . فكان اذا خاطبه احد فى شيء عمد الى بعض هذه الكتب ففتحه ونظر فيه ثم يقول . نعم ان هذا الشيء هو من الاشياء التى اختلف فيها العلماء . فان بعض مشايخنا في الديار الحميرية يتهجاه كذا . وبعضهم فى الديار الشامية كذا . ولما يستقر رأيهم عليه فاذا استقر فلا بد من ان يخبروني به . قال الفارياق وقد سمعت مرة من استفزه باعث من الشغل يسأله عن الوقت . فقال له ساعة وخمس دقائق اما الساعة فقد اشتق منها الساعى وعيسى . اما الساعى فلكون السعى كله يتوقف على الساعات اذ لا يمكن لاحد ان يعمل عملا خلوا من الوقت . فان جميع الافعال والحركات محصورة فى الزمان كانحصار — ثم ادار نظره ليشبه بشيء فرأى كوزا لبعض الصبيان . فقال كانحصار الماء فى هذا الكوز . ثم رأى زنبيلا لصبي آخر فقال او كانحصار غداء هذا الولد فى هذا الزنبيل . واما عيسى فلكونه اشتمل على جميع المعارف والعلوم اشتمال الساعة على الدقائق . ثم ان قولى خمس حقيقة معناه اربعة بعدها واحد او ثلاثة قبلها اثنان

ولك ان تعكس . واما قالوا خمس دقائق ولم يقولوا خمسة طلبا للتخفيف والعجلة فى الكلام . فان بطول الالفاظ يضيع الوقت . وقولى دقائق هو جمع دقيقة وهو مشتق من الدقيق للطحين . اذ بينهما شبه ومناسبة بجامع النعومة . ثم ان هناك الفاظا كثيرة تدل على الوقت وهى المساء والليل والصبح والضحى والظهر والعصر والدهر والابد والحين والاوان والزمن . اما الست الاولى ففيها فرق واما الاخيرة فلا . فاعترضه رجل من اولئك الكبراء وقال قد رابنى ياستاذنا ما قلت . فان كلا من جاريتى وستها لها فرق . فضحك الشيخ من حماقته وقال له ان كلامى هنا فيا حواه الزمان لا فيما حواه المكان . فسأله آخر قائلا ان جامع النعومة هذا الذى ذكرت ان فيه الدقيق . فضحك ايضا وقال اعلم ان لفظة جامع تسمى عندنا معاشر العلماء اسم فاعل اى الذى يتولى فعل شىء اى كان . لكنى طالما عزمت على ان اناقشهم فى هذه التسمية لان من يموت او ينام مثلا لا يصح ان يقال فيه انه فاعل الموت او النوم . فقولى جامع على القاعدة المعلومة عندنا هو اسم لمن جمع شيأ . حتى ان الكنيسة اصح ان يطلق عليها لفظ الجامع لانها تجمع الناس فلما قال ذلك اكفهرت وجوه السامعين . قال فهمست بعضهم بجمجم قائلا . ما اظن الشيخ صحيح الاعتقاد بدين النصارى . فقد اصابت اساقفتنا فى حظرهم الناس ان يتبحروا فى العلوم ولا سيما علم المنطق هذا الذى يذكره شيخنا

فقد قيل من تمنطق تزندق . ثم انصرف عنه الجميع ما مدمين . وسأله مرة قسيس عن اشتقاق الصلوة . فقال هى مشتقة من الاصلاء لأن المصلى يحرق الشيطان بدعائه فقال له القسيس اذا كان مأوى الشيطان سقر منذ الوف سنين ولم يحترق فكيف تحرقه صلوة المصلي . فتناول بعض الكتب ليقتبس منه جواب ذلك فاذا به يقول قال احد علماء الرهبان الاحتراق على نوعين احتراق حسي كمن يحترق بالنار . ومعنوي كمن

يحترق بحب العذرة ثم وقف وتاوه قائلا . قد اخطأ سيدنا الراهب . لان العذراء يجب مدها . فقال القسيس وقد حنق عليه كيف يجب مدها اذا لم تشاء . قال و يلي عليك انت الآخر لا تعرف المد والقصر في الكلام واطفال الحارة في بلادنا يعرفون ذلك . قال بلي ان اقتصار الكلام مع من يخطى الرهبان مزية . ثم تولى من عنده مدمدماً .

قال الفارياق وقال لي مرة قد ظهر لي ان حق استعمال دعا اذا اريد به معنى الصلاة ان تتعدى بعلى . فقال دعوت عليه كما في الدعاء صليت عليه قال فقلت له لا يلزم ان يكون فعل يوافق فعلا آخر في معناه ان يوافقه في التعدية . فنص بذلك و لم يفهمه . وشكا اليه مرة رجل من معارفه اسهالا آلمه . فقال له يغالطه أو يسليه . احمد الله على ذلك ليتني مثلك . قال كيف هو ان طال قتل واسهال الجسم كله فقال له انه منة من الله . الم تسمع كل ملهوف يقول يارب سهل . فقال التاجر انما عنيت التسهيل بل الاسهال. فقال هما بمعنى واحد لان افعل وفعل كلاهما ياتيان للتعدية . كما تقول انزلته ونزلته . ولأن كلا من التسهيل والاسهال فيه معنى السهولة . وكتب مرة الى بعض المطارين العظام . المعروض استمدادا بمد تسهيل اردافكم الشريفة . وحمل تعالى كم المنيفة اللطيفة . الظريفة النظيفة الرهيفة الخفيفة المردوفة المعروفة المحفوفة . قال فقلت له ما أردت بالارداف هنا . فقال هي في عرف المطران بمعنى الراحة . ثم لم يلبث ان بعث اليه ذلك المطران ببركة وكتاب اطرا فيه على علمه وفضائله جدا مما كتب اليه .

قد قدم علي مكتوبكم الابهى وانا خارج عن الكنيسة فما قرأته حتى دخلت الصومعة وارلجت فيها . فلما اتيت على اخراه علمت انك صاحب الفضول . مؤلف الفصول . جامع بين الفروع والاصول . طويل اللسان قصير اليدان . (عن المحرمات) واسع الجبين . عميق الدين . عريض الصدر . مجوف الفكر . وكتب في آخره . اطال الله بقاك . وقباك .

وهناك ومناك . والسلام ختام . والختام سلام والبركة الرسولية تشملكم أولا وثانياً الى عاشراً . فجعل يبدى هذا الكتاب لجميع معارفه وخصوصا لمن كانوا خرجوا من عنده مغضبين لتقريره على لفظة الجامع . فلما وجدوها فى كلام المطران زال عنهم الاشكال والريب فى صحة استعمالها . وزاد الرجل عندهم وجاهة وجلالا .

فاما سؤالك عن كرم اهل هذه البلدة فانهم كانوا فى ظهور آبائهم على غاية من السماحة والجود . الا انهم لما برزوا الى عالم التجارة وخالطوا اصحاب هذى البرانيط اخذوا عنهم الحرص والبخل واللئامة والرثع . بل برزوا على مشايخهم . وانهم اذا ضمهم مجلس لم يكن منهم الا الحديث عن البيع والشراء . فيقول احدهم قد جاءنى اليوم جندى من الترك فى الصباح ليشترى شيئاً فتطيرت من صباحه واستفتاحه . اذ لا يخفى عنكم ان الجندى يستدين ولا يمضي دينه واذا تكرم بنقد الثمن فما يعطي التاجر الا نصفه فقلت له ما عندى مطلوبك يا افندى . وانما اردت تفخيمه بهذا اللقب ليتادب معى . فما كان منه الا ان دخل الحانوت وبعثر البضاعة كلها وأخذ ما اراد منها وما لم يرد . ثم ولى وهو يسبنى . فيقول آخر وانا ايضا جرى لى مع سيدة من نساء الترك واقعة . وذلك انها بكرت علي اليوم وهى تنوء بحليها . واقبلت باسمة الي وقالت هل عندك ياسيدى حرير مزركش . قلت وقد استبشرت عندى . فقالت ارني المتاع فاريتها اياه فتداركتني بالخف وقالت امثلى يرى هذا . ارني غير ذلك . فاريتها ما أعجبها فاخذته وقالت ابعث معى من يقبض الثمن . فبعثت غلامى فتبعها حتى دخلت دارا كبيرة وأمرت حاجبها بضرب الغلام وايلامه . الا ان الحاجب لما كان من الترك ورأى الغلام امرد لم يطاوعه قلبه على ضربه لكن انفذ فيه أمر سيدته بما أوصل اليه من الاذى والالم . وهكذا ينقضى نهارهم بالمكروه وليلهم بذكره . واظن ان التاجر يطرب بمجرد

ذكر البيع والشراء وان لم يكن فيه ربح .

فاما ما جرى لي بعد وصولي فانى نزلت عند خرجى من اصحاب صاحبي الاول . فتبوأت حجرة بالقرب من حجرته . فكانت اسمعه كل ليلة يضرب امراته بآلة فتبدى الانين والحنين . والرنين والحنين . فكان يهيجنى فعله الى البطش به . وكثيرا ما فكرت فى ان اقوم من فراشى لكنى خشيت ان يصيبنى ما اصاب ذاك الاعجمي المتطبب الذى جاور قوما من القبط . وانه سمع ذات ليلة صراخ امرأة من جاراته فظن ان لدغتها عقرب وذلك لكثرة وجود العقارب فى بيوت مصر . فقام الى قنينة دواء تأبطها واقبل يجرى . فلما فتح الباب وجد رجلا على امرأة يعالجها بأصبعه كما هى عادة القوم . فلما رأى الطبيب ذلك دهش فوقعت القنينة من يده وانكسرت . وكان هذا الخرجى ابيض اللون ازرق العينين مع صغر واستدارة فيهما . دقيق ارنبة الانف مع عوج فى قصبته . غليظ الشفتين . وانما تكلفت لوصفه لك ليمعى نموذجا عندك تقيس عليه جميع من تراه من الخرجيين وغيرهم . وكان قد اتخذ فوق سطح منزله هرما صغيرا مرصوفا من قناني الخمر الفارغة . فكان سطحه اعلى سطوح الجيران .

قال ثم عن له يوما ان يكلفنى انشاء خطبة فى مدح الخرج لكى اتلوها فى مخطب صغير كان قد استأجره . فلما فرغت منها عرضتها عليه فذهب بها الى قيعر قيعار . فقال له ما مرادك ان تصنع بهذه الاحجية الخرجية قال يتلوها منشئها على الناس فما رأيك فيها . قال هى حسنة الا ان عيبها هو ان لايفهمها احد الا انا وهو . ونحن قد قرأناها فلا موجب لاعادتها فعدل عن ذلك .

قال واتفق لي وانا مقيم عنده انى خرجت فى عشية من عشايا الصيف البهجة وحدى وبيدى نسخة الدفتر . ولما كان رأسى قد حفل بالافكار فيما انا عليه من فرقة الاهل والاحباب وذكر الوطن . والتغرب عنه لغير

سبب من اسباب الانعاش سوى لحصام سوقى وخرجى على قال وقيل أو غلت فى المشي فتبيت الى ظاهر المدينة وكان يتبعني رجل قد رأى نسخة الدفتر فعرفها فضمر ليمنيني بداهية . فاقبل الى يكلمني ثم عطف بي يمنة ويسرة وهو يلهيني بالكلام حتى انتهينا الى مكان خال . فتركني هناك وقال لى ان على ان اقضي هنا مصلحة . فلما وليت الرجوع الى مقري واذا بسرب عظيم من الكلاب جرت وهي تابحني ودنت مني . فهولت عليها بالكتاب فهجمت على هجمة السوقى على الخرجى . ثم تحاصوا جسمي وثيابي والكتاب فبعضهم عض . وبعضهم ادمى . وبعضهم جر وبعضهم تهدد فى المرة الثانية . فما كدت اتملص من بين ايديهم الا وثوبي وجلدي ممزق على ممزق . وقد مزق الدفتر ايضا أوراقه وجلده . فلما رجعت الى منزلي ورآني الخرجى على هذه الحالة لم يكترث بشأني أو انه لم يرني من فرط اشتغاله بالخرج ، وانما علم انى رجعت خلوا من الدفتر فاعتقد انى اعطيته لاحد ، ففرح بذلك جدا ورغب فى ان يجعلني عنده فى مصلحة خرجيه . لكن رأى من الواجب ان يشاور صاحبه فمن ثم كتب اليه فى شأني : فبي ذاك وقال لابد من تسفيري الى الجزيرة . لان النية استمرت على هذا من قبل . وما حسن تغيير النيات . فعزم مضيفي على اجراء ذلك وها انا منتظر السفينة :



الفصل الثالث

فى انفلاع الفارياق من الاسكندرية

من نحس صاحبنا انه عند سفره الى تلك الجزيرة لم تكن خاصية البخار قد عرفت عند الافرنج . وكان سفر البحر موكولا الى الريح ان شاءت هبت وان شاءت لم تهب . كما قال الصاحب بن عباد :

واها هى ريح لست تضبطها اذ لست انت سليمن بن داود

ثم ركب الفارياق في سفينة ريحية من هذا النوع وكان في مدة السفر يتعلم بعض الفاظ من لغة اصحاب السفينة مما يختص بالتحية والسلام من جملة ذلك دعاء يقولونه عند شرب الخمر على المائدة وهو قولهم طابت صحتك . الا ان لفظة الصحة عندهم يقرب من لفظ جهنم فكان يقول طابت جهنمك . فكانوا يضحكون منه وكان هو يسبهم بقلبه ويقول . قاتل الله هؤلاء العلوج انهم يقيمون في بلادنا سنين ولا يحسنون النطق بلغتنا . فيلفظون السين اذا سبقها حركة زايا وحروف الحلق وغيرها محالة ونحن لانضحك منهم .

وقد سمعت ان بعض قسيسيهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال . « ايها السكوم كد فات الوكت الان ولكنى اهتب فيكم نهار الاهد الكابل ان شاء الله » . ثم سار الى بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والتمس منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن ظهر قلبه أو يتلوها تلاوة . وحشد

الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر فقال . « بسم الله الرحمن »
ثم كانه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى وان الكاتب
انما كتب ذلك على طريقته . فاستدرك كلامه وقال . « لا لا ما بديش
اكول مثلما بيكول الاسلام بسم الله الرهمن الرهيم بل كما تكول النسارى
بسم الاب والابن والروه الكدس : يااولادى المباركين الهادرين هنا
لعماع هتى . وكبول نسيهتى وموهزتي : ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول
بلمزات الألم : اهمروني هتى اكسر من هتابكم فلا يتدجر اهد من توله ولا
يتالم : والا فهذى فرسة سنهت لى اليوم : ادكر فيها النساء والرجال
تزكير من لا يكشي اللوم : زانزرهم يوم الهشر والهساب يوم لا ينفا مال ولا
اسهاب : ولا سهال ولا جواب : ايلموا رهمكم الله ان الدنيا زايله :
ومتامهها باتله : وهالاتها هايله : ومهاليها سافله : فكونوا منها على هزر .
ولا يدلكم ما اجب منها وما سر : اسرفوا انها نزركم : ولا تألكوا بهسا
وتركم . افهسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا رؤسكم الى المهدة . ووازبوا
الى السلوات فى الديك والشدة : كدموا للكنايس نزوركم ولو كليله :
واستهنوا بالكديسين هال الفتيله . لتنكزوا من المهن والمسايب وتتفسوا من
الكرنب والنوايب (١) اهترموا كسيسيكم واسا كفتكم ووكروهم واكتدوا
بهم - واركبوهم ولاهزوهم برشدوا بسايهم وركسهم ودابهم : ياأيها النسارى
ان ديننا هو الهك : ووادهو الاسدك . وكيره هو الاكدك : سوكد
هو الانفك : لا تكالتوا هؤلاء الكرجيين . الزين اندسوا فيكم مزهين :
يتزيين فى ادلالكم عن الزرات المستكيم : بما يزهرون لكم من الورا والكلك
الهليم الا انهم الرياب الكاتفة المتردنه بلباس الهملان . الجايلون فى كل كتر
وسك ينسبون الينا الريك والبهتان . وهم ازيك من سلك تريكا . واكزب من

(١) الكرنب مصحفة عن الكرب .

كش سديكا . وكان رفيكا . الى ان قال ايها الكاركون فى بهار الهتايا . تجنبوا مايفدى بكم اليها فان أكبتها اليكم بلايا و رزايا . الا فاسرموا ازبابها سرما . وكاوموا اركابها أزما . واستاسلوا جزرها رهزا . واكلاءوا مكوياتها تنالوا ركزا . الازباب الازباب . فاكتاوا الازباب . حتى تهلسوا فى يوم الهساب . من الكساس والازباب : » (اى أقطعوا الاسباب حتى تخلصوا فى يوم الحساب من القصاص والعذاب) ومع ذلك فلم يصفعه احد من السامعين بل استمر الى أخر الخطبة على هذا النمط : الا ان امرأة لبيبة كانت قد تزوجت مذ عهد قريب لما سمعت الفقرة الاخيرة غضبت وقالت . الا لابارك الله فى يوم رأينا فيه وجوه هؤلاء العجم فقد احتكروا خيراتنا وارزاقنا : وافسدوا بلادنا وسابقوا ناسنا الى تحصيل ارزاقهم من ارضنا وعلموا من عرفهم منا البخل والحرص والطيش والسفاهة : وما لعمرى حصلوا على هذا الغنى الجزيل الا لجشعهم وشحهم : فقد سمعنا ان الرجل منهم اذا جلس على المائدة مع أولاده يأكل اللحم ويرمي بالعظام اليهم ليتمششوها . ولكونهم حراميين غبانين فى البيع غشاشين : وقد بلغنى ان اخوانهم فى بلادهم انجس منهم وافسق : وهذا النحس الان يغري بعولتنا بارتكاب الفاحشة لتخلو له الساحة فيفعل ما يشاء : فانى اعلم عين اليقين أن هؤلاء المنابريين انما يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وانهم ليعلمون الناس الزهد فى الدنيا والجب وهم احرص الثقلين عليها واقرم الخلق الى البعال . فما جزاؤه الآن الا قطع لسانه حتى يعرف الم القطع : لعمرى ان الانسان لايهون عليه احيانا ان يقلم اظفاره لكونها منه : ولذلك كانت اخواتنا نساء الافرنج يربين اظفارهن ويفتخرن بها مع انها لاتلبث ان تنبت . فكيف يجوز قطع ما يعمر به الكون : (طيب الله انفاسك ياحديثة عهد بالزواج . وعتيقة نقد للاعلاج ليت النساء كلهن مثلك وليتنى الثم شفتيك) ثم لما خرج القسيس من الكنيسه اذا

بالناس جميعا ادرعوا لتقبيل يده وذيله وشكروه على ماافادهم من المعاني البديعة بقطع النظر عن غيرها لما تعرف عقولهم من ان من خواص دين النصارى ان تمكن كتبه ركيكة فاسدة ما امكن لان قوة الدين تقتضيه لتجهل العامة كما افاده المطران اثناسيوس التتونجي الحلبي البشكاني الشاذاقي الشولني الانتاقي النذافي المسمى اللطاعي الطاعي المصنوي الخنبلي الارشي النرتي الريحي التخمي الامعي في بعض مزلقاته المسمى (بالحكاكة في الركاكة)

قال الفارياق واذ قد ابتلاني الله بعشرة هؤلاء اللئام فلا بد لي من محاملتهم ومخالفتهم الى ان يمن علي بالنجاة منهم . قلت وحيث قدم ما قاله الفارياق في سفرته الاولى فلا موجب الآن لاعادة ذكر شكواه هنا من الم البحر واذ نقول انه في خلال معاناته ومقاساته حلف لا يركبن بعدها في شيء من مراكب البحر من

الجفاء السفينة الخالية ذكره صاحب القاموس في المهمور

والمرزاب السفينة العظيمة أو الطويلة

والزبزب ضرب من السفن

والبارجة السفينة الكبيرة للقتال

والخليج سفينة صغيرة دون العدولى

والطراد السفينة الصغيرة السريعة

والمعبادة السفينة المقيرة :

والغامد السفينة المشحونة كالآمد :

والدسراء السفينة تدسر الماء بصدرها ج دسر :

والزرزور المركب الضيق :

والزنبري الضخم من السفن :

والقرقور السفينة الطويلة أو العظيمة :

والكار — سفن منحدرة فيها طعام :
والمرهور — ضرب من السفن .
والقادس — السفينة العظيمة :
والبوصى — ضرب من السفن
والصاغة — السفينة الكبيرة .
والنهبوغ — السفينة الطويلة السريعة الجرى البحرية ويقال لها الدونيج معرب :
وذات الرفيف — سفن كان يعبر عليها وهى ان تشد سفينتان أو ثلاث للملك
والشذف — مركب م بالحجاز
والحراقة — ج حراقات سفن فيها مرامي نيران
والزورق — السفينة الصغيرة
والبراكية — ضرب من السفن
والعدولية — سفن منسوبة الى عدولى ة بالبحرين أو —
والجرم — زورق يمنى
والخن — السفينة الفارغة
والشونة — المركب المعد للجهاد فى البحر
والتلوى — ضرب من السفن صغير ذكره فى ت ل و
والجفاية — السفينة الخالية ذكر فى ج ف ى
والخلية — السفينة العظيمة أو التى تسير من غير ان يسيرها ملاح أو التى يتبعها زورق صغير
والشذا — ضرب من السفن
الى الوكزة — الزورق الصغير
والقارب — السفينة الصغيرة

والرمث　　خشب يضم بعضه الى بعض و يركب فى البحر
والطوف　　قرب ينفخ فيها و يشد بعضها الى بعض كهيئة السطح
　　يركب عليها فى الماء و يحمل عليها
والعامة　　عيدان مشدودة تركب فى البحر و يعبر عليها فى النهر
　　و يقال لها ايضا العامة

وانه بعد وصوله الى مرسى الجزيرة اعد له فيه مكان حسن لتطهير انفاسه به مدة اربعين يوما اذ قد جرت العادة عندهم بان من قدم اليهم من البلاد المشرقية وقد استنشق هواها فلا بد وان ينثره فى المرسى قبل دخوله البلد فاقام فيها ياكل ويشرب مع اثنين من اعيان الانكليز ممن ركبوا فى السفينة ؟ وطاب العيش له معهما لانهما كانا قد ساحا فى بلدان كثيرة من المشرق واخذا عن اهلها الكرم ؟ ثم بعد انقضاء المدة جاء الخرجى واخذه الى منزله بالمدينة ؟ وكان المذكور قد فقد زوجته من يوم نوى تسفير الفارياق اليه ! فلزم الحداد والتقشف ؟ ولزمته الكآبة والتاسف ؟ وان لا ياكل غير لحم الخنزير اعلى الله شأنك عن ذكره ؟ وانما امر طباخه بان يتفنن فيه ؟ فيوما كان يطبخ رأسه ؟ و يوما رجليه ؟ و يوما كبده . و يوما طحاله . حتى ياتى على جميع آرابه ثم يستانف من الرأس : وانت خبير بان نصارى الشام يحاكون المسلمين فى كل شىء ما خلا الامور الدينية . فمن ثم كان لحم الخنزير عندهم منكرا : فلما جلس الفارياق على المائدة وجاء الطباخ بارب من هذا الحيوان الكريه ظن ان الخرجى يمازحه باراءته اياه شيئا لم يعرفه ، فامتنع ان ياكل منه طمعا فى ان ينال من غيره ، واذا بالخرجى قضى فرض الغداء وشرع حالا فى الصلوات والشكر للبارى تعالى على ما رزقه فقال الفارياق فى نفسه قد اخطأ والله صاحبى فانه وضع الشكر فى غير موضعه اذ الثناء على الخالق سبحانه لاجل فاحشة او اكل سحت لا يجوز و فى اليوم الثانى جاء الطباخ بعضو

أخر فالتقمه وشكر عليه ايضا فقال الفارياق للطباخ لم يشكر الله صاحبنا على اكل الخنزير قال ولم لا وقد اوجب على نفسه ان يشكر له على كل حال وعلى كل شيء كما ورد في بعض كتب الدين حتى انه كان يقضي هذا الفرض بعد ان يبيت مع زوجته قال وهل شكر له على موتها قال نعم فانه يعتقد انها الان في حضن ابراهيم قال اما انا فلو كان لي امرأة لما أردت ان تكون في حضن احد ثم ان دولة الخنزير اعتزت وعظمت ومصارين الفارياق ضويت وذوت فكان يقضي النهار كله على الخبز والجبن

ثم بلغه ان خبز المدينة يخبز بالارجل ولكن بارجل الرجال لا النساء فجعل يتقلل منه ما أمكن حتى اضر به الهزال وصدئت اضراسه من قلة الاستعمال فوقع منها اثنان من كل جانب واحد وهذا أول انصاف فعله الجوع على وجه الارض اذ لو كانا وقعا من جانب واحد لثقل احد احد الجانبين وخف الاخر فلم تحصل الموازنة في حركات الجسم

اما المدينة فان القادم اليها من بلاد الشرق يستحسنها و يستعظمها ؟ والقادم اليها من بلاد الافرنج يحتقرها ويستصغرها ؟ واعظم ما حمل الفارياق فيها على العجب صنفان صنف القسيسين وصنف النساء ؟

اما القسيسون فلكثرتهم فانك ترى الاسواق والمنازه غاصة بهم ؟ ولهم على رؤسهم قبعات مثلثة الزوايا لا تشبه قبعات السوقيين في الشام ؟ وسراويلهم اشبه بالتبابين فانها الى ركبهم فقط ؟ وسيقانهم مغطاة بجوارب سود ؟ والظاهر انها عظيمة لان جميع القسيسين في هذه الجزيرة ملفون سمان وقد جرت العادة عندهم ايضا بان القسيسين واهل الفضل والكمال من غيرهم يحلقون شواربهم ولحاهم ؟ وانما يجب على القسيسين خاصة ان يلبسوا سراويلات قصيرة مزنقة حتى يمكن للناظر ان يتبين ما وراءها ؟

فاما النساء فلاختلاف زيهن عن سائر نساء البلاد المشرقية والافرنجية ؟

ولان كثيرا منهن لهن شوارب ولحى صغيرة ولا يحلقنها ولا ينتفنها ،
وقد سمعت ان كثيراً من الافرنج يحبون النساء المتذكرات . فلعل
هذا الخبر الغريب بلغ ايضا مسامعهن ، كيف لا واهواء الرجال لاتخفى
عن النساء ، والحسن فيهن قليل جدا ، وانقيادهن الى القسيسين غريب .
فن المرأة منهن تؤثر قسيسها على زوجها واولادها واهلها جميعاً
ولا يمكن ان تتخذ طعاما فاخرا من دون ان تهديه باكورته حتى اذا
اكل منه اكلت هي وقد بلغني ان امرأة سوذية متزوجة اى من حزب
شيخ السوق رأت رجلا جميلا من الحرجيين فاستحسرته فيهم وقالت
لو دخل هذا الرجل كنائسنا لزادت به بهجة ورونقا فارسلت اليه
عجوزا تدعوه اليها فلبى الفتى دعوتها لان عداوة السوقيين والحرجيين
انما هي مقصورة على الضواطرة والنجشيين والحرفيين لامبلغ لها عند الرجال
والنساء فعاضت معه في الحديث الى ان قالت له ان كنت تتبع طريقتنا
فاني امكنك من نفسي ولا أمنع عنك شيئا فقال لها الشاب
اما الذهاب الى الكنيسة فاهون ما يكون على لكونها قريبة
من منزلي
واما الاعتقاد فيكفيني اني نيتي فانى آنف من هذا الاعتراف الذى
كلفكم به القسيسون من اهل كنيستكم
وليس من طبعى الكذب والتدليس حتى اعترف للقسيس بالصغائر
واكتم عنه الكبائر كما يفعله كثير من السوقيين أو أذكر له ما لم افعله
واخفى عنه ما فعلته فتأوهت المرأة عند ذلك واطرقت وهي تفكر
وتحرك رأسها
ثم قالت لابأس اذا ليكفينا منك الظاهر كما اوادنيه وسيسى ثم تعانقا
وتعاشقا وجعل يتردد عليها وعلى الكنيسة معاً
حتى ان الزواني في هذه الجزيرة متهوسات في الدين فانك تجد

فى بيت كل واحدة منهن عدة تماثيل وصور لمن يعبدونه من القديسين والقديسات . فاذا دخل الى احداهن فاسق ليفجر بها قلبت تلك التماثيل فادارت وجوهها الى الحائط لكيلا تنظر ما تفعله فتشهد عليها بالفجور فى يوم النشور .

قال ومن خصائص اهل هذه الجزيرة انهم يبغضون الغريب ويحبون ماله وهو غريب . فان مال الانسان عبارة عن حياته ووجوده وذاته . حتى ان الانكليز اذا سألوا عن كمية ما يملكه الانسان من المال قالوا كم قيمة هذا الرجل . فيقال قيمته مثلا الف ذهب . فكيف يتأتى لاحد ان يبغض آخر ويحب حياته . وانهم يتجاذبون كل غريب قدم اليهم . فيأخذ واحد منهم بيده اليمنى ليريه النساء . ويمسكه الآخر بالاخرى ليريه الكنائس والدولة لمن غلب .

ومن خصائصهم ايضاً انهم يتكلمون بلغة قذرة طفسة منتنة بحيث ان المتكلم يشم منه رائحة البخر اول ما يفوه . والرجال والنساء فى ذلك سواء . واذا استنكهت امرأة جميلة وهي ساكتة نشيت منها عرفا ذكيا فاذا استنطقتها استحالت الى بخر .

(ومنها) انه اذا اصيبت احدى النساء بداء فى احد اعضائها ذهبت الى الصائغ وامرته بانه يصوغ لها مثال ذلك العضو من فضة او ذهب لتهديه للكنيسة ، ومن كانت معسرة صاغته من الشمع ونحوه .

ومن ذلك ان حلق اللحى والشوارب مندوب وحلق ما سواهما محرم . حتى ان القسيسين يلحون على النساء فى السؤال كثيراً حين يعترفن لهم عن قضيتي النتف والحلق ويحرزوهن من ارتكاب ذلك .

ومنها ان لاهل الكنائس عادة ان يخرجوا فى ايام معلومة بما فى كنائسهم من الدمى والتماثيل على ثقلها وضخمها . يحملونها على اكتاف المتحمسين فى الدين فيجرون بها فى الشوارع وهم ضاجون . واغرب من

ذلك انهم يوقدون امامها الشموع حين يود كل انسان ان يأوى الى كهف فى بطن الارض من شدة توهج الشمس . وغير ذلك كثير مما حمل الفارياق على العجب . لان اهل بلاده مع كونهم سوقيين ولهم حرص زائد على عداوة الخرجيين لا نفعلون ذلك . وح ثبت عنده ان الخرجيين هم على الهدى الا فى اكل الخنزير . وان السوقيين على ضلال ماعدا استحسان نسائهم لغيساني الخرجيين . الا انه ليس من طريقة فى الدنيا الا وفيها ما يحمد وما يذم . وان الانسان تراه فى بعض الامور عاقلا رشيداً وفى غيرها جاهلا غوياً . فسبحان المتصف وحده بالكمال . وانما ينبغى للناقد المنصف ان ينظر الى الجانب الانفع و يقابله بغيره فان رأى نفعه اكثر من ضرره حكم له بالفضل . لا ان يمنى نفسه بان يجد شيئاً من الاشياء كاملا قال الشاعر

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

هذا وكما ان الجوع اسقط من فم صاحبنا الضرس المستجيع ضرسين . كذلك اسقطت مشاهدة تلك الامور من رأسه اعتبار السوقيين و بنى عمهم من كلا جانبي الدين والرشاد . فظهر له ان افعالهم احرى ان تكون افعال المجانين . فلهذا ضاق صدره فى بلادهم وعيل صبره . مع احتياجه الى الطعام الطيب الذي كان الفه فى الشام والى لباس يليق به . فان الخرجى افاده ان المقدين على السلع الخرجية لاينبغى لهم التحفل بالملبوس . اذ المقصود من الخرج انما هو حمله فقط . مع ان السوقيين يحسبون ان الخرجيين يستجلبون اليهم المقدين بالمال والهدايا فلهذا كان الفارياق دائم الحزن والاسف . فلم يمكنه وقتئذ ان يتعلم لسان الخرجيين وانما تعلم منهم بعض الفاظ تخص ترويج السلعة فقط .

هذا وقد كان عند الخرجى المذكور خريجى لئيم . شكس الاخلاق

اصفر الوجه . ازرق العينين دقيق ارنبة الانف كبير الاسنان . رأى الفارياق يوما ينظر من طاقة له الى سطوح الجيران فنزغه الشيطان ان يسمر الطاقة . فلما رآها الفارياق مسمرة تفأل بانها خاتمة النحس . وهكذا كان. فانه مرض بعدها بايام قليلة . فاشار الطبيب على الخرجى بان يسفره الى مصر . فسافر من ثم ومعه كتاب توصية الى، خرجى آخر .

الفصل الرابع

فى منصة دونها غصة

مازال "بحر بحرا . دابرحت الريح ريحا . ماانفك طالع الفارياق هابطا . ما فتىء لسانه قارطا . فلما بلغ الى الاسكندرية وجد فى محل الخرجى القديم خرجيا آخر قد دخل فى مضايق ذميمة لم يرض الشيخ خليل بن ايبك الصفدى ان يدخل فيها . فتخلف عمن تمدمه وخبثت ريحه بين اقرانه . والحامل له على ذلك انه رأى هواء البلاد شديد الحرارة عليه . فارتأى ان يتخذ له هرمين يتسلفهما حين يحتر . كما ان سلامه اتخذ هرما من الدنان . فافرغ عليهما من اللجين ما يسيل به واد . فشاع اسرافه هنالك وملّه اصحابه . ثم سافر الفارياق من الاسكندرية الى مصر وادى كتاب التوصية للخرجى . فانزله فى دار رفيق له وكانت محازية لدار رجل من الشاميين كان يجتمع عنده كل ليلة جماعة من المغنين والعازفين بالات الطرب . فكان الفارياق اسمع الغناء من حجرته . فهاج به الوجد والغرام . وتذكر أوقاته بالشام . وحن وصبا الى مجالس الأنس . وخيل له انه انتقل من عالم الجن الى عالم الانس . واسفرت له الدنيا عن لذات مبتكره . وشهوات مدخره . وافراح صافيه . واماني وافيه . فنسي ما كابده فى البحر من الدوار والفواق . وفى الجزيرة من الجوع ونسمير الطاق . وما اصابه من بحج التفديد . وترح التمليد . ورأى لدولة مصر بهجة ورونقا . وفى عيشها رغدا مغدقا . فكان الناس كلهم معرسون . أو مفاخرون ومنافسون . ولنسائها كياسة وظرفا وجمالا . ولطفا ولينا ودلالا . وتيها واختيالا . يخطرن فى الطرق بالحبر كالمنشئات . فيجعلن مجموع الهم على

القلب فى شتات . وما انا باول واصف لهن انهن خلابات للعقول . غلابات للفحول . فقد وصفهن بذلك كل ناظم وناثر . وذكر محالهن كل من حاولهن من الاكابر والاصاغر .

وفى المثل السائر : تراب مصر من ذهب . وغيدها نعم اللعب . وانها لمن غلب . واعجب ما يرى من احوالهن . حين يخرجن من حجالهن . ويتفلتن من عكالهن . ما اذا ركبن الحمير الفارهة العالية ، واستوين فوقها على منصة مضمخة بالغالية ، فترى عرفهن قد ملأ الخياشيم ، وحوراعينهن يذكر الناس بحور جنات النعيم . فمكل من ينظر حورية منهن يكبر عند رؤيتها . ويستصغر الدنيا بجمال طلعتها . ومنهم من يهلل لالتفاتتها . ويسبح عند حركتها . ومنهم من يتمنى ان يكون ممسكا بركابها . أو ماسا لجلبابها . أو حاملا لنعالها . أو رافعا لاذيالها . أو بطانة لحبرتها . أو بوابا لحجرتها . أو رسولا بينها وبين عاشقها . أوتبعا لتبعها زمرافقها . أو مشاطا يسوى فرقها . أو خياطا يرقع خرقها . أو صائغا يصوغ لها سوارا . أو حدادا يصنع لها مسمارا . أو بلانا يدلك بدنها : أو هنا آخر يدانى هنها . وهى من فوق تلك المنصة تتعزز وتمنع . وتشفن وتتطلع . فترمى هذا بنظرة فتدميه . وذاك بغمزة فتصبيه وتسبيه . فتعطل فتعطل على التجار اشغالهم . وتبلبل من ذوى البطالة بالهم . حتى كان الحمار من تحتها يعرف قدر من حمل . ويدرى ما غرض من كبر لرؤيتها وهلل . فهو لا ينهق ولا يسمع له شخير ولا يكرف كسائر الحمير . بل يسمد على الخيل كبرا . ويمشى الخيلاء زهوا وفخرا . اما قائد الحمار فانه يرى ان قائد الجيوش دونه فى المنزلة . وان الناس لفى افتقار اليه وهو الذى لا بد له من عائد وصلة . كيف لا وهو الموصوف بالسياسة . والقيادة والفراسة . وهنا قضية نسيت ان اذكرها . فلا بد من ان اقيدها فى هذا الموضع واحررها . وهى ان القلوب برؤية المتبرقعات . أولع منها برؤية

المسفرات . وذلك ان العين اذا رأت وجها جميلا وان يكن رائعا شائقا غاية ما يمكن . فان المخيلة تستقر عليه وتسكن . فما عند تبصر الوجه المحجوب . مع اعتقاد القلب بان صاحبه من الجنس المحبوب . ولا سيما اذا قام الدليل عليه بحلاوة العينين . وبالهدب وبزجج الحاجبين . فان المخيلة تطير بالافكار عليه . ولا تجد لها من امد تنتهي اليه . فيقول الخاطر (انتهى السجع لانه ملأ الصفحة) لعل هذا الوجه

أثعبانى — الاثعبان والاثعبانى الوجه الفخم فى حسن وبياض .

أوذوا نسبات — يقال فى وجهه انسبات اى طول وامتداد .

أو هو مصفح — المصفح من الوجوه السهل الحسن .

أو مثمعد — المثمعد من الوجوه الظاهر البشرة الحسن السحنة .

أو مدنر — يقال دنر وجهه تدنيرا تلالا .

أو ملوز — الملوز من الوجوه الحسن المليح .

أو مخروط — المخروط من الوجوه ما فيه طول .

أو ساجع — الساجع الوجه المعتدل الحسن الخلقة .

أو عندمى — الوجه الحسن الاحمر .

أو فدغم — الفدغم الممتلى الحسن

أو ذو كلثمة — الكلثمة اجتماع لحم الوجه بلا جهومة .

أو مسنون — يقال رجل مسنون الوجه مملسه حسنه سهله .

ولعله جامع لجميع سمات الوسامة فاشتمل على خدين اسيلين . اسجحين أو مكتلين . وفى كل خد اذا ضحكت غمزة أو هزمة أوشجرة أو عكوة أو غرمة أو فحصة أو فيها

علطة — العلطة واللعطة سواد تخطه المرأة فى وجهها زينة .

أو فى كل منها خال عم حسنه . وعز فتنه .

أو فيهما أو فى احدهما خداد (ميسم فى الخد) أو ترخ (الشرط اللين).

او وحص أو عد أو ظبظاب . الوحص بثرة تخرج فى وجه الجارية
المليحة والظبظاب بثر فى وجوه الملاح ومثله العد .

واشتمل أيضا على ثغر منصب . ذي شنب ورتل ووحبب . ثغرمنصب
مستوى النبتة والشنب ماء ورقة وبرد وعذوبة فى
الاسنان أو نقط بياض فيها أو حدة الانياب كالغرب
تراها كالمنشار والرتل بياض الاسنان وكثرة مائها والحبب
تنضد الاسنان وما يجرى عليها من الماء كقطع
القوارير .

أو على تفليج فى ثنايا من الدر . ذات اشر ووشر . اشر الاسنان واشرها
التحزيز الذى يكون فيها خلقة أو مستعملا يقال اشرت
المرأة اسنانها واشرتها والوشر تحديد المرأة اسنانها
وترقيقها .

او ان لها عترة . تهالكت فى حبها عترة . العترة اشر الاسنان ودقة فى غروبه
ونقاء وماء يجرى عليه — والريقة العذبة وهى ايضا
نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وغبر .

أو ان بذقنها نونة تعوذ بسورة ن . ان شفتها ريا او حواء أو نكعة .

أو ان فيها لعسا أو ذبيا . أو يتصبب منها العسل تصببا .

او ان فيها ثرملة . يشفى من الوله . الثرملة النقرة فى ظاهر الشفة العليا
والنكعة من الشفاه الشديدة الحمرة .

أوان فى طرمتها طرماً . الطرمة النبرة وسط الشفة العليا والطرم الشهد
والزبد والعسل .

أو ان لها ترفه . اشهى واعز من الترفه . الترفة هنة ناتئة وسط
الشفة العليا خلقة وهي ايضاً النعمة والطعام الطيب والشيء
الطريف تخص به صاحبك .

او ان لها عرعرة . على مثلها تهون الغرغرة . العرعرة ما بين المنخرين .

او خورمة . تطيب بها النفس عن الخرمة . الخورمة مقدم الانف أو ما بين المنخرين والخرمة واحدة الخرم وهو نبت كاللوبيا بنفسجى اللون شمه والنظر اليه مفرح جداً ومن امسكه معه احبه كل ناظر اليه ويتخذ من زهره دهن ينفع لما ذكر .

اونثرة . عليها تنثر البدرة . النثرة الخيشوم وما والاه او الفرجة بين الشار بين حيال وترة الانف .

و ان لمراعفها غفرا . يكسر شوكة الاجرا . المراعف الانف وحواليه والغفر زئبر الثوب .

أو ان لها خنعبة . تشد العظام الوربة . الخنبعة النونة أو الهنة المتدلية وسط الشفة العليا أو الشق ما بين الشار بين حيال الوترة ويقال فيها ايضا الخنبعة .

أو عرتبة . تصح بها القلوب الوصبة . العرتبة الانف أو ما لان منه أو الدائرة تحته وسط الشفة أو طرف وترة الانف .

او عرتمة ، هى للحسن سمة ، العرتمة مقدم الانف أو ما بين وترته والشفة أوالدائرة عند الانف وسط الشفة العليا ومثلها الهرثمة ،

أو ان على ملاغظها وملاغمها لغا . ينفى سدما . ويشفى سقما . الملاغظما حول الشفة والملاغم ماحول الفم كالملاغج واللغم الطيب القليل .

أو لعل لها نبرة . هى تمام النضرة . النبرة وسط النمرة فى ظاهر الشفة والنضرة الحسن .

او نفرة . يطيل الصب عليها زفرة . النفرة مثلثة الاول النقرة فى وسط الشفة العليا .

او حثرمة . تذرالقلوب بها مغرمة . الحثرمة الدائرة تحت الانف وسط الشفة العليا او الارنبة أو طرفها .

او وتيرة . تفدى بألف وثيرة . الوتيرة حجاب ما بين المنخرين .

او ان لها خيشوماً يبرء كامها . ويطرى ومها . الخيشوم من الانف ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم الرأس والومه شدة الحر .

او قسامه . يعضى بها العاشق اقسامه . القسامه الحسن والوجه أو الانف وناحيتاه أو وسط الانف الخ .

او ان ذلفا . يصح دنفا . الذلف صغر الانف واستواء الارنبة أو صغره فى دقة أو غلظ واستواء فى طرفه ليس بحد غليظ .

أو خنسا تغيب له الخنس . الخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الارنبة وهى خنساء والخنس الكواكب كلها أو السيارة .

او كان انفها مصفحا المصفح من الانوف المعتدل القصبة .

او اشم . الشمم ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستواء اعلاها وانتصاب الارنبة .

او ان به قنى . قنى الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه او نتو وسط القصبة وضيق المنخرين هو اقنى وهى قنياء .

او ان به غرضين . يلهيان عن التغريض واللجين . غرضا الانف ما انحدر من القصبة من جانبيه جميعاً والتغريض اكل اللحم الغريض والتفكه .

او ان لها ناظرين . تفديهما بالناظرين . الناظران عرقان على حرفي الانف .

او ناحرتين . نذيل لهما النحور والمقلتين . الناحرتان غرقان في اللحى وضلعان من اضلاع الصدر أو هما الواهنتان والترقوتان.

او حافزا . يشرح قلبا حالزا . ويتلحز له الشاعر تلحزا . الحافز حيث ينثنى من الشدق وقلب حالز ضيق والتلحز تحلب فيك من اكل رمانة حامضة ونحوها شهوة لذلك كالتلزح .

أو ان خنابتيها . تحوم القلوب عليها . الخنابتان طرفا الانف .

أو ان لها صامغين . هما قرة العين . وري الغين . الصامغان والصماغان والصمغان جانبا الفم وهما ملتقى الشفتين مما يلي الشدقين وهما ايضا السامغان لغة في الصاد والغين العطش . وياليت شعري هل يتكون فيهما صمغ شهد حتى سميا بهذا وهل هما منطبقان أو منفتحان وهل يتلحز لهما الشاعر المسكين كما تلحز من الحافزين الله اعلم .

ثم يقول أو ان لها حترة . يديم الصب اليهما حتره . الحترة مجتمع الشدقين والحتر تحديد النظر . فهل من تلزح معه .

أو لها ماضغين . يعوذان من العين الماضغان اصول اللحيين عند منبت الاضراس .

أو غنبة . تهند الخلى سنبه . الغنبة على ما في القاموس واحدة الغنب وهي دارات أوساط اشداق الغلمان الملاح . لكنني رأيت ربة البرقع أولى بها فلا عكاس ولا مكاس . على هذا الاختلاس . والتهنيد التصبي والتشويق والسنبة الدهر.

أو على عارضها . يتيم معارضها . العارض صفحة الخد وجانب الوجه.

أو ان لهـا علاطا . يشغف من ناظره نياطا . العلاط صفحة العنق والنياط الفؤاد .

أو بلدة . تفتن اهل البلدة . البلدة نقاوة ما بين الحاجبين وثغرة النحر وما حولها أو وسطها .

أو ان لها محاجر . تباع لها المحاجر . المحجر من العين ما دار بها والمحاجر الثانية ما حول القرية .

أو اسارير . يعنو لها من جلس على السرير . الاسارير محاسن الوجه والخدان والوجنتان .

أو ان طليتها تبرى الطلياء . الطلية العنق أو اصلها والطلياء قرحة كالقوباء

ولديديها اللدود . اللديدان صفحتا العنق دون الاذنين واللدود وجع ياخذ فى الفم والحلق .

ولز زيها اللز . اللزز مجتمع اللحم فوق الزور واللز الطعن .

ومفاهرها اعز الى ذى مسغبة من الفهيرة . المفاهر لحم الصدر والفهيرة محض يلقى فيه الرضف فاذا غلا ذر عليه الدقيق وسيط .

وأن سالفتيها تغنيان عن السلاف . السالفة ناحية مقدم العنق من لدن معلق المرط الى قلت الترقوة .

ونحرها عن نحر النهار . نحر النهار والشهر اوله .

وترائبها غن الاتراب . الترائب عظام الصدر أو ما ولى الترقوتين منه والاتراب واحدها ترب وهو اللدة . ويصح ان تكون ايضاً بكسر الهمزة مصدر اترب الرجل اى كثر ماله فليسال القائل عن ايهما اراد .

الى غير ذلك من الاحتمالات التى لابد منها لحصيف العقل المستحكم الرأى . وانما اطلت الكلام هنا لكوني ناقلا له عمن تبصر الوجه المحجوب

ودهش عن الاصابة فسال عن سببه .

وغاية ما اقول له انا ان من تشاعر امرأة ليلا ولم يرها كما جرى لسيدات يعقوب عم وقع له ما وقع لصاحبنا هذا المكثر من اللعلات والانات والاوات . ولسائل ان يقول ان هذه القضية معكوسة في شأن المرأة اللابسة . فان النظر اذا وقع عليها وهى مستترة وقفت معه الحيلة عند حدها . بخلاف العريانة فان المخيلة والقلب عند النظر اليها يطيران عليا ولا يقفان عند حد فالمخيلة تتصور اشياء والقلب يشتهى اشياء اخرى .

وللمجيب ان يقول ان ذلك انما نشأ عن الفرق الحاصل بين الوجه والجسم . فان الجسم من حيث كونه اكبر من الوجه اقتضى طيران المخيلة اليه . وحومان القلب عليه .

ورد هذا القول جماعة منهم الصباباتي والمبا على الالغرى وابو أربان كبر الجسم هنا ليس سبباً للطيران والحومان . اذ لو لم يبد منه الا موضع واحد لكفى . فبقى الاشكال غير مدفوع .

واجيب بان العلة فى ذلك انما هى لكون الجسم جسما والوجه وجها .

وسفه هذا القول فانه تحصيل للحاصل .

وقيل انما هو لكون الوجه محلا لاكثر الحواس . ففيه مخزن الشم والذوق والبصر وقريب منه مخزن السمع . وارتضاه جماعة منهم العزهى والتيتاءى والذوذخي .

ورد بان هذه الحواس لامدخل لها هنا . فان المراد من كونية المرأة لا يتوقف عليها اصالة فهى مستغنى عنها .

وقيل انما هو لكون الجسم يحوى اشكالا كثيرة . ففيه الشكل المعقمى والرماني والفرموطي والاطارى والخاتمي والقبي والعمودى والهدفى والصادى والميمي والمدرج والمخروط والهلالى ومنفرج الزاوية .

ورد بانه كقول من قال انه اكبر من الوجه وجوابه كجوابه .

وقيل انما هو لكونه العادة الاغلبية هي ان يكون الوجه حاسرا والجسم مستوراً . فاذا رأى الانسان ما خالف العادة هاجت خواطره وطارت افكاره . وقيل غير ذلك والله اعلم . ويحتمل ان هذه القاعدة التي استدركت ذكرها غير صحيحة فياليتني نسيتها فان ذكرها اوجب المناقشة بين العلماء .

والحاصل ان الغرام البرقعي لما باض وفرخ في راس الفارق غردت اطيارُه عليه لان يتخذ له آلة لهو . فما عتم ان تابط له طنبورا صغيرا من السوق . وجعل يعزف به في شباك له مطل على دار رجل من القبط وكان عند الخرجي خادم مسلم قد عشق ابنة القبطي فغار عليها من الطنبور. فسعى بالفارياق الى سيده قائلا اذا سمع المارون في الطريق صوت الطنبور من دارك ظنوا انها دسكرة أو حانة أو ثكنة (مركز الاجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم الخ) لا دار للخرجيين . لان هذه الآلة لا يستعملها غير الترك . فشكره الخرجي على ذلك واستصوب ما قاله واوعز الى الفارياق بالغاء الآلة . فالغاها وجعل يفكر في التملص من ايدي هذه الزمرة التي لم يبرح اذاها واصلا اليه من كل شباك سواء في الجزيرة والارض . ثم بعد ايام قليلة هرب الخادم بالبنت وتزوج بها بعد ان اسلمت والحمد لله رب العالمين .

الفصل الخامس

فى وصف مصر

قد وصف مصر كثير من المؤرخين المتقدمين . ومدحها جم غفير من الشعراء العابرين . وها انا اليوم واصفها ومادحها بما لم يسبقنى اليه احد من العالمين فاقول :

انها مصر من الامصار . أو مدينة من المدن . أو مدرة من المدر . أو كورة من الكور . أو قصبة من القصب . أو بحرة من البحر ، أو ماهة من الماهات . أو قرية من القرى . أو قارية من القوارى . أو عاصمة من العواصم . أو صقع من الاصقاع . أو دار من الديار . أو بلدة من البلاد . أو بلد من الابلاد . أو قطر من الاقطار . أو شيء من الاشياء . غير ان اهلها يقولون انها مصر الامصار . ومدينة المدن . وعاصمة العواصم . وشيء الاشياء الى آخره . وما ادرى فرق ذلك ، وكيف كان فانها مدينة غاصة باللذات السائغة ، متدفقة بالشهوات السابغة ، توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبد اللطيف البغدادى ، يجد بها الغريب ملهى وسكنا ، و ينسى عندها اهلا ووطنا ،

ومن خواصها ان ما يذهب من اجسام رجالها يدخل فى اجسام نسائها ، فترى فيها النساء سمانا كالافط بالسمن على الجوع . والرجال كالحشف بالشيرج على الشبع . ومنها ان اسواقها لا تشبه رجالها البتة . فان لاهلها لطافة وظرافة وادبا وكياسة وشمائل مرضية واخلاقا زكية . واسواقها عارية عن ذلك رأسا . ومنها ان ماءها لا يشبه عيشها أى خبزها . فان عذب والثاني تافه .

ومنها ان العالم فيها عالم والاديب اديب والفقيه فقيه والشاعر شاعر والفاسق فاسق والفاجر فاجر .

ومنها ان نساءها يمشين تارة على الارض كسائر النساء وتارة على السقف وعلى الحيطان .

ومنها تذكر المؤنث وتأنث المذكر مع ان اهلها متقنون للعلم وأي اتقان .

ومنها ان حماماتها لا تزال تقرأ فيها سورة او سورتان من القرآن فيها ذكر الاكواب والطائفين بها فالخارج منها يخرج طاهرا وجنبا . واعجب من ذلك ان كثيراً من رجالها ليس لهم قلوب . وقد عوض الواحد منهم عن قلبه بكتفين وظهرين وباربعة ايدى واربعة ارجل .

ومن ذلك ان كثيرا من البنات اللائي يغسلن اقمصتهن فى بعض مجارى النيل يتمعمن بقمصانهم بعد غسلهن ويمشين عريانات .

ومنها ان قوماً منهم بلغهن ان نساء الصين يتخذن او بالحرى يتخذ لهن قوالب من حديد لتصغير ارجلهن عن المقدار المعهود . فجعلوا يشذبون اصابعهم واعتقدوا ان اليد اذا كان بها اربع اصابع فقط كانت اخف للعمل وانفع لصاحبها . مع ان الاصابع والكفوف عندهم ليست مما يكسى حتى تقضى عليهم بزيادة النفقة . كما هو شأن الافرنج الذين لا يغادرون عضواً من اعضائهم الا ويكسونه احتفالا به وتفخيما له أو حذراً عليه من العدوى .

ومن ذلك أى من الخواص لا من الاعضاء ان البنات اللائي يستخدمن فى الميرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك . يحملنه على رؤسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات صادحات مادحات مازحات . غير أحات ولا ترحات ولا دالحات ولا رازحات ولا كالحات ولا نائحات . ومن كان نصيبها من الآجر نظمت

عليه موالا اجريا . أو من الجبس غنت له اغنية جبسية . كانما هن سائرات فى زفاف عروس .

ومن ذلك ان فيها ديوانين عظيمين يقال لـكل منهما الديوان الخدمى . فالديوان الاول قيمه رجل يجهز للرجال ما يلزمهم لتبريد فرشهم من هو . والديوان الثاني وهو دونه فى القدر والشأن قيمته امرأة تجهز لهم ما يلزمهم لتسخينهم من هى . واصل منشئ الديوان الاول عجمى . وقد صار الآن من الشهرة والنباهة عند العرب بحيث انك لاتزال تسمع ذكره والثناء عليه فى كل ممام ولا يكاد يخلو منه مجلس انس او غناء او أدب .

ومن ذلك ان البرنيطة فيها تنمي وتعظم . وتغلظ وتضخم . وتتسع وتطول وتعرض وتعمق . فاذا رأيتها على رأس لا بسها حسبتها شونة قال الفارياق وكثيراً ما كنت اتعجب من ذلك واقول كيف صح فى الامكان وبدا للعيان ان مثل هذه الروس الدميمة . الضئيلة الذميمة . الخسيسة اللئيمة . المهينة المليمه . المستنكرة المشؤمة . المستمذرة المهوعة المستقبحة المستفظعة . المستسمجة المستشنعة . المسترذلة المستبشعة . تقل هذه البرانيط المكرمة . وكيف انماها هواء مصر وكبرها الى هذا المقدار وقد طالما كانت فى بلادها لاتساوى قارورة الفراش . ولا توازن ناقورة الفراش . وكيف كانت هناك كالترب فاصبحت هنا كالتبر . ياهواء مصر يانارها ياماءها ياترابها صيرى طربوشي هذا برنيطة وان يكن احسن منها عند الله والناس وافضل . واجل . وامثل وللعين ابهى واكمل . وعلى الرأس اطبق . وبالجسم اليق . وغير ذى قرون تتملق لتتلمق . و بزرق عليها لتزرق . قال فلم يغن عنى النداء شيئاً وبقى رأسى مطربشاً . وطرف دهرى مطرفشاً .

ومن ذلك ان قوما من الهكـكاء المهاكيك فيها يمرأون و يبرقعون لحاهم ويزاحمون ذوات البراقع على مورد الانانية . فتراهم يتحففون

ويهجلون ويتبازون ويوكوكون ويوزوزون ويباغمون وهم اقبح خلق الله

ومن ذلك ان لضابط البلد شفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم وذلك انه يأمر جميع السالكين فى طرقها ليلا ان يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة . خيفة ان يعثروا بشيء فى اسواق المدينة فيسقطوا فى هوة أوجب فتنكسر ارجلهم او تندق اعناقهم . ومن وجد ليلا يطوف من غير ذوي البرانيط وليس بيده فانوس غلت رجله الى يده . ويده الى عنقه . وعنقه الى حبل . والحبل الى وتد . والوتد الى حائط. والحائط الى نا كر ونكير . وتصلية سعير .

ومن ذلك ان لبنى حنا فيها اسلوباً فى الكتابة لا يعرفه احد الا هم ولهم حروف كحروفنا هذه الا انها لا تقرأ الا اذا ادخلها الانسان في عينه كذلك رأيتهم يفعلون .

ومنها انه اذا مات منهم احد فلا يزال اهل الميت يندبونه وينوحون عليه حتى يؤوب اليهم ووطبه ملآن من الطريخ . ومن خصائصها ايضاً ان البغاث بها يستنسر . والذباب يستصقر . والناقة تستبعر . والجحش يستمهر . والهر يستنمر بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة .

ومن ذلك ان كثيراً من اهلها يرون ان كثرة الافكار فى الرأس . يكثر عنها الهموم والاكدار أو بالعكس . وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور . كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره . وان تلك الكثرة سبب فى الاقلال . وهذا الطول موجب لقصر الاجال . وأوردوا على ذلك براهين سديدة . قالوا ان العقل فى الرأس كالنور فى الفتيلة . فما دام النور موقدا فلا بد وان تنفد الفتيلة ولا يمكن ابقاؤها الا باطفاء النور . او كالماء فى الوادى . فاذا دام الماء جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب فى البحر فمتى حقن بقى .

او كالفلوس فى الكيس . فما دام المفلس اى صاحب الفلوس يمد يده الى كيسه وينفق منه فنى ما عنده . الا ان تربط يده عن الكيس او يربط الكيس عن يده . او كالتيس النازى . فانه اذا دام نزوه نزفت مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه . فمن ثم اصطلحوا على طريقة لتوقيف جريان العمل فى ميدان الدماغ حينا من الاحيان ليتوفر لهم فى غيره . وذلك بشرب شيء من الحشيش او بمضغة او بالنظر اليه او بذكر اسمه. فحين يتعاطونه تغيب عنهم الهموم ويحضر السرور . وتولى الاحزان . ويرقص المكان . فمن يرهم على هذه الحالة ود لو يكتب فى زمرتهم ويدخل فى دائرتهم وان يكن قاضى القضاة .

ومن ذلك ان طرقها لا تزال غاصة بالابل المحملة . فينبغى للسائر فيها اذا رآها مقبلة ان يخلى لها الطريق . او لا فلا يامن ان يفقد احدى عينيه. وقد ينشأ عن هذا الزحام فوائد كما فى حكاية المرأة التى سارت مع امها لتحضر عرس اختها وطالعها من محلها .

الفصل السادس

فى لا شىء

قد كنت أظن انى اذا تركت الفارياق واخذت فى وصف مصر استريح فإذا هو هى أو اياها . فينبغى لى الآن ان امكث فى ظل هذا الفصل الوجيز قليلا لا نفض عنى غبار التعب ثم اقوم ان شاء الله تعالى .

الفصل السابع

فى وصف مصر

قدمت حامداً الله شاكراً . فاين القلم والدواة حتى اصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح من كل من رآها . لانها بلد الخير ومعدن الفضل والكرم اهلها دوو لطف وادب واحسان الى الغريب . وفى كلامهم من الرقة ما يغنى الحزين عن التطريب . اذا حيوك فقد احيوك . وان سلموا عليك فقد سلموك . وان زاروك زادوك شوقا الى رؤيتهم . وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلا عن مجالسهم . اما علماؤها فان مدحهم قد انتشر فى الآفاق . وفات فخرمن سواهم وفاق . بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه مالا يمكن المبالغة في اطرائه . ولكل نوع من الناس عندهم اكرام يليق به سواء كان من النصارى أو من غيرهم . وربما خاطبوهم بقولهم ياسيدى ولا يستنكفون من زيارتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم خلافا

لعادة المسلمين فى الديار الشامية . وبذلك لهم الفضل على غيرهم . وكان هذه المزية وهى حسن الخلق ورقة الطبع امر مركوز فى جميع اهل مصر فان لعامتهم ايضا مخالقة ومحاملة . وكلهم فصيح اللهجة بين الكلام سريع الجواب حلو المفاكهة والمطارحة . واكثرهم يميل الى هذا النوع الذى يسمونه الانقاط . وكانه المجارزة وهى مفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى . فان من لم يكن قد تدرب فيه لا يمكنه ان يفهم منه شيئاً وان يكن شاعرا . وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغناؤهم اشجى ما يكون. فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره . وكذلك آلاتهم فانها تكاد تنطق عن المعازف بها . واعظمها عندهم هو العود وقل اعتناؤهم بالناى . ولهم فى ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون من المغيبات . غير انى اذم من غنائهم شيئاً واحدا . وهو تكرير لفظة واحدة من بيت أو موال مرارا متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام . ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن . و بعكس ذلك طريقة اهل تونس فان غناءهم اشبه بالترتيل . وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب فى الاندلس .

ومما ينبغى ان يذكر هنا ان النصارى المولودين فى بلاد الاسلام الناهجين منهج المسلمين فى العادات والاخلاق هم ابدا دونهم فى الفصاحة والادب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة . الا انهم انشط منهم على السفر والتجارة والصنائع واكثر اقداما وجلدا على تعاطى الاعمال الشاقة . وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفى النصارى شره عظيم الى اتخاذ الديار الرحيبة. وقنية الخيل النجيبة . والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر لاحد لها . فاذا دخلت دار نصرانى من المتمولين بمصر رأيت عنده عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اغلى ما يكون . وقدر نصفها من الاراكيل الثمينة . وثلث غرفات مفروشات باحسن مايكون من القماش . وآنية فضة للطعام والشراب والرائحة . واسرة عالية وطيئة وثيابا فاخرة وغير

ذلك . ومع هذا فلا تجد عنده كتابا . ولو ان مشتريا شاء ان يشترى شيئاً من تاجر مسلم لوجد سعره ارخص من بضاعة النصراني بربع الثمن . ولكن وجود هذه الشراهة انما هو فى الغالب عند النصارى الغرباء . فاما القبط فانهم اشبه بالمسلمين . وقل من تعاطى المتجر منهم ،

اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت فى الذروة العليا من الابهة والعز والفخر والكرم والمجد . فكان للمتسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكيسي والشحن مما لم يعهد فى دولة غيرها . وكان واليها يولى المراتب العلمية وسمات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى ماعدا اليهود. خلافا لدولة تونس فان شرفها عم الجميع . ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب الحرف وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم فكانت الاسعار بمصر رخيصة جدا فلهذا كنت ترى الناس قصريهم وعميهم مقبلين على الشغل واللهو معا . فالبساتين غاصة باهل الخلاعة والقصوف . ومحال القهوة مجمع الاحباب . والاعراس مسموع الغناء وآلات الطرب من كل طرف . والرجال يخطرون بالخز والديباج . والنساء ينؤن بما عليهن من الحلى . والخيل والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش . الاان صاحبنا الفارياق لم يكد يدخل ارضا سعيدة الا ويخرج منها وقد تغير حالها . فارجع معى الآن لنخلصه من ايدى الخرجيين . فاني تركته يحاول ذلك منذ حين .

الفصل الثامن

فى اشعار انه انتهى وصف مصر

قد غادرنا اى انا وجماعة المؤلفين الفارياق يحاول ان ينفض الخرج عن ظهره . وانى الان من دونهم علمت انه بات ليلة وهو يفكر فى ان كل شىء اثبتته الصنعة فلا بد من ان تملقله الاحوال . فمن ثم عزم على القلقلة . فخرج فى الصباح من معزفه واخذ يطوف فى الاسواق ويحرك كتفيه عند كل خطوة ويقول . لا قلبنه لاطرحنه . لا ركسنه لا بدحنه انه انقض ظهرى اى قرح اى عقر . هل اذا اليوم حمار لحمار بالنكر . فرآه بعض الظرفاء وهو يحرك منكبيه فقال لابد لهذا من شأن فاقبل اليه ولطف له المقال حتى استخرج سره من سرته . وعلم حاله وسبب سفرته فقال له لا عليك فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة . ولكن لا بد للفوز من حركة . قال واى حركة اعظم مما ترى . قال بل الامر دون ذلك . الك اذن واعية . وفكرة مدركة وقدم ساعية . قال اجل . قال فاسمع اذاً ما أقول لك . ان بهذا المصر شاعراً معلما من النصارى له وجاهة ونباهة عند جميع الاعيان . قال ماهذه صفة شاعر وما ارى كلامك الا متناقض الطرفين . فكيف فك هذا المعمى وتاويل هذه الاحجية . قال لا تناقض فانه شاعر بالطبع لا بالصنعة . والفرق بين ذلك ان الشاعر بالصنعة هو من يتكسب بشعره فيمدح هذا ويكذب على هذا حتى ينال منهما شيئاً . فاما الشاعر بالطبع فانما هو الذى يقول الشعر لباعث من البواعث دون تكلف وانتظار للجائزة . قال ليس هذا الفرق مما

ذكره الآمدى . قال ابعث الامدى الى أمد واسمع منى . قال فد امدته فما الرشد . قال نصحى لك ان تكتب كتابا الى هـذا العلامة رتلتمس منه فيما تطرى به عليه مواجهته . فاذا تكرم بذلك فاذكر له ح ما انت تعانيه واستجد به . فلا بد من ان يجيبك . فانه رجل متصف بمكارم الاخـلاق ويحب دغدغة الافتخار . ولا سيما انه يرغب فى مجـالسة ذوى الادب وتيسير اسباب معيشتهم . فتلطف اليه فى المقـال . وانا ضامن لك ان تفوز منه بالامال . فشكره الفارق على نصيحته ورجع الى محله راضيا مستبشراً . فلمـا جن الليل اخذ القلم والقرطاس وكتب ما نصه :

اهدى سلاما لو تحمله النسيم لعطر الافاق . ولو جعل للبدر هالة لمـا اعـتراه المحاق . ولو مرجت به الصهباء لمـا اعقب شربها صداعا . ولو استفه مريض أو لعقه لـما لقى برحاء واوجاعا . ولو علق على شجرة لزهت فى الحال اورافها ولو فى الخريف . ولو سقيه الروض لانبت من كل زهر يهيج طريف . ولو جعل على اوتار عود لاطربت دون عازف ولو تغنى به فى مجلس لاغنى عن المشموم والمعازف . ولو علق فى الآذان لـكان شنوفا . ولو صقل به سيف كليل لجاء رهيفاً ولو مثل لـكان حدائق ورياضا . وسلسبيلا ومحاضا . ولو نيط بالمام . لاغنى عن النمـائم . ولو تختم به ولهـان لاجزأه مجزأ السلوان . ولو كتب على رجام لالهى الثاكل عن النواح . او على خصر هيفا لعام لهـا مقام الوشاح . او على انف مزكرم لما احوجه الى السعوط . او على ساق اعرج لـكان له من قفزه سبق وفروط . او على لسان ابكم لانحلت عقدته . او على كف بخيل لهان عليه فى البذل ذهبه وفضته . او على اجاج لعاد فراتا . او على رمل لانبت الريحـان نباتا . وتحيات فاخرة . ذكية عاطرة . ارق من النسيم . واحلى من التسنيم . واشهى من العافية على بدن السقيم . واجلى

للعين من الاثمد . واغلى للناقد من العسجد . واصفى من الماء الزلال واعلق بالقلب من امل الوصال . واشغل للبال . من هوى ذى دلال . وازهر من نور الصباح . وازهى من نور الاقاح واعبق من شذا الراح . واثمن من الجوهر النفيس . واعز عند البستي من التجنيس . وعند ابي العتاهية من الزهديات . وعند ابي نواس من الخمريات . وعند الفرزدق من المخريات . وعند جرير من الغزليات . وعند ابي تمام من الحكم وعند المتنبي من جزل الكلم . تهدى الى الجناب المكرم . المقام المحترم . ملاذ الملهوفين . مستغاث المضيمين . ثمال المظلومين . ملجأ المهضومين . منهل القاصدين . مورد الطالبين . ادام الله سعده وخلد مجده .

وبعد ياسيدى فاني قدمت هذه الديار وانا حامل لخرج قد انقض ظهرى . وعيل به صبرى . ولم اجد من نزحزحه عني ولو قليلا ، ولست اجد بنفسي الى التخلص منه سبيلا . وقد هديت الى نور معروفك في جنح هذا العماس . وانبئت انك انت وحدك معتقى من هذا الارتباس . دون سائر الناس . فهل تسمح لى بان ازور ناديك الكريم وابث اليك مشافهة ماني من البث المقيم . والضر الاليم . فانك اهل لان تاخذ بيد من لاناصر له . وان تصطنعه لك بالتفاتة تحقق امله . وتنيله ما امله . وان تتخذه لك ما عاش رهين شكرك . ممنون برك . فهو يرجو ذلك منك رجاء من لاذ بعموة فخرك . فان رأيت ان تفعل فذلك من احسانك . وطول امتنانك . والسلام .

وكتب عنوانه يشرف بانامل سيدي الاكرم الاحسب الافخم الاوحد الافضل الاسعد الامثل الارشد الاكمل الامجد الاجل الخواجا فلان ادام الله بقاه بالعز والنعم .

فلما بلغت هذه الرسالة الى الخواجا المذكور وطالع ما فى شرح السلام

من التشابيه المتكلفة لم يتمالك ان ضحك منها وقهقه . وقال لبعض جلسائه ممن ألم بالادب . سبحان الله قد رأيت اكثر الكتاب يتهوسون فى اهداء السلام والتحيات للمخاطب كانما هم مهدون له عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمن . فتراهم يشبهونه بما ليس يشبهه . و يغرقونه فى الاغراق و يغلونه فى الغلو حتى يأتي مبلولا محروقاً . و ربما جاءوا بفقرتين متماثلتين فى المعنى كقوله صاحب هذه الرسالة الان ثمال المظلومين ملجأ لمهضومين . ثم اذا انتقلوا من السلام الى الغرض اجادوا الكلام الى الغاية . و ما ادرى ما الذي حسن لارباب فن الانشاء ان يضيعوا وقتهم بهذه الاستعارات والتشبيهات المبتذلة . و ينظم الفقر المتماثلة فى المعنى .

مع ان العالم يتأنى له ان يبدى علمه بعبارة واحدة اذا كانت رشيقة اللفظ بليغة المعنى . وهذه الف ومائتا سنة قد مضت ومازلنا نرى زيدا يلوك ما لفظه عمرو . وعمرا يمضغ ماقاله زيد . فقد سرى هذا الداء فى جميع الكتاب اما تفخيم المخاطب فى العنوان بالاجل والامجد والاسعد والاوحد وما اشبه ذلك فله وجه . وذلك انه لم تجر العادة فى بلادنا بان يكون تبليغ الكتب على يد البريد . وانما تبعث مع اشخاص ليست لهم خبرة بالطرق ولا بالديار فانما كما لايخفى عاطلة عن التسمية خطا . فاذا حملها رجل لا يعرف القراءة طفق يسأل كل من لقيه فى الطريق عن اسم المخاطب . فان لم يكن العنوان دالا التبس على القارىء . فان كثيراً من الناس مشتركون فى الاسماء وان كانوا مختلفين فى المكارم والاخلاق . وفضلا عن ذلك فقد يتفق ان مبلغ الكتاب بعد ان يكون قد اضاع نصف نهاره فى البحث عن الطريق ، فلا يكاد يهتدى اليه الا ويجد عونا يترصده حتى اذا لمحه تلقفه و بعثه الى احدى الجهات التي اراد . فيبقى الكتاب عنده ثم ينتقل منه الى غيره . و ربما لقى غيره ما لقيه هو فينتقل الكتاب الى آخر وهلم جراً . فكان لابد من الاستقصاء فى العنوان عن صفات المخاطب .

فقال له جليسه اذن يجب ياسيدى ان يذكر فى العنوان جميع الصفات فيقال المخاطب مثلا اذا كان جميلا كيساً غنياً رشيق القد كبير العمامة عريض الحزام : الجميل الكيس الغنى الى آخره .

فقال اما وصف انسان بالجمال والغنى فهو من الموبقات له . واما بغير ذلك ككبر العمامة وعرض الحزام فليس من الصفات المخصصة اذ الناس فى ذلك سواء .

وما خالف ذلك فما اولاه بالاستعمال وستراه عن قريب مستعملا ان شاء الله . وهو وان يكن احيانا من المضحكات وذلك كان تصف رجلا مثلا بالزبيبة والكثية والخنطاوية والشرنبثية والكرنيمية والزلبية والزخربية والسنطبية والعرزبية والعشجبية والعظيبية والجحوطية والازطية والسناطية والفسحمية والجهضمية والبرطامية والخثرمية الا انه احسن من ايقاع اللبس فى صفات المخاطب . وقد بلغنى ان كثيراً من الكتب التى تضمنت مقاصد مهمة لما لم يدل عنوانها بالنص والتوقيف على ذات المرسل اليه فتحت ليعلم صاحبها . فكانت سببا فى ضرر المرسل والمرسل اليه . انتهت محاورتهما

واعلم هنا ان الخواجا المذكور لما بلغته الوكة الفارياق كان مريضا فلهذا لم يجبه على الفور . فبقى الفارياق ينتظر جوابه اياما حتى اعتقد ان سجعه كله ذهب باطلا . اذ لم يكن يعلم السبب وكان فى خلال ذلك دائم الفكر والقلق . فانا الان ادعه فى هذه الحالة منتظر الجواب . وادع صاحبه يداوى حتى يطيب . واعرج قليلا على منازل الالقاب والفاب المسرلة المتمارقة وقتئذ بشرط ان تسمحوا الى بان انتقل الى فصل اخر وهو .

الفصل التاسع

فيما اشرت اليه

حد اللقب عند المشرقيين انه هنة ناتئة او زنمة اوعلاوة زائدة متدلدلة نناط بكونية الانسان . وعليه قول صاحب القاموس العلاقى الالقاب لانها تعلق على الناس . وعند المغربيين اى الافرنج انه جليدة تكور فى الجسم . وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها . فاما الجليدة فلا يمكن فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى صاحبه . وحاشية ذلك اذ الشرح لابد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى . ان الزنمة عند اهل الشرق غير موروثة الا ما ندر . فان لكل قاعدة شذوذا . والجليدة عند الافرنج متوارثة كابرا عن صاغر . مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندى والاغا بل الملك انما هو محصور فى ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى ولده . فقد يمكن ان يكون ابن الوزير أو الملك كاتبا أو نوتيا . فاما عند الافرنج فلا يصح أن يقال لابن المركيز مريكيزا أو مركيزي . وقد يجتمع مطلق الزنمة والجليدة فى جهة بقطع النظر عن كون الاولى متناهية . والثانية غيرمتناهية وذلك ان اصل كل منهما فى الغالب اكال يحدث فى ابدان ذوى الامر والنهى لهيجان الدم عليهم . فلا يمكن تسكين هذا الهيجان وحك هذا الاكال الا باحداث الهنة او الجليدة . وبيانه ان الملك اذا غضب مثلا على زيد من الزيدين لذنب اقترفه . ثم بعث اليه ذلك الزيد بشفيع عريان ليترضاه سكن هذا الاستشفاع ثروة ذلك الغضب . واختلطت

الكيفية الهيجانية بالماهية العربية فانتجتا جليده لمن كان يخاف سلخ جلده فتحلى بها بين اقرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول القرون عليه . والغالب فى الجليدة ان تحتاج الى جسمين . جسم مغضوب عليه وجسم شافع فيه . والغالب فى الهنة ان تحتاج الى جسم واحد فقط . ومن الهنات هنات كنائسية وهى على نوعين . ترابية وهوائية . فالترابية ما كان لها مستقرا أو اصل فى التراب فتنمى فيه وتثمر . وذلك كان يكون جاثليق من الجثالقة مستقراً فى دار أو دير . وله امرة على ناس يودون اليه عشورا ونحوه . فهو يأمر فيهم وينهى ويحكم ويقضى بحسب الاقتضاء أو بحسب ما يعن له . ولا بد وان يكون عنده كاتب يعى اسراره . وطباخ يشد فقاره . وخازن يخزن ديناره . وسجن يحبس فيه من خالفه فى رأيه أو انكر عليه اطواره . وما أشبه ذلك . والهوائية عكس ما تقدم وذلك كهنة المطران اثناسيوس التتونجى صاحب كتاب (الحكاكة فى الركاكة)فان سيده قلده هذه الهنة ليحكم بها فى مدينة طرابلس الشام . غير انه ليس فى هذه المدينة احد من اهل مذهبه حتى يؤدى اليه عشورا او يطبخ له طعاما او يكتب له رسالة . فهو متقلد بها لمجرد الزينة فقط جريا على عادة بعض المتقدمين الذين كانوا يطلقون هنة الامير . على راعى الحمير . وزعيم الملك . على شيخ قرية عفك . والغرض من ذلك كله انفراد شخص عن غيره بصفة ما . واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان الخواجه والمعلم والشيخ ليست القابا معدودة فى الهنات ولا فى الجليدات اذ ليس فى تحصيلها ما يحتاج الى شفيع أو اختلاط اكالى بماهية عربية . وانما هى خرقة تستر عورة الاسم الذى اطلق على المسمى وهى غير محيطة فيه ولا مكفوفة ولا مشرجة ولا ملفوفه بل هى كالبطاقة شدت الى لابسها ليعرف بها سعره . الا انه كثيرا ما يقع الغلط في الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة . فاهل مصر مثلا يطلقون لفظة معلم على نصارى القبط . وكلهم غير معلم ولا معلم

اذا قلنا انه مشتق من العلم فاما اذا كان اشتقاقها من العلامة فلا مشاحة ولفظة خواجا على غيرهم واصل معناها كالمعلم فبقى الاعتراض فى محله . فاما لفظ الشيخ فانه فى الاصل صفة من اسن . ثم أطلق على من تقدم فى العلم وغيره مجازا عمن تقدم فى السن . فان الطاعن فى السن يستحصف عقله و يستحكم رأيه وان اسكره النسا . فنقلت مزيته الى من باشر العلم والذى يظهر لى بعد التامل ان فى الهنات والجليدات لضررا عظيما على من تحلى بها وخلا عنها . الدليل الاول ان المتصف بها يعتقد بمجامع قلبه انه أفضل من غيره خلقا وخلقاً . فينظر اليه نظر ذى القرن الى الاجم . و يستكفى بهذه السمة الظاهرة عن ادراك المناقب المحمودة والمزايا الباطنة ويخلد بها الى البلادة واللذات الموبقة . الثاني انه لو نشبت فيه ربنة زحل يوما من الايام ودارت به دوائره فان لم يجد ذات جليدة مثله لم يمكنه الجلد مع غيرها . وربما كان يهوى جارية عنده جميلة فى المطبخ أو فى الاسطبل فيحرمه منها أبوه أو منصبه أو أهله أو أميره فيقع تعطيل على أهل الجمال . وهو أمر مكروه بل قد جزم بتحريمه جميع العلماء . الثالث انه قد يتفق ان يتزوج بذات جليدة معسرة مثله غير موسرة . فاذا ولدت له اولادا لم يمكنه ان يحضر لهم شيخا يعلمهم فى داره . و يستحيى ان يبعثهم الى المكتب ليتعلموا مع جملة اولاد الناس . فتغدو اولاده من العجماوات و يتسلسل ذلك فى ذريتهم الى ما شاء الله . الرابع أن الهنة والجليدة تقتضيان على المتصف بهما بنفقات لاقة : وتكاليف شاقة تفضى به الى التفريط والاسراف . والتهالك والاشراف . وربما اوصلته اخيرا الى انشوطة حبل من مسد . الخامس ان الانسان من اصل الفطرة ليس له هنة ولا جليدة فاحداثهما فيه بعد ذلك امر مغاير للطبيعة . أو فى الاقل من الفضول او من البطر . وهناك ادلة اخرى اضربنا عن ايرادها خوف الاطالة . فقد تبين لك ان الخواجا المشار اليه كان غير ذى هنة ولا جليدة . ولعله كان يحصل على احداهما لولا ميله بالطبع الى الادب . ولكن لكل شيء آفة .

الفصل العاشر

في طبيب

مصح الله ما بك من السقم ياخواجا ينصر او مسح او مزح . على حد من قرا الصراط والسراط والزراط . ومن قال اجعلى فديتك بصاقا او بساقا او بزاقا . انك غادرت الفارياق فى وسواس و بلبال . فهو ينتظر الجواب منك فى الغدو والاصال . قال انى ليحزننى كثيرا ان قد بلغنى كتاب صاحبك وانا محموم موجع الرأس فلم يمكن لى ان اعجل اليه بالجواب . وكان بودى لو افعل ذلك مما كنت اعانيه غير ان الطبيب رسول عزرائيل منعنى من الحركة . ولكن لابد من ان تسمع قصتى مع هذا القرنان . وهى انى اتخمت يوما من اكلة برغل اخذتها بحذافيرها فاصبحت وبي غثيان . واتفق ان زارنى فى صباح ذلك اليوم بعض الامراء الذين ينبغى ان يقال لما اثبتوه نعم فى موضع لا ولما نفوه لا في موضع نعم . فرآنى على تلك الحالة فقال ما بك . فاخبرته الخبر . فقال عليك بطبيبي الساعة فهو امهر الاطباء لانه قدم من باريس منذ ايام . ولولا ذلك لما اتخذته طبيبا لى و لاهلى . قلت من عادتي ان اصبر على المرض الخفيف اياما واستعين على معالجته بالاحتماء والتوقى فقد يكون فى ذلك ما يغنى عن العلاج . فاني أرى هؤلاء الاطباء يعالجون الامراض بالخرص والتخمين . فما يهتدون الى العلة والمعلول الا بعد ان تبلغ الروح الحلقوم . فيجربون مرة دواء ومرة اخرى غيره . قال لولا ان المرض قد بلغ منك ما قلت هذا الكلام فلا بد من احضاره الان . وما زال بي حتى بعثت اليه خادمى حياء وخجلا . ثم خطر ببالى ان الآدب

عندنا من فرط كرمه قد يجبر المدعو على الاكل . وربما القمه بيده ما تعافه نفسه . ولكن لم اسمع ان احداً تكرم بان يجبر غيره على علاج . فلم املك ان ضحكت . قال ما اضحكك . قلت لا شيء . قال ما احد يضحكك من لا شيء فلابد وان يكون هناك شيء . قلت فكرت فى ذلك الطبيب الذى عاد مريضا فقال لاهله آجركم الله فى مريضكم . فقالوا انه لم يمت بعد . قال يموت ان شاء الله . فضحكت . قال لا عليك فان هذا الطبيب ليس مثل ذاك . وبعد فانك عزب ليس لك اهل حتى يقول لهم ذلك . ثم ما حتم الخادم ان جاء به وهو اشد مني مرضا ونحولا . فالظاهر انه لم يكن له شغل حتى يخرجه من داره . فلما ان دخل جس نبضي ونظر الى لساني ثم زوى ما بين حاجبيه واطرق الى الارض وهو يهمس اى يحدث نفسه . ثم رفع رأسه وقال لخادمي هات الطست . قلت ما تريد ان تفعل وانا صاحب جثتي افلا تشاورني . قال انه الفصد او الرمس . قلت هداك الله ياشيخ انها اكلة برغل مع اللحم مما تسميه الناس كبيبة . قال انا اعرف ذلك انا اعرف . انكم يااهل الشام كلكم تموتون بهذه الكبة . فقد شيعت بها حين كنت فى بلادكم اكثر من مئة جنازة . نعم هى الكبة . قلت فى عجانك ان شاء الله . قال لا تدخل الكبة فى عجيني مطلقا . فالتفت الى الامير وضحكت فظهر لى انه هو ايضا لم يفهم . وفى الاختصار فانه مازال هو والامير يخطئان رأيي حتى استسلمت للهلكة ومددت يدى فاعمل فيها مبضعه اعمال السكين فى بطيخة . فخرج الدم متبعقا حتى دخل فى عينيه فاطلق يدى وذهب يغسل وجهه . ثم جاء بعد هنيهة وقد غشي على . فتداركني خادمى بماء الزهر وغيره والامير ناظر الى دخان تبغه والطبيب يساره . فلما افقت ربط يدى وخرج مع الامير وقالا احترز لنفسك فانا نعودك عن قريب . فقلت فى نفسى لا اعادكما الله . فلما كان الغد جاء

الطبيب متابطا اعشابا . فقلت ماهذه الاعشاب . قال حقنة قلت تكفيني واحدة . قال ان الامير يقول لك ينبغي ان تحتقن ان لم يكن لنفعك فلاكرامه فقلت في نفسي لا باس باكرامه في الحقنة . الا انه قد خالف العادة مرة اخرى فان عادة المزور ان يحلف الزائر باسم الله واسماء ملئكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالبعث ان ياكل او يشرب شيأ على اسمه ، وهذا زائر يلح على بالاحتقان ، ثم استعملت الحقنة ، ثم وافاني اليوم القابل ومعه حقة ، فقلت وما بيدك ، قال مسهل مما اصنعه للامير . فاستففته . ثم جاني في الغد وليس بيده شيء . فاستبشرت وقلت له قد وهنت مني القوى بقوة المسهل . قال ينبغي ان تتخذ اليوم حماما في غاية السخونة لكي تعرق وقد جربته في ذوي الامير فوجدته بعد المسهل انفع ما يكون . ثم تولى هو بنفسه تسخين الماء وانزلني في مغطس كنت اتخذته لنفسي ، فلما دخلته لعجني حره حتى غشي علي بعد ان سمط جلدي ، فأخرجت منه على رمق من الحياة ، فتداركني خادمي بالمشمومات حتى افقت ، ثم جاني في الغد وليس بيده شيء ففرحت ايضا وقلت لعله قد نفد ما في وطاب علاجه وكان الحمام آخر ما عنده ، فسالني عن حالي ، فقلت هو كما ترى ، قال عليل ، قلت واي عليل ، قال ينبغي ان تفصد ، فسقط على كلامه كجلمود صخر حطه السيل من عل ، وقلت كانك تهم باعادة ما صنعته اولا فمتى ينتهي هذا الدور ، قال لا بد ان احد هذه العلوج (جمع علاج) يزيل مابك ، قلت اجل اما الاول فهو انت واما الثاني فهو دمي او روحي . ثم تجلدت وتمنعت وقلت له قل للامير اني والحمد لله عزب فلاي سبب يحاول تسفيري سريعا فلم يفهم . وقال اني اريد ان افصدك لا ان انقل عنك قلت فانا لا اريد فارحني اراحك الله . فاولاني كتفه وولى . ثم لم يلبث ان بعث الى برقعة الحساب وتقاضاني فيه خمسمائة قرش . فانه زعم ان عنده ناسا في الريف من الفلاحين يجمعون له تلك

الاعشاب مع انها مما ينبت على حيطان ديار القاهرة ، وما كفاه ذلك حتى توعدني بانى اذا تأخرت عن قضائه كما تأخرت عن الفصد الثاني يرفع القضية الى ديوان قنصله . فنقدته المبلغ المذكور بتمامه وقلت لا بارك الله فى الساعة التى ارتنا وجوه العجم وادبارهم . وها انا اليوم والحمد لله احسن حالا . ومرادى ان اجتمع بصاحبك . ولكن لابد من اكرامه قبل الزيارة ثم انه امر غلامه بان ينتقى تحتا من الثياب الفاخر وان يتوجه بها الى الفارياق . فانه كان موقتئذ مبرنطا . ثم كتب له رسالة وجيزة مع ابيات قليلة تتضمن استدعاءه الى مجلسه فى اليوم القابل . وتفصيل ذلك يأتي فى الفصل التالى .

الفصل الحادى عشر

في انجاز ماوعدنا به

كان للفارياق صاحب من الديار الشامية يترددعليه .. فلما وفد الخادم بالرسالة وتخت الثياب كان هو حاضرا . فقال للفارياق انا اذهب معك الى الخواجا ينصر فقد سمعت بذكره غير مرة واحب ان اراه . فقال له الفارياق ولكن لعل فى الازواء اساءة ادب فى حق المزور .(١) فان المدعو لا يليق به ان يستصحب احداً معه . قال لاباس فان هذه عادة الافرنج فاما فى مصر فيمكن للمدعو ان يستصحب ايا شاء . وللمستصحب ايضا اذالقى واحدا فى الطريق من معارفه ان يستصحبه . ولهذا ايضا ان يستصحب آخر وللاخر آخر حتى يصيروا سلسلة اصحاب . بحيث لا يكون فى السلسلة حلقة انثوية . وكلهم يكلمون المزور من دون محاشاة وينالوا منه الاكرام ويترحب بهم ولا يمكن ان يسأل احدا منهم فيقول له وات ما حاجتك وأى كتاب وصاة عندك الى . وما اسم زوجتك أو اختك وما سنهن . وفى أى حارة يسكن كما تفعل اصحابك الافرنج . فلا تخش من الرجل جبها . وبعد فن لنا عليه دالة الادب . فهى تغنينا عن دالة النسب . فاجابه الى ذلك وسارا اليه معا . والفارياق يرفل بثيابه وقد اتخذ له عمامة كبيرة . فتذكر يومئذ عمامته بالشام وسقطانه تلك المشؤمة . فلما استقرا بمجلس المشار اليه بعد الترحيب والتلقى بالبشر والبشاشة . وبعد معاقبة اوحشتنا لآنستنا . ومداركة آنستنا لاوحشتنا . ومواترة سلامات طيبين . وموالاة طيبين سلامات . كما جرت العادة عند الخاصة والعامة . قال الخواجا للفارياق قد سرنى قدومك الى هذه الديار والله سبحانه وتعالى قد اسبغ

---

(١) ازوى رجل جاء ومعه آخر

علي نعمته لاشركاك فيها . فقد قال الشاعر

قالوا البعال ألذ شيء يشتهى فاجبتهم هذا ضلال بين

اسداءمعروفالىذى حاجة اشهى وابقى وهو امر هين

على انى لا اقول ان بك حاجة الى لكنى خفت من شكوالك انك محتاج الى ذى مرؤة وآسيك أو يسليك أو يتوجع . وقد وجب على القيام بما يسليك ما انت معانيه . سواء كان ذلك بالمواساة أو النصيحة . ولا سيما انه قد ظهر لى انك متشم فى طلب العلم . وقد عانيت القريض . ولكن فى كلامك ما انتقدته عليك . وليس هذا وقت نقد وتقييد . وانما اسالك أى كتاب من الادب قرأت . فابتدر صاحبه وقال قرأ كتاب بحث المطالب . فقال له لقد عجلت فى الجواب . فان هذا الكتاب فى النحو لا فى الادب . الا انكم ياتلاميذ الجبل تحسبون ان من قرأ هذا الكتاب فكانما قد استوعب العربيه كلها دون افتقار معه الى شيء من كتب اللغة والادب والشروح . وان الطالب منكم اذا أراد ان يحقق كتابا أو خطبة فانما يستعمل بعض اسجاع مبتذل ساكنة الروى . خيفة ان يلتبس عليه المرفوع بالمنصوب . ويتطاول الى بعض استعارات باردة . وتشبيهات جامدة . حشوها الالفاظ الركيكة والمعانى المتقلقلة من دون معرفة ما يستعمل من الفعل ثلاثيا أو رباعيا وما يتعدى به من حروف الجر . فعند قوله هذا تذكر الفارياق قول المطران لغيمر قيمار واولجت فيها . فذكرها للخواجا المذكور فغلب عليه الضحك حتى فحص الارض برجله . ثم قال نعم وان لفى كتب الكنيسة كلها اغلاطا فاضحة من هذا النوع . فقد قرأت فى كتاب منها عن بعض الرهبان انه كان من التواضع على جانب عظيم حتى انه كان كلما مر عليه رئيسه يقوم وينتصب عليه . أى له . وعن آخر انه بلغه عن راهبة ما انها كانت ذات كرامات ومشاهدات . فكان يستمنى دائما ان يراها . أى يتمنى وعن آخر انه كان خرج من ديره

وغاب عنه مدة طويلة ثم رجع فوجد رئيسه الاول قد مات وولى رئاسته احد اصحابه : وانه بعد ان تفاوضا وتباشرا قلده الرئيس خدمة تهبيب الرهبان ليلا . أى ايقاظهم من هب اذا قام : وعن بعض المطارنة انه كان اذا وعظ فى الكنيسة يتعظ له كل من يسمعه : أى يتعظ : وغير ذلك مما لا يحصى بل قد ورد فى الانجيل وكلام الرسل كلام فاسد المعنى ومنشاه فيما اظن جهل المعربين . فمن ذلك ما ورد فى انجيل متى خطابا عن المسيح عليه السلام احذروا لا يضلكم احد فانه سيأتى باسمي كثيرون قائلين انا هو المسيح فلا تصد قوهم . والمراد ان يقال ان كثيرا ينتحلون اسمى فيدعى كل منهم بانه هو المسيح . وشتان ما بين الكلامين . وفى رسالة مار بولس الى طيموتاوس . ولتكن الشمامسة ازواج زوجة واحدة . ومقتضاه اشتراك الشمامسة فى بضع واحد . معاذ الله ان يكون كلامى هذا ازدراء بالدين وانما اوردت ذلك شاهدا على جهل من عرب والف من اهل ملتنا . نعم ان بعض المطارنة قد الفوا تآليف مفيدة جودوا عبارتها وحرروا معانيها . الا ان الجمهور من اهل الكنيسة جهال اغبياء لا يعجبهم الا الكلام الفاسد الركيك . ولقد افضى بنا هذا الاستطراد الى غير الغرض . فلنعد الى ما كنا بصدده وهو اسعافك ايها الحدث بما يريحك من حمل الخرج ، هل لك فى ان تكون كاتبا عند رجل من السراة الاغنياء يريد ان ينشىء مدحا يكتب فيه بلغات مختلفة مساعيه ومعاليه ، فيكون شغلك فيه فى كل يوم نظم بيتين او اكثر بحسب الاقتضاء ، قال فقلت انى ياسيدى ما بلغت من العلم ما يؤهلنى الى هذه الرتبة ، ونحن هنا فى بلد العلم والادب فاخشى ان يتصدى لي قوم يزيفون كلامى ويخطئوننى ، فاخجل والله بعدها من ان انظر الى وجه مخلوق من البشر ، فاني رجل احب الخمول وان بضاعتى فى ذلك لمزجاة . قال لا تخش من ذلك فان اهل مصر وان كانوا قد تمصوا حد العلم وبرعوا فى الفضل والادب على غيرهم . الا انهم لا يعنتون على الناظم او الناثر بلفظة

يخل فيها عفوا . او بمعنى يخطى فيه سهوا . فانهم اهل سماح ومياسرة . على ان من نبغ فى الشعر ان لم يلق من ينتقد قوله مرة ومن يخطئه اخرى فلا يمكنه ان يصل الى مرتبة الشعراء المجيدين . ولو بقي ينظم ابياتا ويودعها سمعه فقط لما عرف الخطأ من الصواب قط . فلا يكاد احد يصيب الا عن خطأ . وقد جرت العادة بين الشعراء بان ما يستهجنه بعضهم من المعانى والالفاظ يستحسنه البعض الآخر .

فلا يزال الشاعر والمؤلف بين اثنين عادل وعاذر ومخطىء ومصوب . ومفسق ومبرىء . ومعترض ومناضل . وراتق وفاتق وممزق ورافىء وخارق وراقع . وحاظر ومسوغ . ومضيق وموسع وقائل لم وقائل لان حتى ترجح حسناته سيئاته . وتداول الناس ابياته . وقد طالما حاول الشهرة اناس بالقول المردود . والكلام المقصود . فمنهم من نظم ابياتا مهملة اى عارية عن النقط فاهملت . ومنهم من التزم فيها الحبك بان يجعل فى اول كل بيت منها حرفا من حروف اسم الممدوح فتركت والغيت . ومنهم من جعل دابه التجنيس والتوريات البعيدة فردت وزيفت . واكتفوا من ذلك بمجرد الشهرة بين قومهم ولم يبالوا بالتعرض للوم والتفنيد . وانى اعيذك من ان تعد في جملة هؤلاء . فاني رأيت فى انشائك نزوات افكار لطيفة تدل على قريحة جيدة : وسليقة متوقدة : وبعد فمن ذا الذى ما ساء قط . قال فقلت والله ان لك على لمنتين عظيمتين . الاولى عنايتك بمعاشى . والثانية تنشيط اياى الى النظم . فقد كنت جزمت بان لا اقول الشعر الا مكتوما عن الناس وها انا لك ياسيدي من الشاكرين وبكرمك من الزائرين . ثم انصرف من عنده داعياً له وقد اضمر مفارقة الخرجى في اليوم القابل .

الفصل الثاني عشر

في ابيات سرية

لم يكن لصاحبنا الفارياق عند الخرجي من الاتقال الاجثته فقط .
فلذا تأبط طنبوره ووضع دواته في حزامه وقال له . قداغانني الله واراني
طريقاً غير التي طرقتها لي انت وحزبك الخرجيون . فانا اليوم مفارقك لا
محالة . قال كيف تفارقني وما اسأت اليك في شيء . قال هذا الطنبور .
يشهد عليك بانك سؤتني . قال ان العازف به لاتقبل له شهادة فكيف تصح
شهادته هو مع كونه سبباً في جرح شهادة صاحبه . قال بل تصح كما
صحت شهادة حجر بالان . وانه لينطق بمساويك كما نطقت اتان جدك .
ويحدث حضرون عن شيمك كما دلت المدن بوق ربيبك . قال ما هذا
الكلام . قال وحي والهام . قال لا بأس في ان تعزف به فقد علمت
ان الخادم عن حسد شكاك . قال بل اني عازف به عند من
يقولون في زد وبعاد واحسنت والله لا عند عجم لا يذكرون اسم الله
لا في الابتهال . قال قد خلطت واشططت . قال قد فرطت وقسطت
قال انك كنود . قال انت من اليهود . ثم ولى عنه وهو سامد الرأس
جاحظ العينين من الغيظ . وسار واكترى محلا آوى فيه الطنبور وتوجه
الى المدح . فما استقر به المجلس الا وورد بشير اليه وبيده رقعة فيها بيتان
يراد ترجمتهما . فلما عرضا على مترجمي اللغات العجمية واديت ترجمتهما
في جهبذ المدح انتهت النوبة اخيرا الى الفاريق . فاخذ القلم وكتب
ركب السري اليوم خير جوادنا يأتيه منا امتطى الكتافا

اذ ليس فينا رامح او رافس   بل كلنا يغدو به رفافا

فلما قابل الجهبذ هذين البيتين بالاصل وجدهما يشتملان على المعنى اشتمال البطن على الجنين او الامعاء على العفج . مع عدم الحشو بالالفاظ التي يستعملها الشعراء غالبا لسد ما في ابياتهم من الخلل . فاعجب بهما جدا وقال . هما حريان بان يفضلا على الترجمة العجمية . فاني لا أرى فيها الا معاظلة الفاظ ولكن لعل هذه عادة القوم فدعهم وعادتهم . غير انه لما اشتهر البيتان عند اهل النقد اعترض بعض ان قوله رامح او رافس من الالفاظ المترادفة فتكون الاولى او الثانية لغوا . فالاولى ان يقال جامح او رامح وفيه مع ذلك سجع . واجيب بان للفظة رامح معاني كثيرة منها الثور له قرنان واسم فاعل من رمح اذا طعن بالرمح او صار ذا رمح . ورمح البرق لمع . ورد بان الثور ليس له مدخل هنا بقرينة . فان الناس لا تركب الثيران وان اشار اليه المتنبي في الغيب . واسم الفاعل بمعنى طاعن لا يناسب المقام . لان المركوب لايكون طاعنا . ثم ورد في اليوم القابل بشير ثان معه رقعة فيها بيتان اخران فقال الفارياق .

قام السري مبكرا لصبوحه   فارتجت الارضون من تبكيره

اوما ترى ذي الشمس من شباكه   مدت اليه شعاعها لسروره

فاعترض على البيت الثاني انه غير لفق للاول . واجيب بانه متفرع عليه ومرتبط به. لان الارضين لما ارتجت وخشي العالمون سطوته ترضته الشمس بشعاعها . ورد بان ترضي الشمس كان متراخيا عن ارتجاج الارضين فلا يفيد . واجيب بان الترضي حاصل على اي حال كان . فان الشمس لايمكنها ان تطلع قبل وقت الطلوع . وضحك قوم من هذا التعليل . ثم ورد في اليوم الثالث بشير آخر فقال الفارياق :

نام السري مهنئاً بالامس لم   يخطر بخاطره الشريف هموم

ان نام نامت امة الثقلين او ان قام قامت والكرى جريم

فاعترض على لفظة الثقلين انها ثقيلة . وان امة حقها ان تكون امتا . ورد بان اللفظة خفيفة ولا عبرة فى كونها مشتقة من الثقل . ثم ورد فى اليوم الرابع بشير آخر فقال

شرب السري خل شرب المسكر فاستغن عن فتوى الفقيه المنكر
واذا اصر على الخلاف محرم فاعمد الى حد الحسام الابتر

فاعترض عليه انه مبالغة قبيحة تفضى الى الكفر وتعطيل الشرع . واجيب عنه بانه طبق الاصل . ثم ورد فى اليوم الخامس بشير آخر فقال

خرج السرى مع السرية ماشيا غلسا الى الحمام كى يتنعما
من كان يدعك مرة جسميهما خلقت يداه على المدى ان تلثما

فاعترض عليه ان الاولى ان يقال ماشيين . ورد بانه لا محظور منه فان السرى هو الاصل بدليل تغليب ماشيين . ثم اعترض ان الافصح ان يقال جسمهما او اجسامهما . واجيب بان الافصح لا ينفى الفصيح . ثم قيل انه ارتكب ضرورة بحذف حرف الجر فى المصراع الاخير اذ حق الكلام ان يكون خلقت يداه بان . على ان تثنية اليد هنا لا معنى لها فان الداعك لا يدعك بكلتا يديه . واجيب بانه لا مانع من حذف الجر مع ان . وان التثنية للايذان بان كل الجوارح مخلوقة لخدمة الممدوح . ثم ورد فى اليوم السادس بشير آخر فقال

خلع السرى اليوم نعليه على مثن عليه مبالغ فى مدحه
فاستبشروا يا عصبة الشعراء من هذا السخاء بيمنه وبسنحه

فاعترض عليه بان اليمن والسنح بمعنى واحد . واجيب بانه كقول الشاعر والفى قولها كذبا ومينا . ثم ورد فى اليوم السابع بشير آخر فقال

حك السرى اليوم اسفل جسمه باظافر ظفرت بكل مؤمل
فالناس بين مصفر ومزمل ومدفف ومزمر ومطبل

فاعترض عليه صرف اظافر، واجيب بان ذلك غير محظور لاسيما وقد وليها قوله ظفرت . ثم ورد فى اليوم الثامن بشير آخر فقال

طوبى لمن فى الناس اصبح حالقا رأس السرى الا حلس الملحوسا
لا زال محفوفا بلطف الله ما حلتت له شعراً شريفا موسى

فاعترض عليه بان الملحوس غير وارد فى صفة الرأس، واجيب بانه لا باس به هنا للجناس ، ثم قيل ان محفوفا مع ذكر الرأس ثقيلة ، واجيب بانها خفيفة بالنسبة الى راس السرى ، قلت وكان الاولى ان يعاب عليه قوله طوبى لمن ، فانه مطلق لا يفيد ان السرى حلق راسه فى يوم معين، غير ان الجناس فى المصراع الثاني شفع فى البيت كله ، ثم ورد فى اليوم التاسع بشير آخر فقال

بسم الزمان عن المنى وتنورا لما استحم سرينا وتنورا
ان المعالى من اسافله زهت والشعر بالشعراء اكسب مفخرا

. فاستحسن هذان البيتان جدا لما فيهما من المطابقة والجناس التام وغيره الا قوله مفخرا ، ثم ورد فى اليوم العاشر بشير آخر فقال

قحب السرى واى شهم ماجد بين البرية مثله لا يقحب
ذى سنة فرضت على كل الورى ان المخالف منهم ليصاب

فعيب عليه لفظة قحب واجيب بانها فصيحة بمعنى سعل ، ثم ورد فى اليوم الحادي عشر بشير آخر فقال

عطس السرى فكلنا يبكى دما وارتاعت الارضون والافلاك
حرس لاله دماغه عن عطسة اخرى تموت برعبها الاملاك

ثم ورد فى اليوم الثاني عشر بشير آخر فقال

فسى الامير فاى عرف عاطر فى الكون فاح واى مسك دبفا
ياليت اعضاء العباد جميعهم تغدو لنشوة ذا العبير انوفا

وعيب عليه قوله فسى . اذ التكثير هنا لا معنى له . وأجيب بان القليل

المنسوب الى السرى كثير . وعليه بظلام للعبيد . فان ادنى ما يكون من نظر فى حق البارى تعالى كثير . ثم ورد فى اليوم الثالث عشر مبشران فقال .

حبق نسرى اليوم فى وقت الضحى واجواد كن ليس يسفر عن شرق
فعطرت ارجاؤه باريجه فكان من حبق له عرف الحبق

فاستحسنا لما فيهما من التجنيس . ثم ورد فى اليوم الرابع عشر مبشران اخران فقال

قد اسهل اليوم السرى فكلنا فرح ففى اسهاله التسهيل
فاستوضحوا خبرا اليه مطرزا وتسابقوا ان البطىء قتيل

فاستحسن البيت الاول للجناس . وعيب عليه قوله مطرزا . اذ التطريز هنا لا موجب له بل فيه ايلام . واجيب بانه طبق الاصل . وان حق الترجمة ان لا تزيد على الاصل المترجم منه فى المعنى ولا تنقص عنه ولا سيما فى الامور المبهمة الخطيرة . وقد كان يجب ان يعاب عليه قوله . فكلنا فرح . لان علله بقوله ففى اسهاله التسهيل . اذ المتبادر ان التسهيل مسبب عن حتف الممدوح وكان الجناس شفع فيه .

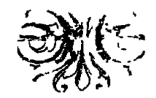
ثم ان الفارياق بعد انقضاء هذه المدة الذكية رأى من الواجب ان يزور سيده ويهنئه بما جرى له . فلما تشرف بمجلسه ساله الخواجا عن حاله . فقال له قد كنت ود سيدى ان ازورك قبل الان لكن خشيت ان يعلق بثيابى اثر من الرائحة التى شملتنى .

فقال له لا ضير فى ذلك ولا سيما اذا تعودت عليها . وان ناديّ لا يبرح كل يوم يعبق به امثالها من زيارة امثال السرى . وهذا شأن ام دفار . ولكن كيف حالك من جهة المعيشه . قال قد اكتريت لى دارا صغيرة واشتريت حمارا . واتخذت خادمة تصلح لى الدار . وخادما ليصلح الحمار .

وانا الان بجاهن وفضلك فى احسن حال ثم انصرف من عنده داعياً له .

(سر بينى وبين القارىء)

قد كان طبيب الجزيرة نصح للفارياق ان يجانب النساء اى يبتعد عنهن لا انه يلصق بجنبهن فان فى قربهن حينا له فالفى قوله كذبا وميناً.



الفصل الثالث عشر

فى مقامة مقعدة

لا يمكن لى ان ابيت الليلة مستريحا حتى انظم اليوم مقامة . فقد عودت قلمى فى هذا الموضع موالاة السجع . وترصيع الفقر الرائعة للعقل الرائقة للسمع . الشائقة للطبع . فاقول .

حدث الحارس بن هشام قال . بينا انا امشى فى اسواق مصر واسرح ناظرى فى محاسنها . واتهافت على النظر الى جمال شوافنها . فتدركنى جمال مدائنها . فالطأ بقرار حائط واضبأ بآخر . واجعل يدى تارة على عيني وتارة على ماهو اصغر منها او اكبر . اذ اومأ الى فتى من حانوت له عليه لوائح هيبة ومنزلة . وحوبة فى التراتب متخللة . غير متحللة . فقال ان شئت ان تصعد الى هنا الى ان ينفض زحام الابل . وتنساغ غصة هذا الازل الارل . فانك لدينا لمن المقربين : وانى باكرامك لضمين . فوجدت دعوته كدعوة الداعى بحى على الفلاح . وقلت ماياى السماح . الا من فاته انصلاح : وعمه عن النجاح : كيف لاوقد اوشكت جوارحى ان تعود مجروحه : وضاقت باحمال ابلكم الارض وهى فسيحه : فابتسم ابتسامة اسفرت عن لحن للقول سريع . وطبع الى ايلاء المعروف ذريع ثم صعدت اليه فوجدت عنده نفرا عليهم عمائم مختلفة . ولهم وجوه مؤتلفة . فلما سلمت متوددا . وتبوأت ما بينهم مقعدا . قال رب الحانوت هل لك فى ان تنتظم معنا فى سلك جدال قد شغلنا من الضحى . وجعلنا له الآذان كثفال الرحى ، فهو دائر على كل منا بالمناوبه .

ومستدرك ختامه باوله بالمعاقبه ، دون درك ومعاقبه ، اذ ليس فيه افضاء الى البحث فى الاديان ، وانما هو امر مباح لكل انسان ، فقلت ان كان مرجعه الى العقل فقد كلفتمونى ادا ، وشططتم فى انتظامى معكم جدا ، اذ لست بصاحب اسفار ، بل حليف تطواف واسفار ، وان كان الى الطبع فان بى لطبعا سليما ، وخلقا قويما ، قال هذا الثانى هو مركز دائرته، وفيصل محاورته ، قلت فاملأ اذني اذاً من جدالك . وألقى على إعدال عدالك، قال اعلم . فرج الله عنك كل غم . انى انا والحمد لله من المسلمين المؤمنين بالله وبرسوله . وبوحيه وتنزيله . وان صاحبي هذا الودود . واشار الى احد القعود : هو من النصارى والآخر من اليهود . والآخر امعة ما له اعتقاد ولا جحود . وانا قد تنازعنا كاس البحث فى الزواج . وافضنا فيه كما تفيض من عرفات الحجاج . أما النصراني فانه يزعم ان طلاق المرأة مفسدة من اعظم المفاسد . ومندمة تمنى المطلق بالنغص والمكايد . ووجه فسادها على مقتضى زعمه . وقد رفهمه . ان الزوجة اذا علمت انها تكون عند زوجها كالمتاع المنتقل. وكثوب المبتذل . موقوفة على بادرة تفرط منها أو هفوة تنقل عنها . لم تخلص له سريرتها . ولن تمحض له مودتها . بل تعيش معه ما عاشت فى انقباض وايحاس . ووحشة وابتئاس . ونكد ويأس . وتدليس والباس · واذا انزلته منزل مبتاعها . واعتقدت ان متاعه غير متاعها . وانه لايلبث ان يلاعنها أو يبارئها . أو يخالعها أو يكسوها ثياب النحمة . ويقول لها الحقى باهلك . أو استفلحى بامرك . أو انت على كظهر امى . أو حبلك على غاربك ، وعودى الى كناسك ، عند اهلك وناسك ، فما انت لى باهل ، وما انا لك ببعل ، لم تحرص له على حاجة ولا على سر ، ولم يهمها ماينزل به من الشر : وربما خانته فى عرضه وماله وكادت له مكيدة فضحته بها بين اقرانه وامثاله . وهنالك محذور آخر ادهى وانكر . وانكى واضر : وامض وامر : وهو ان المرأة اذا فركت زوجها

وحرضت . واعناق دقت . وعيون لقت . واسنان هشمت . وأنوف شرمت وشعور ندفت . ولحى نتفت . وايد قطعت . وانساب ضيعت . وكتائب كتبت . وكتب كتبت . (حاشية من جملتها هـذا الكتاب) وخيل ركضت . وسيوف ومضت . و رماح شرعت . واحزاب تترعت . وجبال دكت ونسفت . وبيوت اقوت وعفت . واملاك حربت . وملوك استخربت . و بلدان خربت . بل امم تهالكت وفنيت . وقرون اندرجت ونسيت . ثم تأوه وقال وسعلة نفدت . ودنانير نفدت . قال الهارس فعلمت انه قد صدعه الصدع بساله . وعظه بابه عند تغلغله فيه وايغاله . ولذلك كان يفيض فى حديثه ويخوض فيه . ايعـز هل من مصاب مثله وعنده علم ما يشفيه . ثم التفت الى مستعبراً . وقال وانت فما ترى . قلت والله انها لاحدى الكبر . ومعضلة تفيض لها العبر . قد طالما ارتبك فيها العالم النحرير . وضل عن علمها اللبيب الخبـير . لا جرم ان معرفة الافلاك وكواكبها وانشاء معادن الارض وعجائبهـا . واسرارها وغرائبها . لاهون على من اقول فى هذه المسألة نعم أو لا . فما ارى الا سكوتي عنها أولى . ثم بينا هم يوجبون و يسلبون . و يوجزون و يسهبون . اذا بالفارياق مر علينا راكبا على حمار فاره . سامد سامه . فلما بصرت به قلت له نزال نزال . وحي على هذا الجدال . فما نرى غيرك جديراً بايضاحه . و بشفائنا من صباحه . قال فى أى امر مريج كنتم تخوضون . وعن أى نكر مشيج انتم تحيضون . قلنا له فى الزواج . فهلم العلاج . فبتدر وقال . على ارتجال .

مسألة الزواج كانت ثم لا   تزال دول الدهر امرا عضلا
ان يكون الطلاق يوما حللا   للزوج اين ابتغاه فعلا
فليس عندى رشد ان تحظلا   زوجته عنه ولا ان تعضلا
ان لم يصيبا للوفاق سبلا   فدعهما فليفعلا ما اعتدلا

ايان شاءا طلما وانفصلا

قال فضحكنا من افتخاره مالم يذكر فى الكتب . وقلنا له الى حمارك عن كثب . فما نرى رأيك الا بدعا . ولقد اسأت جابة بعد ان اصبت سمعا . ثم تفرقنا كما اجتمعنا . وعجبنا مما سمعنا .

الفصل الرابع عشر

في تفسير ما غمض من الفاظ هذه المقامة ومعانيها

ليس فى لغتنا هذه الشريفة ولا فى لغة امة اخرى من الامم لفظة تدل على فاعل ومفعول أو فاعلين اشتركا فى فعل واحد للذتهما ونفعهما . واحتاجا الى من يدخل عليهما ليتعرف منهما أى رفع ونصب يجرى بينهما . وبيانه ان لفظة الزواج عندنا معناها ضم واحد الى آخر حتى يصير كل واحد منهما زوجا لصاحبه ولكن من دون قيد مكان ولا زمان فلو تزوج زيد بهند فى سهل أو على قنة جبل أو في كهف فى يوم الاحد أو الاثنين أو السبت بشرط التراضي بان يكتب الرجل للمرأة صك مودتها بزواجه بها أو يشهد على ذلك رجلين لصح . هكذا كانت سنة الناس المتقدمين من الانبياء وغيرهم كما هو مسطور فى تواريخهم . بل لم يكونوا يقيدون انفسهم لا بالصك ولا بالشهود . أما لفظ النكاح فمعناه احراز امرأة على أى وجه كان . وذلك لان عرب الجاهلية لم يكن عندهم آداب للنكاح والطعام وغيرهما حتى جاء الشرع فعرفه وميز الحلال من الحرام منه .

قال ابو البقا في الكليات — ولكن لم اجده في فصل النون فان رأيته في غيره انجزت ما وعدت به . وكنت اريد استشهد بكلامه على ان اسم الشكاح لم يزل الى الآن مستعملا وانه في كتب الفقه اكثر من ان يحصى. وهو حجة على من انكره من النصارى وعلى من استعاذ من ذكره. واما استعملته العلماء من دون محاشاة لاسباب . الاول انه استعمل قديما من الجاهلية فاثبتته العاقلية . الثاني لوروده في القرآن . الثالث لاشتماله على اربعة احرف وفاقا للطبائع والعناصر والجهات ؟ الرابع لورودها في اسرار سور القرآن : فالنون في ن والقلم وما يسطرون والكاف في كهيعص والألف في الم والحاء في حم . الخامس انك اذا قلبت هذه اللفظة بدا لك منها معنيان شريفان . الاول اسم فاعل من حيي والثاني فعل امر من كان . وبه برزت الموجودات الى العيان . وتجلت الحقائق لذوي العرفان السادس خفة اللفظ وحلاوته . السابع لكون اوله يدل على آخره وآخره على اوله . وقد سمى هذا النوع بعضهم دلالة الاول على الآخر وبالعكس قال وفائدته انه لو استشهد القاضي احدا على فاعله فنطق بالنون والكاف ثم غشي عليه أو على القاضي لمحزا لذلك . عرف من بقي غير مغشي عليه بمجلس القاضي ما اراده القائل . وكذلك لو طرأ عليه اداء الشهادة ما قطعه عن الكلام شوقا وهيبة فلم يسمع منه الا الالف والحاء لدل هذا الجزء الاخير مع قلة حروفه على جميع ما يراد من المدلول . قلت وهو تعليل بديع غير أن هذه التسمية لا توجد في كتب البيانيين والبديعيين . ولست احب الالفاظ الطويلة فالاولى ان ينحت له لفظ من تلك الجملة بحيث يسلم الطرف . فان قلت بل قد استعملت الفاظا طويلة جدا في وصف البرنيطة بقولك المستقبحة المستفظعة مع انه كان يمكنك ان تصفها بالفاظ قصيرة . قلت كان ذلك من باب مراعاة النظير . فان طول البرنيطة يقتضيه . فاما مدلول اللفظ الذي نحن بصدده فانه قصير . ثم اني كنت ابتدأت كلاما في اول

هذا الفصل ولم انهه فان القلم زلق بى الى معنى آخر على عادته . واظن ان الجناب الرفيع أو الحضرة السنية لم يفهماه فمن ثم اقول الآن .

انه اذا كان المراد من الزواج ان كلا من الزوجين يزاوج صاحبه لنفسه لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليان يا كل فخذ الدجاجة لام على . لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذو قبعة فيقول للمرأة لاتتزوجى هذا لكونه لم يسم بطرس . ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسم مريم . او ان يقول هذا يوم الاحد لا يصح فيه الزواج . وهذه حجة لا يحل فيها البماك . والا لصح ان يقول لهما ان يأتي الميل في المكحلة ومثل هذا الكلام لعمرى لا يليق باحد ان يقوله او يكتبه . ثم ان المرأة هى من الاشياء التى لكثرة تكرر النظر اليها كالشمس والقمر لم يود العقل حق اعتبارها . وبيانه ان الله عز وجل خلق المرأة من الرجل لتكون بمنزلة معين له على مصالحه المعاشية ومونس له فى وحشته وهمومه . الا انا نرى ان هذه العلة الاصلية كثيرا ما تستحيل عن صيغتها الاولوية حتى أن بلاء الرجل وهمه و وحشته ونحسه وشقاوته وحرمانه بل هلاكه يكون من هذه المرأة . فتنقلب تلك الاعانة اهانة . وتلخيصه ان الانسان ولد فى هذه الدنيا محتاجا الى اشياء كثيرة لازمة لحفظ حياته : وذلك كالاكل والشرب والنور والدفء . والى اشياء اخرى غير لازمة للحيوة وانما هى لتقويم طبعه حتى لا يختل . وذلك كالضحك والكلام واللهو وسماع الغناء واتخاذ المرأة . الا ان هذا الاخير مع كونه جعل فى الاصل لتقويم الطبيعة اذ يمكن للرجل ان يعيش حينا ما من دونه . فقد غلب على سائر اللوازم المعاشية التى لابد منها . الا ترى ان من يحلم بالمرأة يجد منها فى الحلم مايجده منها فى اليقظة . وليس كذلك من يحلم بانه اكل عسلا او شرب سلافا . بل وقوع هذا نادر جدا حتى للجائع والعطشان . وقد طالما رضيت اصحابنا الشعراء بطيف الخيال من المحبوب . وما احد منهم رضى على

جوعه بان يبعث اليه ممدوحه بكاس مدام فى الحلم او ثريدة . واذا تناول الانسان طعاما طيبا لونا كان او لونين بقى عدة ساعات مكتفيا بما ناله غير مفكر فى القدر ولا فيما يقتدر فيها . حتى يعاوده الجوع فيطفق ح يفكر في تناول طعام آخر . ولكن لم يسمع عن احد من الناس فى حالتى الجوع والشبع انه كان كلما رأى طائرا فى الجو اشتهى ان يمع على سفوده فى البيت حتى يسترطه . او انه كان لايزال يبصبص في دكاكين الطباخين والبدالين والزياتين ويلاوص من ثقوب اقفالهم ومن خصاص ابوابهم وشقوق حيطانهم على ما عندهم من اصناف المأكول . نعم ان الجائع فى بلادنا يحسب كل مستدير رغيفا كما يقال . وفي بعض بلاد الافرنج ربما حسب ايضا المستدير والمطاول وذا شق كظلف الشاة وذلك لتفننهم في اشكاله . غير ان الجائع الى النساء ليس له شكل ينتهى اليه . وكذلك قضية الشرب فان الظمآن بعد ان يروى غليله بالماء فاذا جيء اليه بكاس من التسديم عافه . وكذلك البردان المحتاج الى الدفء فانه متى لبس ما يدفئه من الثياب ويجمله بين الناس لم يتطاول بعد ذلك الى كل ثوب ينظره في دكاكين التجار معرضا للبيع . ولو رأى مثلا قوس قزح او روضة مدبجة بالازهار البهيجة لم يتمن ان تكون الوانها في سراويله او قميصه . وانما يراها ويستحسنها مجرد استحسان من دون ان يشغل بها خاطره ولبه . ولا يحلم ليلته تلك انه رأى روضة انيقة او يتصور وهو متوسد على فراشه انه لو كانت حيال مخدته لزاد ذلك فى تنعيمه او عمره . وقس على ذلك النائم اذا نام كفايته على فراش غير وطيء فان منظر الفراش الوثير بعده لا يهمه

والحاصل ان للانسان عقلا فى يافوخه يدله على ما ينفعه ويضره ويسوءه ويسره . وان فى كل من معدته وحلقومه ميزانا قويما يزن به ما هو محتاج اليه من الطعام والشراب وبه يدرى مضمون قولهم رب اكلة حرمت اكلات . فاما فى امر المرأة فالقانع العزوف يغدو شرها رغيبا .

والرشيد غويا : والحليم سفيها : والمهتدى ضالا : والحكيم عمها : والعالم جاهلا : والفصيح عييا وبالعكس . والصبور جزوعا ولا عكس . الفتى شيخا ولا عكس . والغنى فيرا وبالعكس . والفظ لطيفا ولا عكس . والسمين نحيفاً وبالعكس . والمعافى مبتلى ولا عكس . والمتبت متغشمرا وبالعكس . والبخيل كريما ولا عكس ، والساكن متحركا وبالعكس ، والطرد عكسا وبالعكس ، وهلم جرا . واذا رأى امرأة تبغضه فربما احبها . او تجفوه كلف بها . او تعرض عنه تعرض لها . او تتملق اليه وتعلله فتن بها . او ترميه بحقيبتها على ثقلها جن بها . الا ولو حضر مجلساً كان فيه ،

امرأة وضيئة   حسنة نظيفة .
وهيئة   حسنة الهيئة ،
ومخبأة   الجارية المخدرة لم تتزوج بعد :
وذبأة   الجارية المهزولة المليحة الخفيفة الروح :
وجرباء   الجارية المليحة :
وخدبة   ضخمة :
وخرعوب   الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضاء اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم .
وخنبة   الجارية الغنجة الرخيمة :
ورطبة   معروف :
وسرهبة   المرأة الجسيمة الطويلة :
وشطبة   الطويلة الحسنة الخلق
وشطبة   الجارية الحسنة الغضة الطويلة.
وشنبا   ذات شنب وقدذكر تحت البرقع
وصقبة   الطويلة التارة

وصهباء　الصهب حمرة او شقرة فى الشعر كالصهبة والصهوبة
وعجباء　المرأة يتعجب من حسنها
وقباء　الدقيقة الخصر الضامرة البطن
وكبكابة　المرأة السمينة
ومكدوبة　النقية البياض
وكاعب　التى نهد ثديها
واءوب　الحسنة الدل
ووطبا　العظيمة الثدى والوطب الثدى العظيم
وهدباء　الكثيرة شعر الهدب
وذات صلوته　الصلت الجبين الواضح وقد صلت ككرم
وصموت الخلخالين　غليظة الساقين لايسمع لهما حس
وخوثاء　الحدثة الناعمة
وبلجاء　البلجة نقاوة ما بين الحاجبين هو ابلج وهى بلجاء
ومبهاج　حسنة
وجائعة الوشاح　ضامرة البطن ومثلة غرثي الوشاح
وخدلجة　المرأة الممتلئة الذراعين والساقين
ودعجاء　الدعج سواد العين مع سعتها
ورجراجة　يترجرج عليها لحمها
وزجاء　الزجج محركة دقة الحاجبين فى طول والنعت وزجاء ،
ومدلجة　الممتلئة الناعمة الحسنه الخلق ،
ومفلجة الاسنان　الفلج تباعد ما بين الاسنان .
وبيدح　بادن ونحوه بلدح .
ودحوح　عظيمة .

وذات سجاحة سجح الخد سهل ولان وطال فى اعتدال .

ودملحة الضخمة التارة ؛

وصلدحة عريضة وكذا سلطحة وصلطحة .

وفقاح المرأة الحسنة الخلق .

ووضاحة البيضاء اللون الحسنته .

وبيدخة تارة

وبلاخية عظيمة او شريفة

وصمخة المرأة الغضة

وطباخية الشابة المكتنزة

وفتخاء الاخلاف ناقة فتخاء الاخلاف ارتفعت اخلافها قبل بطنها ذم وفى المرأة والضرع مدح

وفرضاخة ضخمة عريضة او طويلة عظيمة الثديين

وقفاخ المرأة الحادرة الحسنة الخلق

ولباخية لحيمة

وهبيخة الناعمة التارة

وبخنداة المرأة التامة القصب كالبخندى

وبرخداة الجارية الناعمة التارة

ومبرندة الكثيرة اللحم

وثأدة المكتنزة الكثيرة اللحم

ونوهدة السمينة التامة الخلق وكذا الثهودة والفوهدة

وثهمد السمينة العظيمة

وجداء الصغيرة الثديين

وجيداء الطويلة الجيد الدقيقته

ربضة المجرد بضة عند التجرد

وخبنداة	جارية خمنداة تامة القصب او بارة ممتلئة او ثقيلة الوركين وساق خبنداة مسندير ة ممتلئة
وخريد	الخريد البكر لم تمسس او الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة كالخريدة والخرود

تنبيه — (المرأة الحشوب الدردحة الضمزر اللهبرة العكبرة القعسوس الجباعة الشدمة اكثر دلا وغنجا من جميع هؤلاء)

ورخودة	اللينة العظام السمينة
ورعديد	رخصة
ورهيدة	الشابة الرخصة الناعمة
وعبرد	الجارية البيضاء الناعمة ترتج من نعمتها
وعضاد	المرأة الغليظة العضد
وعمدة	الشابة الممتلئة شبابا كالعمدانيه
وغادة	المرأة الناعمة اللينة البينة الغيد
وغيداء	المتثنية لينا
ومقصدة	المرأة التامة العظيمة تعجب كل احد والتى الى القصر
ومادة	الجارية الناعمة
وممسودة	محدولة الخلق
واملود	المرأة الناعمة اللينة
وناهد	كاعب
وبهيرة	السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة وكذا البهيلة .
وبشيرة	جميلة
ومبشورة	الحسنة الخلق واللون
وتارة	ممتلئة الجسم
وترة	الحسناء الرعناء

وجحاشرة	الضخمة الحادرة الجسيمة العبلة المفاصل العظيمة الخلق
وجهراء	مؤنث الاجهر وهو الحسن المنظر والجسم التامة والاحول المليح الحولة
وحادرة	السمينة او الحسنة الجبلة
واحورية	البيضاء الناعمة
وحوارية	• الحواريات نساء الامصار
وحوراء	الحوران يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ماحواليها او الخ
وذات تدهكر	ترجرج
ومدهمرة	المرأة المكتلة المجتمعة
ومزنرة	طويلة جسيمة
وزهراء	المرأة المشرقة الوجه
ومسبورة	الحسنة الهيئة
ومسمورة	الجارية المعصوبة الجسد غير رخوة اللحم
وشغفر	المرأة الحسناء
وصيرة	الحسنة الصورة
وعبقرة	تارة جميلة
وعبهرة	الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم كالعبهر والجامعة للحسن فى الجسم والخلق
وعجنجرة	المكتلة الخفيفة الروح
ومعصر	التي بلغت شبابها وادركت او دخلت في الحيض او راهقت العشرين
وغراء	بيضاء وكذا فراء

وذات افترار		افتر ضحك ضحكا حسنا
وفزراء		الممتلئة لحما وشحما او التي قاربت الادراك
وقفاخرية		النبيلة العظيمة من النساء
ومرمورة		المرمورة والمرمارة الجارية الناعمة الرجراجة ومشرة الاعضاء ريا
ومطرة		لازمة للسواك او للتنظف والاغتسال
وذات مكرة		المكرة الساق الغليظه الحسناء
وممكورة		المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين او المدمجة الخلق الشديدة البضعة
ومارية		بيضاء براقة (من مار)
وذات نضرة		حسن وبهجة
ووثيرة		الوثيرة الكثيرة اللحم او الموافقة للمضاجعة

تنبيه — (المرأة الربسة الدعفصة الدمصة القنبصة الصملة الطهمل الضلفع الضوكعة الرصعاء القشوانة السكرواء اكثر دلا وغنجا من جميع هؤلاء).

وهدكر المرأة التي اذا مشت حركت لحمها وعظامها.

وهيدكور		الكثيرة اللحم والشابة الضخمة الحسنة الدل كالهدكورة
وبلز		المرأة الضخمة او الخفيفة.
وعكموزة		الحادرة التارة
وغمازة		الجارية الحسنة الغمز للأعضاء
وكناز		كثيرة اللحم صلبة
وآنسة		الجارية الطيبة النفس
وبيهس		الحسنة المشي
وخروس		البكر في اول حملها

وخنساء تقدم ذكرها تحت البرقع .

ومركس الجارية طلع نهدها فاذا اجتمع وضخم فقد نهد .

وعيطموس المرأة الجميلة او الحسنة الطويلة التارة كالعطموس .

وعلطميس الجارية التارة الحسنة القوام .

وعانس التى طال مكثها فى اهلها بعد ادراكها حتى خرجت من عداد الابكار .

وقدموسة ضخمة عظيمة .

وقرطاس الجارية البيضاء المديدة القامة .

وكنيسة المرأة الحسناء .

ولعساء من فى لونها ادنى سواد .

ولميس اللينة الملمس .

وعشة المرأة الطويلة القليلة اللحم او الدقيقة عظام اليد والرجل .

وخربصة المرأة الشابة التارة .

ودخوص الجارية الممتلئة شحما .

ورخصة معروف .

وبضباضة بضة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة .

وخريضة الجارية الحديثة السن الحسنة البيضاء التارة .

ورضراضة فى معنى رجراجة .

وغضة غضيضة الطرف الغضة الناضرة من الطرف الفاتر .

وفارض ضخمة .

وفضفاضة الجارية اللحيمة الجسيمة الطويلة .

ومفاضة الضخمة البطن .

وخوطانة جارية خوطانة وخوطانية كالغصن طولا ونعمة .

وسيطة الجسم حسنة القد .

وشطة حسنة القوام طويلة .

وشناط المرأة الحسنة اللون والقوام .

وذات عنط وعيط طويلة العنق حسنته .

وذات شناظ مكتنزة اللحم كثيرته .

وملعظة الجارية السمينة الطويلة الجسيمة .

ونتعاء الشديدة المفاصل والمواصل من الجسد .

وبريعة فائقة الجمال والعقل .

وبزيعة ظريفة مليحة كيسة .

ومتلع الحسناء لانها تتلع راسها تتعرض للناظرين اليها

وسنيعة الجميلة اللينة المفاصل اللطيفة العظام .

وشبعى الخلخال والسوار ضخمة تملاهما سمنا .

وشموع مزاحة لعوب .

وصمعاء الصغيرة الاذن والاذن الصغيرة اللطيفة المنضمة الى الرأس

وضرعاء عظيمة الضرع .

وفرعاء تامة الشعر .

ولعة عفيفة مليحة .

ولاعة التي تغازلك ولا تمكنك (قلت لانها تلوع مغازلها بذلك)

وانوف طيبة رائحة الانف .

وخنذرف المرأة الضخمة اللحمية الكبيرة الثديين .

وذلفاء تقدم ذكر الذلف تحت البرقع .

وذات سجف السجف دقة الخصر وخماصة البطن .

وسرعوف المرأة الطويلة الناعمة .

وسفيانة الطويلة الممشوقة الضامرة .

وظريفة الظرف انما هو فى اللسان او حسن الوجه والهيئة او

يكون في الوجه واللسان او البزاعة وذكا القلب او الحذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال والفتيات الزولات لا الشيوخ ولا السادات .

وفرصافة القرصافة من النساء التي تتدحرج كأنها كرة .

وقصاف المرأة الضخمة .

ولفاء واحدة اللف للجواري السمان الطوال .

وحسنة المعارف والموقفين المعارف الوجه وما يظهر من المرأة والموقفان الوجه والقدم او العينان واليدان وما لابد لها من اظهاره .

ومهفهفة ضامرة البطن دقيقة الخصر .

وهيفاء الهيف ضمر البطن ورقة الخاصرة .

وبراقة الحسناء لها بهجة وبريق كالابريق

وبهلق المرأة الحمراء جدا .

وحاروق نعت محمود للمرأة عند الجماع .

وخرباق الطويلة العظيمه او السريعة المشي .

ورشيقة حسنة القد لطيفته .

ورقراقة التي كان الماء يجري في وجهها

وروقة حسناء تعجب

وسوقاء الطويلة الساقين او الحسنتهما .

وعبقة المرأة التي اذا تطيبت بادنى طيب لم يذهب عنها اياما .

وعاتق الجارية اول ما ادركت .

وعشمة طويلة ليست بضخمة ولا مثقلة .

وغبرقة العينين واسعتهما شديدة سواد سوادهما

وغرانق امرأة غرانق وغرنقة شابة ممتلئة .

وذات غرنقة غزل بالعينين .

وذات لمة غرانقة ناعمة تفيئها الريح .

وفنق جارية فنق ومفنق منعمة .

ولبمة الحسنة الدل واللبسة .

وملصمة الضيقة المتلاحمة .

ولهقة شديدة البياض .

تنبيه — (المرأة الطرطبة المتخبخبة الزغادبة العكباذات الحردبة والسنطبة البلعثة الخرثا الخنطوب العكبرة المثدنة الخطلا اكثر دلاً وغنجا من جميع هؤلاء) .

ومشوقة خفيفة اللحم .

وورودكة حسناء فى عنفوان شبابها .

وضبرك المرأة العظيمة الفخذين .

وضكضاكة قصيرة مكتنزة .

وضناكة الصلبة المعصوبة اللحم .

وممروركة متداخلة .

وعكوكة القصيرة الملززة أو السمينة .

وعصنب اللفاء التى ضاق ملتقى فخذيها مع نرارتها .

وعاتكة المرأة المحمرة من الطيب .

ومفلك التى استدار ثديها .

ومكاكة المكاكة والكمكامة القصيرة المجتمعة الخلق .

وهبركة الجارية الناعمة .

وسيلة الخدين الاسيل من الخدود الطويل المسترسل .

ومبتلة الجميلة كانها بتل حسنها على اعضائها اى قطع والتى لم يركب بعض لحمها بعضا وفى اعضائها استرسال .

وبهكنة المرأة الغضة الناعمة .

وجمول جملاء الجمول السمينة والجملاء الجميلة والحسنة الخلق من كل حيوان.
وخدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها أو الممتلئة الاعضاء لحما في دقة عظام كالخدلاء .
وخلة المرأة الخفيفة .
ودحملة الضخمة التارة .
ودحلة السمينة أو الحسنة الخلق .
وكسال نعت للجارية المنعمة لاتكاد تبرح من مجلسها مدح .
ورخيمة رخمت الجارية صارت سهلة المنطق فهى رخيمة ورخيم
ورقيمة المرأه العاقلة البرزة وفى ب رز امرأة برزة بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة جليلة الخ .
وميسانة الضحى مدح ونحوه نؤوم الضحى .
وحسنة الخفيين أى صوتها واثر وطئها يقال اذا حسن من المرأة خفياها حسن سائرها .
وغانية المرأة التى تطلب ولا تطلب اوالتى غنيت بحسنها عن الزينة .

(تنبيه المرأة القرزح القيلع الحنجل الحزمل الحكة الخ مثل الجبلة الجهبلة الحنكلة القيعلة اكثر غنجا وتدعبا من جميع هؤلاء ،

وسيأتي تتمة وصف الحسان فى الفصل السادس عشر من الكتاب الرابع اذ لم يبق لى من حراك وقوة لذلك واحسب القارىء نظيرى . وانما اقول . نعم لو كان فى ذلك المجلس السعيد جميع هؤلاء الحسان على اختلاف الوانهن لود ان ينظمهن كلهن فى سلك واحد ويجعله فى عنقه كسبحة اولياء الله المفردين . ومن ماراني فى ذلك رجعته الى قصة سيدنا سليمن عليه السلام فانه معما اوتي من الحكمة وما ادراك ما الحكمة . فقد كان سلكه يشتمل على الف امرأة .منهن ثلثمائة سريات والباقى سريات.

فكان له كل يوم امرأتان ونصف وكسور . الا ولو انه أى الرجل رأى الشمس طالعة والبدر بازغا والكواكب مضيئة لكان اول مايخطر ببساله ن يقول .

لقد تزينت هذه السماء بهذه النيرات البهية . فمتى تزين حجرتى بواحدة من اخواتهن او باثنتين او ثلاث او بعشر او بالسبحة كلها . ولو رأى غوطة او ربوة او جبلين متناوحين او نوفا او حشة او هذفا او شقبا او قوزا او دعصا او كوثلا او خوطا يناود او بحرا يتموج او عوطبا او طاووسا او تفاحا او رمانا او عقد در منظوم او شيئا آخر يروق العين لسبق وهمه الى امرأة . بل ربما تصور واحدة لم يكن قد رآها قط ولا وجود لها فى الاعيان ولو رأى سفينة ماخرة فى اليم وعليها شراعها اشبهها بامرأة ترفل بثيابها فى الطرق كما كان داب احد الخرجيين المتورعين . ولو رأى حمامتين تتزاقان وتتلاسنان قال ليت لى الآن من ازقها وتزقنى والاسنها وتلاسننى وانقرها وتنقرنى . ولو رأى ابا برائل (١) بين ضغادره يلقمهن مما لديه . و يصفق لهن بجناحيه ويجثل اليهن ويتجفل ثم يحلج بينهن لود ان يكون نظيره . وحسبك بذلك من دناءة واهانة لهذه الصورة البشرية التى يقال فيها انها خلقت على مثال الخالق تعالى عن الشبيه والنظير . الا ولو انك القيته فى جب سيدنا يوسف . وفى فلك سيدنا نوح . وفى بطن حوت سيدنا يونس . وعلى ناقة سيدنا صالح . ومع اصحاب الكهف . لصرخ قائلا المرأة المرأة . ومن لى بالمرأة . ولو انزلته فى

بناتة	الروضة المعشبه .
ورقمة	الروضة وجانب الوادى او مجتمع مائه .
ودقيرة	الروضة الحسناء العميمة النبات

---

(١) ابو برائل كذا هي فى نسخة القاموس التى عنـدى بالفتح الا ان قوله البرائل كعلابط ما استدار من ريش الطائر حول عنقه يقتضى انه مضمو

وورِيفة   الروضة الخضراء .
وغلباء   الحديقة المتكاثفة .
وعلجوم   البستان الكثير النخل .
ومخرقة   البستان .
وحديقة   الروضة ذات الشجر .
وفى حجرة وعلية وغرفة ومقصورة وخدر وحجلة ومنصة .
وسدار   شبه الخدر والموصد الخدر .
وحشة   القبة العظيمة .
وجنبذة   كالقبة .
وعرش   الخيمة والبيت الذى يستظل به كالعريش .
وكرح   بيت الراهب ومثله الركح
وكوخ   البيت المسنم من قصب .
وصومعة   بيت للنصاري .
وريع   الصومعة.
وفنزر   بيت يتخذ على خشبة طولها نحو ستين ذراعا للربيئة ؛
وبهو   البيت المقدم امام البيوت .
وحلة   جماعة بيوت الناس أو مئة بيت والمجلس والمجتمع .
وفسطاط   السرادق من الابنية ومثله المضرب .
وكبس   بيت من طين .
وحفش   البيت الصغير جداً .
وجنز   البيت الصغير من الطين .
وخص   البيت من القصب أو — .
وردهة   البيت الذى لا اعظم منه .
ومجلوه   البيت الذى لا باب فيه ولا سـ:

ووأم البيت الدفء .
وأقنة بيت من حجر .
وطراف البيت من ادم .
ووسوط بيت من بيوت الشعر أو هو اصغرها .
وطنف السقيفة تشرع فوق باب الدار .
ونزل ماهيء للضيف ان ينزل عليه .
ومغنى المنزل الذى غنى به اهله ثم ظعنوا أو عام .
ومعهد المنزل المعهود به الشى .
ومعان المباءة والمنزل .
وندى مجلس القوم نهاراً أو — .
ومرتبع الموضع يرتبعون فيه فى الربيع .
ومصيف ومشتى معروف .
ودسكرة بناء كالقصر حوله بيوت أو — .
ومشرقة موضع القعود فى الشمس بالشتاء .
ومضحاة ارض مضحاة لاتكاد تغيب عنها الشمس .
وظلة شيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد .
ومشربة الغرفة والعلية والصفة .
وسعنة الزفن أو مطلق المظلة .
ومظلة الكبير من الاخبية .
وساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق .
وعرزال بيت صغير يتخذ للملك اذا قاتل الخ .
وكن البيت .
وقيطون المخدع .
وسرب الحفير تحت الارض .

وديماس الكن والسرب والحمام .
وبرج معروف .
وصهوة البرج فى اعلى الرابية .
وصرح القصر وكل بناء عال .
وعقر البناء المرتفع .
وطربال كل بناء عال .
وازج ضرب من الابنية .
وايوان الصفة العظيمة كالازج .
ورواق بيت كالفسطاط أو سقف فى مقدم البيت .
واجم كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن .
وكعبة الغرفة وكل بيت مربع .
واطم القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع ومسطح .
ووشيع عريش يبنى للرئيس فى المعسكر .
وسنيق بيت مجصص .
وجوسق القصر .
ودوشق البيت ليس بكبير ولا صغير أو البيت الضخم .
وقهقور بناء من حجارة طويل .
ويغبور الحجر الذى يذبح عليه القربان للصنم .
وزور مجلس الغناء .
وبد بيت الصنم .
وزون الموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين .
ومسجد معروف .
وكنيسة معروف .
وفهر مدارس اليهود تجتمع اليه فى عيدهم أو — .

ومدراس الموضع يقرا فيه القرآن ومنه مدارس اليهود .
وفى كوكبان حصن باليمن رصع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب .
والجوسق دار بنيت للمقتدر فى دار الخلافة فى وسطها بركة من
الرصاص ثلاثون ذراعا فى عشرين .
وقصر النعمان الذى بناه السنمار هو رجل اسكاف بنى قصراً للنعمان
ابن امرء القيس فلما فرغ القاه من اعلاه لئلا يبنى لغيره مثله
أو هو غلام لا حيحة بنى أطمة فلما فرغ قال له لقد احكمته
قال اني لاعرف فيه حجراً لو نزع انتقوض من عند آخره
فساله عن الحجر فاراه موضعه فدفعه احيحة من الاطم فخر
ميتا .
والجعفرى قصر للمتوكل قرب سر من رأى .
والمارد حصن بدومة الجندل .
والابلق حصن بتيماء قصدتهما الزبا فعجزت فقالت تمرد مارد وعز
الابلق .
وصرواح حصن بناه الجن لبلقيس .
ودار الخيزران بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة
وقصر بهرام جور من حجر واحد قرب همذان .
وقصر غفراء بالشام .
والبديع بناء عظيم للمتوكل بسر من راى .
وزعيرة حصن قرب الكرك .
وقصر عسل بالبصرة .
والندى حصن باليمن .
والغفر حصن بها .
وسمدان حصن بها عظيم .

والشخب حصن بها .
وثربان حصن بها .
وهران حصن بها .
وشواحط حصن بها .
والموهبة حصن بها .
والظفير حصن يماني صنعا
والسيس حصن باليمن
والنجير حصن قرب حضرموت
وغمدان قصر باليمن راه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر
واخضر وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقف
اربعون ذراعا . لما انفك ان يصرخ ويقول المرأة المرأة .
ومن لى بالمرأة . ولا عيش الا مع المرأة . ولو انزلته فى
شعب بوان احدى الجان الاربع .
وصنعاء د باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق :
والسغد بساتين نزهة واماكن مثمرة بسمرقند .
والشعران جبل قرب الموصل من اعمر الجبال بالفواكه والطيور .
والوهط بستان ومال كان لعمرو بن العاص على ثلثة اميال من وج
كان يعرش على الف الف خشبة شراء كل خشبة درهم
وبلنسية د شرقى الاندلس محفوف بالجنان لا ترى الا مياها تدفع
ولا تسمع الا اطيارا تسجع .
ومرسية د اسلامى بالمغرب كثير المنارة والبساتين :
وثمانين بلد بناه نوح عم لما خرج من السفينة ومعه ثمانون نفسا .
وجابلص د بالمغرب ليس وراءه انسى .
والراهون جبل بالهند هبط عليه آدم عم .

والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام

وقاف جبل محيط بالارض أو من زمرذ وما من بلد الا وفيه عرق منه وعليه ملك اذا اراد الله ان يهلك قوما امره فحرك فخسف بهم .

والفيق جبل محيط بالدنيا ومثله الفيق .

والساهرة ارض يجردها الله يوم القيامة . لما انفك يصرخ ويقول المرأة المرأة . ومن لى بالمرأة . ولا عيش الا مع المرأة بل لو صعد الى

المشريق باب للتوبة فى السماء .

وطوبى شجرة فى الجنة .

وعليين فى السماء السابعة تصعد اليه ارواح المؤمنين جمع على .

والضراح البيت المعمور فى السماء الرابعة .

وبرقع اسم للسماء السابعة أو الرابعة أو الاولى .

والحاقور اسم للسماء الرابعة .

والصاقورة اسم للسماء الثالثة .

والغرفة السماء السابعة وكذا عروبا وفيها سدرة المنتهى .

وعقيون بحر من الريح تحت العرش فيه ملائكة من الريح معهم رماح من الريح ناظرين الى العرش تسبيحهم سبحان ربنا الاعلى .

والاعراف سور بين الجنة والنار . لاخذ يزعق بجامع حلقومه ويقول المرأة المرأة . فاني ما دمت بشرا لابد لى من المرأة . و لو اريته من الغرائب

السكينة شيء له راس كرأس الهر من زبرجد و ياقوب وجناحان .

والكواد تابوت التوراة .

وقرطى مارية هى مارية بنت ارقم أو ظالم كان فى قرطها مائتا دينار أو جوهر قوم باربعين الف دينار أو درتان كبيضتى حمامة لم ير مثلهما قط فاهدتهما الى الكعبة .

وقنطرة خرزادا أم ازدشير بسمرقند بين ايدج والرباط من عجائب الدنيا طولها الف ذراع وعلوها مائة وخمسون اكثرها مبنى بالرصاص والحديد .

وتابوت تاحة هى تاحة بنت ذى الشفر قال ابن هشام حفر السيل عن قبر باليمن فيه امرأة فى عنقها سبع مخانق من در وفى يديها ورجليها من الاسورة والخلاخيل والدماليج سبعة سبعة وفى كل اصبع خاتم فيه جوهرة مثمنة وعند رأسها تابوت مملوء مالا ولوح فيه مكتوب باسمك اللهم اله حمير انا ىاحة بنت ذى شفر بعثت مائرنا الى يوسف فابطأ علينا فبعثت لادتي بمد من ورق لتاتيني بمد من طحن فلم تجده فبعثت بمد من ذهب فلم تجده فبعثت بمد من بحرى فلم تجده فامرت به فطحن فلم انتفع به فاقفلت فمن سمع بى فليرحمنى واية امرأة لبست حليا من حليى فلا ماتت الا ميتى .

وذا الفقار سيف العاص بن منبه قتل يوم بدر وكان كافرا فصار الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم صار الى على .

والكشوح من السيوف السبعة التى اهدتها بلقيس الى سليمان عليه السلام .

والجن حى من الجن منهم الكلاب السود البهم او سفلة الجن وضعفاوهم وكلابهم او خلق بين الانس والجن .

واورم الجوز قرية بحلب فيها اعجوبة وهى ان المجاورين لها من القرى يرون فيها بالليل ضوء نار فى هيكل فيها فاذا جاؤه لا

يرون شيئاً .

والرئى — جني يرى فيحب

وفرس قاين — الذى قال له هجدم يقال اول من ركبه ابن آدم القاتل حمل على اخيه فزجر الفرس فقال هج الدم فخفف .

والعصافير — شجر يسمي من رأى مثلى له صورة كالعصافير كثيرة بفارس .

والنسناس — جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة وفى الحديث ان حيا من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل انسان منهم يد ورجل من شق واحد ينقزون كما ينقز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة خلق على حدة اوهم ثلاثة اجناس ناس ونسناس ونسانس اوالنسانس الاناث منهم اوهم ارفع قدرا من النسناس اوهم ياجوج وماجوج اوهم قوم من بني آدم او خلق على صورة الناس وخالفوهم فى اشياء وليسوا منهم .

ودعموصا — رجل زناء مسخه الله دعموصا لدويبة او دودة سوداء تكون فى الغدران اذا نشت .

وعبودا — عبد اسود اول الناس دخولا الجنة .

وعامر بن جدرة — اول من كتب بخطنا

ومرامرا — اول من وضع الخط العربى

وأبا عروة — رجل كان يصيح بالاسد فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه .

وطخمورث — ملك من عظماء الفرس ملك سبعمائة سنة .

والوضاح — رجل ملك الارض وكانت امه جنية فلحق بالجن

والرابضة	ملائكة هبطوا مع آدم و بقية حملة الحجة لا تخلوا الارض منهم
واليبروح	اصل اللفاح شبيه بصورة انسان
وسكينة	اسم البقة الداخلة انف نمروذ .
وطاخية	نملة كلمت سليمان عليه السلام .
وعيجلوف	اسم النملة المذكورة فى القرآن .
والتخس	دابة بحرية تنجى الفريق تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين
والجساسة	دابة تكون فى الجزائر تجس الاخبار فتاتى بها الدجال
والرخ	طائر كبير يحمل الكركدن .
والكركدن	دابة تحمل الفيل على قرنها .
والزبعرى	دابه تحمل الفيل بقرنها
والعقام	سمك وحية تسكن البحر و ياتى الاسود من البر فيصفر على الشط فتخرج اليه العقام فيتلاءيان ثم يفترقان فيذهب كل منهما الى منزله .
و بنت طبق	سلحفاة تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف وتبيض بيضة تنقف عن حية
والفلتان	طائر يصيد القردة
والبلت	طائر محترق الريش ان وقعت ريشة منه فى الطير احرقته
والسمندل	طائر بالهند لا يحترق بالنار
والتهبط	طائر اغبر يتعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول انا اموت انا اموت
والانن	طائر كالحمام صوته انين اوه اوه
والزماح	طائر ياخذ الصبي من مهده
والهديل	فرخ على عهد نوح عليه السلام مات عطشا او صاده

جارح من الطير فما من حمامة الا وهى تبكى عليه

والقرقفنة	طائر يمسح جناحيه على عينى القنذع الديوث فيزداد لينا
والفقنس	طائر عظيم بمنقاره اربعون ثقبا يصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة يأتى الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوما ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فينقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رمادا فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا فى الشفاء . لمد عنقه وجعل اصابعه فى اذنيه واذن صارحا . هاى هاى المرأة المرأة . اروني المرأة . ما يجزئنى شيء عن المرأة . ولو انك لاعبته
بالجنابى	لعبة للصبيان
وحدبدبى	لعبة للنبيط
والطبطابة	خشبة عريضة يلعب بها بالكرة
والقرطبي	ضرب من اللعب ونوع من الصراع
والكبكب	لعبة
والكوبة	النرد او الشطرنج
والهبهاب	لعبة لصبيان
وكتكتي	لعبة
والبحيثي	لعبة بالبحاثة اى التراب
والكشكشى	لعبة بالتراب
والطث	لعبة للصبيان يرمون بخشبة مستديرة تسمى المطثة
واللوثة	خرقة تجمع ويلعب بها
والانبوثة	لعبة يدفنون شيأ فى حفيرة فمن استخرجه غلب

والشطرنج معروف

والخريج لعبة يقال لها خراج خراج

والفنزج رقص للعجم

والفججة لعبة يقال لها عظم وضاح

والكجة لعبة ياخذ الصبي خرقة فيدورها كأنها كرة

والكجكجة لعبة تسمى است الكلبة

والجاح تمرة تجعل على رأس خشبة يلعب بها الصبيان

والجمع رمى الصبي الكعب بالكعب حتى يزيله عن مكانه

و دحندح لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها فمن اخطاها قام على رجل وحجل سبع مرات

والداح نقش يلوح للصبيان يعللون به ومنه الدنيا داحة

والرجاحة حبل يعلق و يركبه الصبيان

والدباح لعبة

والدماخ لعبة للاعراب

والمطخة خشبة يلعب بها الصبيان

والطريدة لعبة تسميها العامة المسة والضبطة فاذا وقعت يد اللاعب من آخر على بدنه رأسه او كتفه فهى المسة واذا وقعت على الرجل فى الاسن

والنرد معروف

والمواغدة لعبة وان تفعل كفعل صاحبك

والبقار لعبة

والبقيرى لعبة

والجمرى لعبة للصبيان وهو ان يحمل الصبي بين اثنين على ايديهما

والحاجورة لعبة تخط الصبيان خطا مدورا و يقف فيه صبي و يحيطون

به ليأخذوه

والدكر لعبة للزنج والحبش .

والسحارة شيء يلعب به الصبيان .

والسدر لعبة للصبيان

والعرعرة لعبة للصبيان .

والشعارير لعبة .

والمنجار لعبة للصبيان أو الصواب الميجار .

والتوز خشبة يلعب بها بالكجة .

والعرز عرز لفلان قبض على شيء فى كفه ضاما عليه اصابعه يريه منه شيئا لينظر اليه ولا يريه كله .

والقفيزى لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتقافزون عليها .

والفاز لعبة لهم يتنافزون فيها أى يتواثبون .

والكسة الكجة .

والحوالس لعبة للصبيان .

والدسة لعبة .

والدعكسة لعب للمجوس كالرقص .

والفسفسى لعبة لهم .

والفاعوس لعبة لهم .

والبوصاء لعبة لهم يأخذون عودا فى رأسه نار فيديرونه على رؤسهم .

والرقاصة لعبة .

والحوطة لعبة تسمى الدارة .

والخطة لعبة للاعراب .

والضبطة لعبة لهم .

والتضرفط وهو ان تركب احدا وتخرج رجليك من تحت ابطه

وتحملهما على عنقه .*

والضريفطية	لعبة لهم .
والمقط	مقط الكرة ضرب بها الارض ثم اخذها .
والمرصاع	دوامة الصبيان وكل خشبة يدحى بها .
واليرمع	الخذروف .
وقلوبع	لعبة لهم .
والجحفة	اللعب بالكرة .
والخذروف	شيء يدوره الصبي بخيط فى يده فيسمع له دوى ويسمى أيضا الخذرة والقرصافة والخذروف أيضا طين يعجن يعمل شبيها بالسكر يلعب به الصبيان .
والزحلوفة	تزلج الصبيان من فوق التل الى اسفله .
والعياف	العياف والطريدة لعبتان لهم .
وقاصة قرصافة	لعبة لهم .
والخزقة	ضرب من اللعب .
والدبوق	لعبة .
والزحلوقة	الارجوحة .
والشفلقة	لعبة وهو ان يكسع انسانا من خلفه فيصرعه .
والعفقة	لعبة .
والعفة	التى يلعب بها الصبيان .
والقرق	لعب السدر .
والكرك	لعبة لهم .
ودبى حجل	لعبة .
والدخيلياء	لعبة لهم .
والدرقلة	لعبة للصبيان .

والدركلة	لعبة للعجم او ضرب من الرقص او هى حبشية .
والقثال	لعبة للصبيان يخبون الشيء فى التراب ثم يقسمونه ويقولون فى ايها هو .
والفيال	لعبة لفتيان العرب .
والدمة	لعبة .
والدوامة	التى يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى ايضا المرصاع .
والمرغمة	لعبة لهم .
والشحمة	لعبة لهم
وعظم وضاح	لعبة لهم
والمهزام	عود يجعل فى رأسه نار يلعبون به
والبرطنة	ضرب من اللهو كالبرطمة
والتون	خرقة يلعب عليها بالكجة
والطبن	لعبة لهم
والقنين	لعبة للروم يتقامر بها
والكبنة	لعبة
والدمه	لعبة للصبيان
والمجداء	خشبة مدورة تلعب بها الاعراب
والحاساة	حاساه لاعبه بالجوز فردا او زوجا
والمرة	لعبة
والقلة	عودان يلعب بهما الصبيان .

اشحرفاه وشحاه وعجاه وزاد صراحا وضجيجا وهو يقول المرأة الا تلاعبونى بالمراة . ولو انك طربته

الرباب	معروف .
والعرطبة	العود او الطنبور او الطبل اوطبل الحبشة .

والكوبة	البربط والطبل الصغير المحصر .
والدريج	شيء كالطنبور يضرب به .
والصنج	شيء يتخذ من صفر يضرب احدهما على الآخر وآلة بأوتار يضرب بها معرب والصيار صوت الصنج .
والوثح	ضرب من الاوتار او العود او المعزف .
والعود	معروف .
والمزمار	ما يزمر به ويقال له ايضا الزمخر والرنبق والصلبوب والنقيب والقصابة والهبنوقة .
وا	العود يضرب به .
الشبور	البوق ويقال له ايضا القبع والمثع والقنع والصور
والطنبور	معروف .
والكنارات	العيدان أو الدفوف أو الطبول أو الطنبور .
والكوس	الطبل .
والبربط	العود .
والشياع	مزمار الراعي .
والهيرعة	اليراعة يزمر بها الراعي .
والدف	معروف .
والمسقة	آلة يضرب بها الصنج ونحوه .
والعركل	الدف والطبل
والصغانة	من الملاهي معربة .
والطين	الطنبور أو العود .
والقنين	الطنبور .
والكران	العود أو الصنج .

والون الصنج .

يظل فاغرا فاه وهو يزعق و يقول المرأة المرأة . لا فطر بونى بالمرأة . ولو اطعمته

الجوذاب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم .

والقبيب الاقط خلط رطبه بيابسه .

والكباب معروف .

والسنوت الزبد والجبن والعسل وضرب من التمر .

واللفيتة العصيدة المغلظة أو مرقة تشبه الحيس .

والنفيتة طعام اغلظ من السخينة .

والعلاثة سمن واقط يخلط .

والغبيثة لت الاقط بالسمن كالعبيثة .

والسكباج معروف .

والطباهجة اللحم المشرح .

والثابجة طعام جاهلى .

والاخيخة دقيق يعالج بالسمن أو بالزيت .

والفهيخة طعام يعالج بالتمر والاهالة .

والكامخ ادام .

والثريد معروف .

والرشيدية طعام معروف فارسيته رشته .

والزهيدة البريدق ويصب عليه لبن .

والشهيدة البرق المشوى .

والقديد اللحم المشرر المقدد .

والحنيذ حنذ الشاة شواها وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها فهى حنيذ .

والزماورد طعام من البيض واللحم ويسمى ايضا الميسر .

والبرابير	طعام يتخذ من فريك السنبل والحليب .
والبورانية	طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المأمون .
والجاشرية	طعام
والجماجر	مايتخذ من العجين كالتماثيل فيجعلونها فى الرب اذا طبخوه .
والحريرة	دقيق يطبخ بلبن او دسم .
والحكر	السمن بالعسل يلعقهما الصبي .
والمحبور	الطعام المدسم والخبرة والثريدة الضخمة — والطعام واللحم وما قدم من شيء وطعام يحمله المسافر فى سفرته وقصعة فيها خبز ولحم بين أربعة أو خمسة .
والخزيرة	شبه عصيدة بلحم .
والصحيرة	اللبن الحليب يغلى ثم يصب عليه السمن .
والغذيرة	دقيق يحلب عليه لبن ثم يحمى بالرضف .
والفرفور	سويق من ثمر الينبوت .
والمرى	ادام الكامخ .
والمضيرة	مريقة تطبخ باللبن المضير .
والنجيرة	لبن يخلط بطحين أو سمن .
والوغير	لبن يغلى و يطبخ .
والخاميز	مرق السكباج .
والخنيز	الثريد من الخبز الفطير .
والمرزز	الطعام المعالج بالرز .
البسيسة	لت الاقط المطحون بالسمن .
والحميسة	القلية .
والحيس	تمر يخلط بسمن واقط فتعجن شديدا
والكسيس	لحم يجفف على الحجارة فاذا يبس دق فيصير كالسويق .

والهريسة معروف .

والبوش طعام بعصر من حنطة وعدس يجمع ويغسل فى زبيل فى جرة ويطين ويجعل فى تنور .

والخشيش السويق وحنطة تطحن جليلا فتجعل فى قدر ويلقى فيه لحم أو تمر فيطبخ .

والرشرش السمين من الشواء .

والعميشة طعام من اللبن وحب الحنظل ونحوه .

والكرشة طعام يعمل من اللحم والشحم فى قطعة مكورة من كرش البعير .

والكوشان طعام من الرز والسمك .

والآمص الآمص والامص طعام يتخذ من لحم عجل بجلده أو مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن .

والخبيص طعام من التمر والسمن ويسمي أيضا البروك .

والعمص ضرب من الطعام .

والكريص طبخ الحماض باللبن فيجفف فيوكل فى القيظ .

والمصوص طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل او يكون من لحم الطير خاصة .

والاقط شيء يتخذ من المخيض الغنمي

والمبرقط طعام يغرق فيه الزيت كثيرا .

والبهط الارز يطبخ باللبن معرب .

والحنيذ الجدى اذا سلخ فشوى .

والسميط الجدى اذا نزع شعره فشوى .

والسريطاء حسا كالحريرة .

والسويطاء مرقة كثر ماؤها وغمرها أى بصلها وحمصها وسائر الحبوب .

والتشييط لحم يشوى للقوم .
والخديعة طعام لهم .
والخذيعة طعام بالشام من اللحم مشتق من خذع اى حزز وقطع والخذع الشواء .
والخلع لحم يطبخ بالتوابل فى وعاء من جلد أو القديد المشوى فى وعاء باهالته .
والرصيعة البر يدق بالفهر و يبل و يطبخ بالسمن .
والوضيعة حنطة تدق فيصب عليها السمن فيؤكل .
والثميغة مارق من الطعام واختلط بالودك .
والخطيفة دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ .
والصفصفة السكباجة .
والطحرف حسا رقيق دون العصيدة .
والموخف طعام من اقط مطحون يذر على ماء ثم يصب عليه السمن .
والالوقة طعام طيب أو زبد برطب .
والحروقة طعام اغلظ من الحسا .
والمدققة من الطعام مولدة .
والروذق الحمل السميط وما طبخ من لحم وخلط باخلاطه .
والزريقاء الثريدة بلبن وزيت .
والسليفة الذرة تدق وتصلح أو الاقط خلط به طرائيث وما سلق من البقول ونحوها .
والسويق معروف .
والشبارق ما اقتطع من اللحم صغارا وطبخ .
والوشيق لحم يقدد حتى ييبس أو يغلى اغلاة ثم يقدد و يحمل فى الاسفار

والوليمة طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن .

والدليك طعـام من الزبد واللبن أو زبد وتمر ونبات وثمر الورد الاحمر يخلفه ويحلو كانه رطب الخ .

والربيكة اقط بتمر وسمن

والسهيكة طعام

والفريك طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .

واللبيكة اقط ودقيق أو ـ وسمن يخلط .

والوديكة دقيق يشاط بشحم .

والبكيلة دقيق بالرب أو بالسمن والتمر .

والحذل حب شجر ويختبز .

والطفيشل نوع من المرق .

والعوكل ضرب من الادام .

والزوم طعام لاهل اليمن من اللبن لذيذ .

والعاصم السويق والسكباج .

والهلام طعام من لحم عجل بجلده أومرق السكباج المبرد المصفى من الدهن .

و سخينة طعام رقيق يتخذ من دقيق .

والكبان طعام من الذرة لليمنيين

والتلبينة حساء يتخذ من نخالة ولبن وعسل .

والجليهة تمر يماح باللبن .

والارة القديد ولحم يغلى با لخل اغلاة فيحمل فى السفر .

والآصية طعام كالحسى بالتمر .

والاطرية طعام كالخيوط من الدقيق .

والكدى لبن ينقع فيه التمر تسمن به البنات . ولو اطعمته من

انواع الكمأة الذبح والفرحانة والقرحان والغردو بنات أوبر والجماميس والعقع والبرنيق والذعلوق والقعبل والعرجون والعرهون من انواع السمك القباب والهازبى والكنعت والكنعد والخباط وهى اولاده والبينيث والمدج والابدح والنقد والغوبر والزمير والزنجور والاشبور والطرز والانقليس والجوفى واللخم وابا مرينا .

والصلنباح	سمك طويل دقيق .

والخافيرة	سمكة سوداء .

والجرى	سمك طويل املس لا ياكله اليهود وليس عليه فصوص

والصرصران	سمك املس .

والغارة	سمكة طويلة .

والقيصاتة	سمكة صفراء مستديرة .

والشبوط	سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كانه بربط .

والجنيس	سمكة بين البياض والصفرة .

والضلعة	سمكة صغيرة خضراء قصيرة العظم .

والحفة	سمكة بيضاء شاكة .

والعقة	سمكة جرداء بيضاء طعم مبطخوها كالارز .

والخذاق	سمكة لها ذوائب كالخيوط .

والحاقول	سمك اخضر طويل .

والقتن	سمكة عريضة قدر راحة .

والغلاء	سمك قصير .

والهف	السمك الصغار الهاربة .

والبلم	صغار السمك .

والصحناة	ادام يتخذ من السمك الصغار .

والصير الصحناة او شبهها والسميكات الملوحة يعمل منها الصحناة .

والحريد السمك المقدد .

ولقريب السمك المملوح مادام فى طراءته .

والطريخ سمك صغار تعالج بالملح .

والخساس سمك صغار يجفف .

والمنشوط سمك يعقر فى ماء وملح .

والاربيان سمك كالدود .

والصعمر بيض السمك .

والسكن سمكة سوداء ضخمة

والزجر سمك عظام

والبال الحوت العظيم

والاطوم سمكة بحرية غليظة

والجندره سمكة كالزنجى الاسود الضخم

[illegible] دابة كالدلفين

[illegible] سمكة طولها ثلاثون ذراعا

[illegible] سمكة تتخذ منها [illegible] وأيضا [illegible] كالجص [illegible]

[illegible] (وزن المحار)

[illegible] صدف [illegible] فيها شىء يؤكل

[illegible] ضرب من محار البحر

[illegible] دويبة بحرية لها صدفة

[illegible] لحم يكون فى جوف الصدف (ومن انواع الخبز)

[illegible] [illegible] والطرموس والاصطكمة

والاصطكة (بالضم). ومن الغرائب هنا ان صاحب القاموس اورد التي بالكسر بعد ا ن م والتي بالضم بعد ص ط م

والرحلحة	الرقيقة من الخبز وكذا الصريقه
والمحوح	خبز شبه القطائف
والانبخانى	خبزة انبخانية ضخمة
والخبرة	الثريدة الضخمة
والمشطور	الخبز المطلى بالكامخ
والسلجن	الكعك
والخنيز	الثريد من الخبز الفطير
والرشرس	اليابس الرخو من الخبز كالرشراش
والهشاش	الخبز الرخو اللين
والمربقة	الخبز المشحمة ونحوها المرولة
والرقاق	الخبز الرقيق
والضغيغة	خبز الارز المرفق
والملى	الخبزة المنضجة (ومن اجناس اللبن)
السمهج	اللبن الدسم الحلو ومثله السملج والسمهج والسمهجيج
والمطية	لبن المعز والضأن يخلطان او لبن الناقة والشاة
والشميط	ما لا يدرى احامض هو ام حقين من طيبه
والجامطيط	اللبن الرائب الثخين ومثله لبن عجلط وعثلط وعدلط وعكلط وعبلط . تقدم نحوى بغيض كان يتكلم بالاعراب الى لبان فقال يالبان اعندك لبن عثلط علبط عجلط فقال له اللبان تنصرف او تصنع

والكفخة	الزبدة المجتمعة البيضاء .
واللياخة	الزبدة الذائب مع اللبن .
والقشدة	الزبدة الرقيقة .
والقلدة	القشدة والتمر والسويق يخلص به السمن .
والنهيد	الزبد الرقيق .
والعكيس	اللبن الحليب تصب عليه الاهالة .
والثميرة	اللبن الذى ظهر زبده .
والنخيسة	لبن العنز والنعجة يخلط بينهما .
والاخاض	الحليب مادام فى الممخضة .
والحالوم	ضرب من الاقط اولبن يغلظ فيصيرشبيها بالجبن الطرى
	(ومن الحلواء)
الوطيئة	تمر يخرج نواه ويعجن باللبن والاقط بالسكر والكعك .
والعبيبة	طعام وشراب من العرفط حلو .
والبرت	السكر .
والضيح	العسل والمقل .
والملخ	عسل فى جلمار المظ
واليعقيد	طعام يعقد بالعسل
والفارد	ابيض السكر واجوده
والقند	عسل قصب السكر
والفانيذ	ضرب من الحلواء
والصمر	عسل الرطب والدبس
والاكبر	شيء كانه خبيص يابس ليس بشديد الحلاوة يجيء به النحل
والغالية	م ويسمى ايضا الرعديد والمزعزع والزليل والكمص
	والمزعفر

والماذى العسل الابيض او الجديد او خالصه و جيده

والمسير حلواء

واللوزينج معروف معرب

والوخيز ثريد العسل

واللواص الفالوذ والعسل

والسرطراط الفالوذ او الخبيص

والمجيع تمر يعجن بلبن

والقطائف معروف

والكرسفى نوع من العسل

والطرم الشهد والزبد والعسل

والمن كل طل ينزل من السماء على شجر او حجر يحلو و ينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ الخ

والزلابية حلواء معروف . (ومن التمر)

الصربة شيء كرأس السنور فيه شيء كالدبس يمص و يوكل

والمترب شجر كالرمان يوكل

والبوت شجر نباته كالزعرور

والرعشاء عنب له حب طوال

والجوح البطيخ الشامى

والصدح ثمرة اشد حمرة من العناب

والملاحى عنب ابيض طويل ونوع من التين

والعنجد الزبيب او ضرب منه

والفرصاد التوت او حمله او احمره

والقثد نبت يشبه القثاء او الخيار

والكشد حب يؤكل

والمريد	التمر ينقع فى اللبن
والنقد	تمر يشبه الخيار
والخناق	المشمش
والعصفرية	تمر يتالي يجفف بسراً فيقع موقع السكرفى السويق
والضميد	العنب الذابل
والزنبار	التين الحلوانى
والسكر	من احسن العنب
والزعراء	ضرب من الخوخ
والشعراء	ضرب منه ايضا
والمغثر	شيء ينضجه الثمام والعشر والرمث كالعسل وكذا المغفر
والغوفر	البطيخ الخريفى او نوع منه
والعبيد	عنب ابيض طويل
والمزمار	الرمان الكثير الماء لاشحم له
والنمير	العنب الابيض والكلافى عنب ابيض فيه خضرة
والحورند	ضرب من العنب
والمشلوز	المشمش الحلو
والبلس	تمر كالتين
والعصفيوس	[illegible]
والنوس	نوع من الزبيب
والكشمش	عنب صغار لا عجم له الين من العنب
والقريع	عنب ابيض كبير الحب
واللاقى	عنب ابيض يصفر اخيرا حبه كالورس
والبيعة	شجرة كالتفاح لها ثمرة بيضاء اكبر من الجوز توكل ولب نواها دسم يعصر منه البيعة السائلة (فى قول)

والغاف شجر له ثمر حلو جدا

والباسق ثمرة طيبة صفراء

والرازقى العنب الملاحي

لزاد شجر فم وزعيقا ولغطا وزياطا وصجيجا وهو يهوى المرأة المرأة . الا فلحدونى المرأة . (ولو انك) سقيته من الشراب

الرحيق ممزوجا بالبند • الرحيق الخمر او اطيبها او الخالص او الصافى • والبند الذى يسكر من الماء

والسلسل ممزوجة بالسلسل السلسل الماء العذب ومن الخمر اللينة

والمسطار مزاجها العضرس المسطار الخمر الصارعة لشاربها والعضرس الماء البارد العذب والثلج

والاسفنط مزاجها النقز الاسفنط المطيب من عصير العنب او ضرب من الاشربة او اعلى الخمر . والنقز الماء الصافى العذب .

والخرطوم ممزوجة بالماء الزلال الخرطوم الخمر السريعة وماء زلال كغراب سريع المر فى الحلق بارد عذب صاف سهل سلس

والمعتقة مزاجها الفرات المعتقة الخمر القديمة والفرات الماء العذب جد

والمثلث شراب طبخ حتى ذهب ثلثاه

والفضيخ عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ

والفقد شراب من زبيب او عسل كالعقدد

والمهدى شراب من عسل

والداذى شراب الفساق .

والجمهوري شراب مسكر او نبيذ العنب اتت عليه ثلث سنين

والخسروانى شراب .

والسكر الخمر ونبيذ يتخذ من التمر

والغبيراء	السكركة وهى شراب من الذرة .
والمزر	نبيذ الذرة والشعير .
والكسيس	نبيذ التمر .
والبتع	نبيذ العسل المشتد او سلالة العنب .
والسقرقع	شراب يتخذ من الذرة أو من الشعير والحبوب .
والجعة	نبيذ الشعير .
والفقاع	هذا الذى يشرب لما يرتفع فى رأسه من الزبد .
والباذق	ماطبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدا .
والخليطين	ما ينبذ من البسر والتمر معا أو من العنب والزبيب أو منه ومن التمر ونحو ذلك .
والصرى	الماء من البسر الاحمر والاصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذا .
والعكى	سويق المقل .
والاطواق	لبن النارجيل وهو مسكر جدا سكرا معتدلا مالم يبرز شاربه للريح فمن برز افرط سكره الخ .
والصعف	شراب من العسل او يشدخ العنب فيطرح ثم يغلى .
والنبق	دقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو يقوى بالدبس ثم يجعل نبيذا .
والسلسبيل	الشراب الخالص .
والمعمول	المعمول من الشراب مافيه اللبن والعسل
والطلاء	الخمر ، ..... وهو الشراب طبخ حتى ذهب نصفه

..... وزاد صراحا وصياحا وهو يقول المرأة المرأة . الا فاسقوني المرأة . .... سميته من الفحفاح والكوثر . ومن رحيق مختوم . مزاجه من تسنيم . وجملته فى جملة من يطوف عليهم ولدان مخلدون . باكواب واباريق وكأس من معين . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . فى سدر

مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . ومن دونهما جنتان . ذواتا افنان . فيهما عينان تجريان . فيهما من كل فاكهة زوجان . من دونهما جنتان مدهامتان . فيهما عينان نضاختان . فيهما فاكهة ونخل ورمان . فيهن خيرات حسان . فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام . والحب ذو العصف والريحان . بين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان . بين متكئين على فرش بطائنها من استبرق . وعلى فرش موضونة . يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا . ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة . لما رأيته والحالة هذه راضيا من دون المرأة . فاعوذ بالله من هذا الانسان .

ومع ذلك اى مع كون وجود الطعام والشراب للرجل الزم من وجود المرأة اذ الاول مخلوق لحفظ الحياة والثانى لتقويم الطبيعة على ما سبق ذكره فان وجود المرأة اصعب منهما واكثر تعذرا واغلى سعرا . اذ الطعام والشراب يوجدان فى كل مكان وزمان . حتى ان اهل سقر لهم طعام من الزقوم والمهل والضريع . وشراب من غسلين . وظل من يحموم . ولكن ليس لهم نساء من مارج من النار او من الشياطين . ولا وجود للمرأة ايضا فى السفينة ولا فى دير الرهبان الا نادرا . ولا لراكب فرس او حمار او جمل او بغل . ولا لساع على القدم . ولا لمباشر الحرب ولا لمسجون . ولا لقبيح الخلقة الا اذا كان جميل الدينار والجلاء . ولا لشاعر مملق وان علقهن وسهر الليالى فى وصف محاسنهن والتشبب بها . ولا لمن به تشويلية وترويلية وزلقية وزماغية وزهلقية وتيتائية واذليلائية وزعنعية وهلوكية وشكازية وثيتلية وعذينية وحريكية وطمسلية ومنجوفية وحصورية وسرسية وعجيرية وذوذخية وحوقلية وهوذلية ووخواخية وعذيوطية

سوطية وعظيوطية وثتية وثعونية وضفيطية ومجيائية وعتولية . فان
[illegible]ين ان الادرم لا خبز له ايضا . قلت يمكن ان يدق له الخبز ناعما فيمضغه
ويجتزىء به . ولكن كيف السبيل الى مضغ المرأة مع التيتائية واخواتها .
ثم انه كما وقعت البلبلة عن ذات المرأة وحارت العقول في السر الذي اودعه
الله فيها . من جهة انها اول الاسباب في عمران الكون وخرابه . اذ
لا يكاد يحدث في العالم خطب جليل الا وتراها من خلله واقفة وراءه او
بالحرى مضطجعة . كذلك حصل التشويش والتخليط في اسمها . فالمرأة
في لغتنا الشريفة مشتقة من مرؤ الطعام مرءا هنيئا حميد المغبة . الا انها
كثيرا ما تكون طعاما ذا غصة وشجا وتخمة وتخبير وتختير . ثم ان همزها
للوصل ووصلها للهمز . وجمعها من غير لفظ المفرد وهو متعدد . وفي بعض
اللغات هي ويل الرجل . وفي بعضها سوأة . فاما الزوجة وهي المفهوم
منها امرأة وزوجة او نصف امرأة ونصف رجل فقد حصت ترضيا لها
باسماء كثيرة . من ذلك القرينة واشتقاقها معلوم والعازرة واشتقاقها من
عرب اى بعد لانها تعرب عن ابويها الى زوجها [illegible] عنه [illegible]
غمرة والخرمة والملحاف لانها تدفى الرجل بجسدها كما سيأتي
والخداوة والنضر والعرس والحلمة والاباس والحنثل والخال والخضلة والشاعة
والحنة والربض والنعل ولست ارضى بهذه فالاولى محوها . ومن الغريب
انها سميت لباسا ولحافا ولم تسم سروالا

قال بعض العلماء اذا اراد الله ان يقضي خيرا في الارض قيض له
مرأة وكانت الوسيلة الى اجرائه واذا اراد الشيطان ان يقضي شرا توسل
[illegible] بها امرأة [illegible] اختلفوا في تاويل هذا القول . فالخرجيون على ان
دخول المرأة في قضية [illegible] لا يكون الا للخير المحض . والسوفيون على
[illegible] وكذلك قضية ملكتي الانكليز وقضية ايرين زوجة
[illegible] الرابع [illegible] . وغير ذلك مما لا يحصى . واعم

هنا انه لم تجر العادة بان يتخذ من النساء بابا أو مطران او رئيس جيش
او رئيس سفينة او قاض . وذلك لانتفاء باسهن و سطوتهن . فان الرجال
مستعبدون للنساء بالطبع خلو من هذه المراتب العليه فكيف بهن اذا وليتها.
فان قيل ان الافرنج يتخذون منهن ملكات ويفلحون. قلت قد تقرر عندهم
انه اذا كان رئيس الدولة انثى كانت ادارة الاحكام والعمل كله لذكر .
ولعل ذلك من مشاكل الامور الانشوية فان هذا التعليل يصدق ايضا
على كون البابا وغيره يتخذ من النساء ولعلي قد اطلعت الكلام هنا على النساء
مع انه ربما يوجد فيهن قاصر غير جديرات بالطويل منه . فينبغي لي الان
تطليقهن والعود الى ما كنت بصدده . وساعود اليهن في موضع آخر ان
شاء الله .

الباب الخامس عشر

فى ذلك الموضع

الفصل السادس عشر

في ذلك الموضوع بعينه

***

لم يطاوعني القلم على الانتقال من هذا الموضع المشتهى الى الكلام في الفارياق وامثاله . بل لعله هو نفسه يروم ذلك ايثارا له على ذاته .
فلا بد اذا من الرجوع الى وصف النساء من دون اعتذار اليه فاقول قال بعض الفحول من العلماء ان المرأة أشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم وافضل واكرم . اما وجه كونها اشرف من فلان شاهدى تانيتها واقفان فى محل مرفوع . بحيث يمكن لها أن تراها أو تريهما أيان شاءت من دون تطاطى راس وانحناء . وفى ذلك من العز والشرف مالا يخفى الا ترى ان بعض الادباء قال ان من عزلا أن يقولها الانسان وهو رافع راسه . ومن ذل نعم ان يقولها وهو خافضه . اما شاهدا الرجل فهما منكوسان فى محل منخفض بحيث لايقدر ان يراهما الا اذا تطاطا وانحنى واما وجه كونها افخم فلان ساقيد اللتين هما عمود ان لهيكل الجسم وبطنها الذى هو منبت لتكون النسمة . وعجزها الذي هو مورد للانجاز . تكون الخم من ساقى الرجل وبطنه وعجزه . واما وجه كونها أنبل فلانها تنبل عما يلقى اليها مدة تسعة أشهر . واما وجه كونها احلم فلان تتمة الحلم ترى فى شاهدى تانيثها . وأما وجه كونها خلقت من الرجل وعقبه وهو خلق من تراب . لكنها اذا ماتت (معاذ الله من ذلك) تستحيل الى تراب كالرجل لا الي اصلها الذي اخذت منه أى لاتصير رجلا او لا صلعا .واما وجه كونها اكرم فلانها أرق فوادا وارحم قلبا والين طبعا

باذا رات احد محتاجا الى شيء من عندها لم تضن به عليه . وناهيك ما جاء عن مادح السيدة زبيدة اذ قال

ازبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما تعطي الاكف من الرغاب

فلما انكر الوصفاء عليه ذلك وهموا بضربه انتهرتهم واحسنت اليه لعلمها انه لم يخطيء الوصف . وقال فحل آخر ان المرأة تعمر في الغالب اكثر من الرجل . وسبب ذلك انها لما كانت مفطورة على اللين والطفوله والنعومة كان لها ان تتلقى مايستقبلها من الحوادث بالصبر والتأني . فتكون به ميلاء أي تارة تميل الى هذا الشق وتارة الى ذلك . فمثلها كمثل الغصن الرطيب يميل مع الريح فلا ينقصف . فاما الرجل فانه لما كان مفطورا على القسوة واليبوسة فتى دهمه أمر تصلب له واقتسح فلا يلبث ان يعطب به . فمثله كمثل الشجرة اليابسة اذا قويت عليها الريح. قال ومن خواصها أيضاً ان الخمرة لاتبلغ منها قدر ماتبلغ من الرجل . واختلفوا في تعليل ذلك . فذهب قوم الى ان في دم المرأة قوة جاذبية تغلب على الخمرة فتجذبه سفلا فلا يصعد الى دماغها . وزعم بعض ان في المرأة نوعا من الخمر يسمى رضابا وهو فيها اقوى جدا . بحيث اذا خالطه الشراب أي شراب كان ذهب بقوته . والقطرة من هذا النوع تباع احيانا ببدرة واحيانا براس انسان أو بعنقه. ومن خواصها ان شعرها يكون اطول من شعر الرجل . وشعرها ابلغ من شعره. وشعرها ادق ومشاعرتها انفع . اما الاول فلم يختلف فيه اثنان . واما الثاني فلانها اذا قالت شعرا فانما تقوله في رجل فهو يعجب الرجال ويبلغ منهم بالطبع. ويعجب النساء بالطبع والصنعة ايضا . ولعل ذلك مشكل آخر من المشاكل الانثوية . فانى ارى هذا التعليل يصدق على الرجل فانه انما يقول الشعر في امرأة . ويمكن ان يجاب بان الشاعر المجيد اكثر شعره يكون في غير الغزل .وذلك كاختلاق مدح يفتريه على امير . واوصف

مجلس انس او حرب ونحوة. واما الثالث فلانها اذ مرت مثلا بحانوت بزاز ورأت براً شفافا اترنجي اللون. فاول ما تلمحه تقول لك هذا يصلح ليل وربما كان مكرك وقتئذ في كتاب تطالعه او في شرا حمار تركبه. واذ رأت ديباجا اخضر قالت بديها هذا يصلح للشتاء . اوكتانا ابيض فاخرا خصصته بالصيف . ثم اذا مرت بدكان جوهري او اذ تهرست اذت واخذتها اليه قالت لك على الفور هذا الحجر الماس يصلح لان يجعل فصافي خاتم للبنصر. وهذه اليانونه في خاتم للخنصر . وهذه الزمردة في خاتم للمتوسطة. وهذ الفـوزويج في خاتم للسبابة . وهذه الفريدة في خاتم للابهام. وهذة اللالى الـكبيرة لقلادة في العنق . وهذه الصغيرة لسوار . وهذه السلاسل الذهب المرصعة توضع في العنق مع القلادة وتدلى الي الخصر و يعلق بها ساعة من ذهب . وهذه الشنوف الثقيلة للشتاء. و تلك الخفيفة للصيف . وهذه المتوسطة للربيع والخريف. وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار . فان قيل ان الكاف في فكرك خطاب مطلق لكل قاري وربما تشرف كتابك هذا بمطالعة امير او أميرة من السادة العظماء فلا يصح توجيه الخطاب اليه . لان الامير لا يفكر في الحمير قلت وقد ورد في سفر التكوين في الفصل السادس والثلثين ان عانه من ولد سعير الحوري كن يرعى حمير ابيه زبيون وكان اميرا . بل قد علق عليه في بعض النسخ جلا دوك وهو اعظم من الامير. ثم ابها اى المرأة لم تلبث حالة كونها ناظرة الى تلك الجـواهر ان تقسم اهل العصر جميعا الى خمسة اقسام

القسم الاول في تهيئه الجواهر .

من التيجان ما ذيب مرقة من حجر الفضة .

والمشخلبة خرز بيض تشا كل اللولو اوالحلي يتخذ من الليف والخرز وقد تسمى الجارية مشخلبة بما عليها من الخرز وليس على بنائها شيء. قلت وفي محفوظي ان ابن الاثير حكاه.

بتقديم الخاء على الشين دون هاء .

والخشب		حب الزيتون .

والقصب		ما كان مستطيلا من الجوهر ....والدر الرطب والزبرجد الرطب المرصع بالياقوت .

واليشب		حجر معروف .

والبهت		حجر معروف .

والكبريت		الياقوت الاحمر والذهب أو جوهر معدنه خلف التبت بوادى النمل وفى ت ب ت تبت كسكر بلاد بالمشرق ينسب اليها المسك الازفر .

والياقوت		معروف .

والدهنج		جوهر كالزمرد كالزمرد .

والزبرج		جوهر أو الزينة من وشى

والزبردج		الزبرجد

والصليجة		سبيكة الفضة المصفاة

والمرجان		م وتعريفه فى القاموس (انه صغار اللؤلؤ)

والخرايد		الخريدة واللؤلؤة لم تثقب

والفريد		الشذر يفصل بين اللؤلؤ والذهب ج فرائد والجوهرة النفيسة والدر

والجذاذ		حجارة الذهب

والبلور		جوهر معروف

والتبر		الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة او ما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ ومكسر الزجاج وكل جوهر يستعمل من النحاس والصفر

والسيرا		الذهب الخالص

والشذر قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا ذابة اوخرز يفصل بها النظم او هو اللولو الصغار

والشمور الماس

والعمرة الشذرة من خرز يفصل بها النظم

والنضار الجوهر الخالص من التبر

والخوز الجوهر وما ينظم

والفلز نحاس ابيض — او جواهر الارض كلها اوما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها

والهبرزى الذهب الخالص

والترامس الجمان

والحص اللولوة ونحوها الخوضة

والخلاص ما اخلصته من الذهب والفضة

والدليص ماء الذهب

والخضض خرز بيض صغار يلبسها الصغار

والشعشع اللولو والصدف

والجزع الخرز اليماني والصيني

والزيلع ضرب من الودع

والينع ضرب من العقيق

والزخرف الذهب وكمال حسن الشيء

والع[illegible]يف [illegible]

[illegible] [illegible] الذهب والفضة [illegible]

وال[illegible]ق معروف

[illegible] [illegible] وخرز معروف

[illegible] [illegible]

والجمان — اللولو او هنوات اشكال اللولو من فضة او خرز بيض علاء الفضة

والمينا — جوهر الزجاج

والمهو — اللولو وحصى ابيض والمهاة البلورة

والنهاء — الزجاج ويقصر او الفوارير وحجر ابيض ارخى من الرخام — وضرب من الخرز

القسم الثاني
فى عمل الحلى

من البؤبؤ — رأس المكحلة

والاربة — القلادة

والارنب — حلى الارانب

والمعقب — القرط ومثله الرعثه ج رعاث

والحجة — خرزة أو لؤلؤة تعلق في الاذن

والدملج — معروف

واليارج — القلب أو السوار

والجانية — الجامع من الدر ينظم بعرض أو كل ما جعلته في نظام

والداح — سوار ذو قوى

والسنبح — الدر أو خيطه قبل أن ينظم فيه والحلى

والوشاح — كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف

[illegible]

المرأة بين عاتقها وكشحيها

والوضح — حلي من الفضة

والفتخة — خاتم كبير في اليد أو الرجل أو حلقة من فضة كالخاتم

والخاذة السوار والقرط
والثوبات الخمنة
والعضاد الدملج كالمعضاد
والعقد معروف
والقلاده ما جعل في العنق
والنجد حلى مكلل بالفصوص وهو من لؤلؤ وذهب أو قرنفل
يأخذ من العنق الى أسفل الثديين يقطع على موضع النجاد
والمسجور من اللؤلؤ المنظوم المسترسل
والسفيرة قلادة بعري من ذهب وفضه
والشعيرة هنة تصاغ من فضة أو حديد على شكل الشعيرة الخ
والعترة قلادة تعجن بالمسك والافاوية
والعمر الشنف
والتقصار القلادة ج تقاصير
والكسبر المسك من العاج كالسوار
والقفاز — أو ضرب من الحلي لليدين والرجلين
والحبس سوار من فضة يجعل فى وسط القوام
والسلس — أو القرط من الحلي
والشمس ضرب من القلائد
والقداس شيء يعمل كالجمان من الفضة
والكبيس حلي مجوف محشو طيباً
والقلادة المكرسة وهى أن ينظم اللؤلؤ والخرز فى خيط ثم يضما بفصول
بخرز كبار
والنقرس شيء يتخذ على صنعه الورد تغرزه المرأة في رأسها
والخربصيص القرط والحبة من الحلي

والخرص حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحلي

والحوط خيط مفتول من لونين أسود وأحمر فيه خرزات وهلال من فضة تشده المرأة في وسطها لئلا تصيبها العين

والسمط قلادة أطول من المخنقة

والعلطة القلادة

والقرط الشنف أو المعلق في شحمة الاذن

واللط القلادة من حب الحنظل المصبغ

والانواط المعاليق .

والرصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلية مستديرة في سيف أو سرج أو غيرهما .

والشنف القرط الاعلى أو معلاق فى قوف الاذن او ما علق اعلاها فى

والنطفة القرط أو اللؤلؤة .

والوقف سوار من عاج .

والحاف السوار الغليظ .

والحلق خاتم من فضة بلا فص وهو أيضا خاتم الملك .

والمخنقة القلادة وكذا المزنقة والمعنقة .

والخوق حلقة القرط والشنق .

والديسق كل حلي من فضة بيضاء خالصة

والزناق كل رباط تحت الحنك .

والسوذق السوار والقلب .

والطارقية قلادة .

والطوق معروف .

والقلقى ضرب من قلائد .

والمسك	الاسورة والخلاخيل
والجديل	الوشاح .
والحبلة	ضرب من الحلى
والخجل	الخلخال .
والمرسلة	قلادة طويلة تقع على الصدر أو القلادة فيها الخرزة
والسدل	السمط من الدر يطول الى الصدر .
والاشكال	حلى من لولوا وفضة يشبه للفضه بعضاً يقرط به النسا الواحد شكل
والطمل	القلادة كالطميل لانها تطمل اى تلطخ بالطيب .
والعبل	شيء من عاج مستدير يتلالاو يعلق فى صدر المرأة .
والقرمل	مايشده المرأة فى رأسها
والاكليل	شبه عصابة تزين بالجوهر
والمحال	ضرب من الحلى
والحل	ضرب من الحلى
والسوبل	الالوان المختلفة في زينة التصاوير والنقوش الخ

والجان سفيقة من ادم يسسج وفيها خرز الن كل لول تتوشحه المرأة

والبز الحلخال

والري القلادة او التي بوضع فى عنق الغلام

والونية العقد او الدراللولوة

الى الخشن روس الاسورةوالخلاخيل

القسم الثالث

في عمل الطيب واتخاد المشموم

من الاذاب المسك او عطر يضاهيه

والجلاب ماء الورد

والرسب طيب او شجر طيب الرائحة

والكركب نبات طيب الرائحة

والملاب عطر الزعفران

والشت نبات طيب الريح يدبغ به

واليلنجنوج من البخور

والراحى جاس الحدفور

والمرنج اجود عود البخور

والرشاد [illegible] طيب الرائحة او كل نبات كذلك

والشيح نبات طيب الرائحه

وال[illegible] [illegible]

وال[illegible] طيب

وال[illegible] عطر [illegible]

والابيحة [illegible] المسك

والخزخة	طيب م
والسعنة	طيب م
والرند	شجر طيب الرائحة والعود والاس
والزباد	م ويسمى الزهم
والعبد	نبات طيب الرائحة
والقنديد	العنبر والكافور والمسك الطيب يعمل بالزعفران
والقند	طيب م
والحنيذ	دهن والغسل المطيب
والكاذي	شجر له ورد يطيب به الدهن
والبهار	نبت طيب الريح
والخطار	دهن يتخذ من الزيت بافاويه الطيب
والخمرة	الورس واشياء من الطيب
والذريرة	عطر
والزبعر	نبت طيب الرائحة
والادخر	حشيش طيب الريح
والساهرية	عطر
والضيمران	الريحان الفارسي
والمطير	العود او المطرى منه
والاظفار	شيء من العطر كانه ظفر مقتلف من اصله
والعبير	الزعفران او اخلاط من الطيب
والعبهر	النرجس والياسمين ونبت آخر
والعطر الطيب	
والعمار	الريحان يزين به مجلس الشراب
والعنبر	روث دابة بحرية او نبع عين فيه

والغراء　نبت طيب او هو الغريراء
والفاغرة　طيب او السكبانة
والقطر　العود الذى يتبخر به
والكافور　نبت طيب نوره كنور الاقحوان والطلع او وعاؤه وطيب م يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين الخ
والنسرين　ورد م
والعجوز　ضرب من الطيب
والبلسان　شجر صغار كشجر الحنا لا ينبت الا بعين شمس ظاهر القاهرة يتنافس في دهنها
والقلسان　نبات طيب الرائحة
والقنس　نبات طيب الرائحة ويسمى ايضاً الراسن
والهبس　الخيري ويقال له المنثور والنمام
والمردقوش　طيب تجعله المرأة في مشطها
والحص　الورس والزعفران
والسعيط　البان ودهن الخردل
والقسط　عود هندي وعربي
والضياع　ضرب من الطيب
والميمة　عطر كالمائعة
والنقوع　صبغ فيه من أفواه الطيب
والموف　نبات طيب الرائحة
والخلاق　ضرب من الطيب
والوحيق　ضرب من الطيب
والبنك　طيب م
والسك　طيب يتخذ من الرامك

والمسك المشموع	أي المخلوط بالعنبر
والتتل	ضرب من الطيب
والرعلة	أكاليل من ريحان وآس
والسنبل	نبات طيب الرائحة
والقندول	شجر بالشام لزهرة دهن شريف
والندل	العود أو أجوده كالمندلي
والبشام	شجر عطر الرائحة
والبهرمان	العصفر والحنا
والثومة	شجرة أطيب رائحة من الآس
والجيهان	الزعفران وكذا الريهقان
والخزامى	خيري البر
والضرم	شجر طيب الريح
والمكتومة	دهن يجعل فيه الزعفران أو الكتم
واللطيمة	المسك
والمشم	عطر شاق الدق أو قرون السنبل
والنمام	نبت طيب
والمضمومة	طيب يخلط بالمسك والبان
والاشنة	عطر ابيض مما يلتف على شجر البلوط والصنوبر
والبان	شجر لحب ثمره دهن طيب
والجفن	شجر طيب الرائحة
والحانون	الفاغية أو نور كل شجر
والرقون	الحنة والزعفران
والكشنة	شيء يتخذ من آس واغصان خلاف تبسط وينضد عليها
الرياحين	اصله كشنا اوهى نوردجة من القصب والاغصان

الرطبة الور يقة تحزم ويجعل جوفها النو ر قلت ونحوها الـكشنة

والميسوس شيء تجعله النسا في الغسله لر وسهن

والغالية طيب م

والفاعية الثمامة وزهر الحنا والافعا الروائح الطيبة

والفاغية نو ر الحنا أو يغرس غصن الحنا مقلوباً فيثمر زهراً أطيت من الحنا فذلك الفاغية

والسكبا عود البخور أو ضروب منه

والـكاذي دهن ونبت طيب الرائحة

واللوة العود يتبخر به

والقدا شيء يتطيب به كالبخور

القسم الرابع

في عمل الآنية والادوات والمتاع والفرش

من الغرب جام من الفضة

والشفارج الطبق فيه الفيخات والسكرجات

والصراحيات انية للخمر

والمطافح المغارف

والبهار اناء كالاباريق

والطرجهارة شبه كاس يشرب فيه ونحوه الطرجهالة والفنجانة ويقال للفنجانة الصغير سؤملة

والشوارف وعاء الخمر من خابية ونحوها

والاكواب والاباريق والقوارير والكوس والافداح والطاس والصحون والعتد والخروس والصيعان والهنان والصحاف والقصاع والزلح والقوآري والحفان والعلاب والبواطي والمآكل والقعاب والنواجيذ والمساس والعسس

والقدام	والعسوف
والجهمة	القدر الضخمة
والهيطلة	القدر من صفر
والمرجل	القدر من الحجارة والنحاس
والكفت	القدر الصغير
والملجاب	القدر العظيمة وكذا البساط
والتامورة	الابريق والحقة والتميمة المشدودة الرأس
والقمن	الجفنة يعجن فيها
والجام	م ونحوه الصاع
والمكوك	طاس يشرب به
والعيزار	ضرب من اقداح الزجاج
والسعوف	الاقداح الكبار وامتعة البيت وكل شيء حاد و بلغ من مملوك او علق او دار فهو سعف وبالتسكين السلعة
والورسى	من اجود اقداح النضار
والزورا.	اناء من فضة
والفاثور	الطست او الخوان من رخام او فضة والناجود والباطية
والمهضومة	الخوان من فضة
والديسق	خوان من فضة
والقرقار	اناء
والمثبنة	كيس تضع فيه المرأة مرآتها واداتها
والعكم	نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها
والقشوة	قفة من خوص لعطر المرأة
والجؤنة	سفط مغشى بجلد ظرف للطيب
والمتيدة او	الطبلة الحقة يكون فيها طيب الرجل والعروس وكدا الشريط

والدرج حفش النساء الواحدة بها
والصوان ما يصان فيه الثوب
والتخت وعاء تصان فيه الثياب ونحوه ميبة والمبناة
والاسطان آنية الصفر
والابزن حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس
والشجاع خشبات منصوبه توضع عليها الثياب
والغدن الغدان القضيب تعلق عليه الثياب
والقمدانة غلاف المكحلة وخريطة من ادم للعطر وغيره
والخناجيد الخنجود قارورة طويلة للدريرة ووعاء كالسمط الصغير ونحوه الخنجوره
والبز الثياب او متاع البيت من الثياب ونحوها
والعقار متاع البيت ونضده الذى لا يبتذل الا فى الاعياد
والثقل كل شىء نفيس ومصون
والبتات الجهاز ومتاع البيت ونحوه الحاش والاثاثة والشذب والرلرل والاهرة والرهاط والسفاطة ويقال ابماش البيت خاش ماش وقاش ماش وفربشوش
والنجد ما ينجد به البيت من بسط وفرش
والنضد السرير ينضد عليه
والنضيدة الوسادة وما حشى من المتاع
والبورية الحصير المنسوج
والمسور متكا من ادم
والعبقرى ضرب من البسط
والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط ـ والفراش والوسادة والبسط

والزلية	البساط

والنمط	ضرب من البسط

والمسخية	نوع من البسط

والاراضى	بساط ضخم من صوف او وبر

والنسج	السجادات

والزرابى	النمارق والبسط او كل ما اتكى عليه الواحد زربى

والرحال	الطنافس الحيرية

والنمارق	الوسادة والميثرة والطنفسه

والدرنوك	ضرب من البسط

والوراك	ثوب يزين به المورك وهو الموضع الذى يجعل عليه الراكب رجله

والبراطل	البرطلة المظلة الضيقة

والظلل	الظلة الغاشية وشىء يستتر به من الحر والبرد

والمماطر	الممطر ثوب صوف يتوقى به من المطر كالممطرة

والازفان	الزفن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر البحر ونداه

والسرادقات	السرادق الذى يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف

ولا بد كذلك من اتخاذ النسيفة للحمام وهي حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل . ثم تزين تلك الدار السعيدة

بالفسيفسا والسرنج	الفسيفساء الوان من الخرز تركب فى حيطان البيوت من داخل . والسرنج شىء من الصنعة

كالفسيفساء	وبسرر مرملة أى مزينة بالجواهر ونحوها

وبحجلات ومنصات وبأرائك وعروش

و ... وارراق من العاج عظم الفيل

والساج	شجر
والشيزى	خشب اسود للقصاع أو هو الآبنوس أو الساسم أو خشب الجوز
والسمر	شجر معروف
والنضار	خشب الاوآنى
والعيزار	شجر
والضيار	شجر البلوط
والساسم	شجر اسود أو الابنوس
والثوع	شجر جبلي يسمو
والشوحط	شجر تتخذ منه القسى أو ضرب من النبع
والضبر	شجر جوز البر
والصوم	شجر الباز روج
والصنار	الدلب
والسلام	شجر قيل لأعرابي السلام عليك قال الجثجاث عليك قيل ما هذا جواب قال هما شجران مران وأنت جعلت على واحداً فجلب عليك الآخر
والكنهبل	شجر عظام
والبقس	شجر كالآس ورقا وحباً أو هو الشمشاذ
والنشم	شجر للقسى
والضال	السدر البري وشجر آخر
والبقش	شجر يقال له بالفارسية خوش ساى
والنبش	شجر كالصنوبر أرزن من الآبنوس
والشحس	شجر صلب
والميس	شجر عظام

والوعس　　شجر يعمل منه البرباط والاعواد
والقطف　　شجر جبلي خشبه متين
ثم تزين بقوارير من البلور
والقطر　　ضرب من النحاس
والفلز　　النحاس الذي لا يعمل فيه الحديد
والفلز　　نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو —
البلنت　　شيء كالرخام الا أنه دونه في اللين
والبلق　　حجارة باليمن تضيء ما رواءها كالزجاج
والحكاك　　حجر أبيض كالرخام
والاهاء　　حجر أبيض أرخى من الرخام
والمهل　　اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد ونحوها
والهيصم　　ضرب من الحجارة أملس

ثم تمام زينة هـذا المـكان الشريف وثاب محشو بالعشر والحريملة لوثاب السرير والفراش . والعشر شجر يحشى فى المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر . والحريملة شجرة تنشق جراوها عن الين قطن ويحشى به مخاد الملوك غيراني ارتكبت هنا غلطا واحشا فى تأخيري ذكر الفراش وهو اول ما يخطر ببال المرأة عند دخولها بلدا وهنا تم اثاث الدار — وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار

القسم الخامس

فى عمل الثياب

الثرقبية　　وهي ثياب بيض من كتان مصر
والجلباب　　القميص وثوب واسع للمرأة

والسكب	ضرب من الثياب
والسلاب	الثياب السود
والقصب	ثياب ناعمة من كتان
واللبيبة	ثوب كالبقيرة
والنقبة	ثوب كالازار
والبظاج	ما كان احدطرفيهمخملاو و سطه مخملا و طرفاه منيران.
والمعرجية	المخططة فى التوآء
والموثوجة	ثياب رخوة الغزل والنسج
والمبرج	الموشي منالثياب
المترحة	المترح من الثياب ما صبغ صبغاً مشبعاً
الوجيح	الصفيق من الثياب
والخوخة	ضرب من الثياب أخضر
والوليخ	ثوب منكتان
والثفافيد	ضرب من الثياب
والجاد	ضربمن الثياب
والمعضدة	المعضد ثوب له علم فى موضع العضد
والفرند	ثوب م
والمقرمدة	ثوب مقرمد مطلى بشبه الزعفران
والجسدة	المصبوغة بالزعفران
و المقدية	ثياب م
و الهردية	المصبوغة بعروق الهرد
واللاذة	ثوب حرير صيني
والبقطرية	. الثياب البيض الواسعة

والحصير	ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب مآخذه لحسنه
والخسروانية	نوع من الثياب
والدثار	ما فوق الشعار من الثياب
والسابرية	الثياب الرقيقه الجيدة
والمسيرة	المسير ثوب فيه خطوط
والصدرة	ثوب م
والصدار	ثوب رأسه كالمقنعة واسفلة يغشى الصدر
والعبقرية	عبقر بلدة ثيابها فى غاية الحسن
والمعجر	ثوب تعتجر به المرأة ثوب يمانى
والعشارية	ثوب عشارى طوله عشرة اذرع
والعفار	ضرب من الثياب احمر
والقبطرية	ثياب كتان بيض
والمرمر	ضرب من تقطيع ثياب النساء
والمنيرة	المنسوخة على نيرين
والباغزية	ثياب من الخز او كالحرير
والتوزية	منسوبة
والمرعزة	المرعزى ازعب الذى تحت شعر العنز
والمطرزة	المعلمة
والمفروزة	ثوب مفروزله تطاريف
والقرمزية	المصبوغة بالقرمز
والقهز	ثياب من صوف احمر كالمرعزي وربما يخالطها الحرير
والتنيسية	تنيس د تنسب اليه الثياب الفاخرة

والمدمقسة	الدمقس الابريسم او القز او الديباج او الكتان
والقسية	منسوبة الى قس من ارض مصر
والكرباس	ثوب من القطن الابيض
والمسلسلة	الموشاة المخططة
والمرسية	ترسية بالزراق
والمورسة	المصبوغة بالورس
والاكياش	الثوب الذى اعيد غزله مثل الخز والصوف
والمأجشون	الثوب المصبوغ
والمفصحة	المخططة كهيئة القصص
والمحرضة	المصبوغة بالاحريض للعصفر
والعرضى	جنس من الثياب
والمعرض	ثوب تجلى فيه الجارية
والريطة	كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة اى كل ثوب لين رقيق
والسجلاط	ثياب كتان موشية وكان وشيه خاتم
والسمط	ثوب من صوف واكثر الثوب ليست له بطانة طيلسان
والمقطعات	القصار من الثياب — او برود عليها وشي
والمردعة	التى فيها اثر طيب
والصديع	ثوب يلبس تحت الدرع
والمضلعة	المسيرة المخططة وما جعل وشيها على هيئة الاضلاع
والنصع	ثوب ابيض
والموشعة	المعلمة
والشرافى	ثياب بيض

و الشف	ويكسر الثوب الرقيق
و البندقية	ثياب كتان رفيعه
والمحققة	المحكمة النسج
و الخزرانق	الثياب البيض
و الدبيقية	دبيق د بمصر
والزناق	ثوبان يرتقان بحوا شيهما
و الرازقية	ثياب كتاب بيض
و المزبرقة	المصبوغة بحمرة او صفرة
والعلقة	ثوب بلا كمين — او الثوب النفيس
و اللفاق	ثوبان يلفق احدهما بالآخر
و المحبكة	الموثقة المخططة
و الجول	ثوب للنساء
و الخملة	الثوب المخمل كالكسآت ونحوه كالخمل
و الخال	الثوب الناعم وبرد يمنى
و الدرقل	ثياب كالارمنية
والمرجل	ثيات فيها صور المراجل
والمرجل	ضرب من ثياب الوشى (اورد صاحب القاموس التي بكسر الجيم فى رجل والتي بفتحها في مادة على حدتها)
و المرملة	المرققة
و السحل	ثوب ابيض من قطن و نحوه المسحل
و المسلسلة	ثوب مسلسل فيه وشى مخطط
و العقل	الثوب الاحمر
و المفلفلة	المرشاة كالفلفل

والقسطلانية	ثياب منسوبة الى عامل
والوصيلة	الثوب المخطط
والمهلهلة	الرقيقة
والامية	منسوبة
والمبرم	جنس من الثياب والثوب المفتول الغزل طاقين
والجهرمية	ثياب منسوبة من نحو البسط اوهى من الكتان
والمرسمة	المخططة
والبرقمة	المخططه والرقم ضرب من الوشي او الخز او البرود
والعقم	المرط الاحمر او كل ثوب احمر
والقدم	ثوب احمر
والقرام	ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش او ستر رقيق كالمقرم
وابى قلمون	ثوب رومى يتلون الوانا
واللحم	جنس من الثياب
والنيم	كل لين من عيش او ثوب
والاخنى	الثوب المخطط
والدفنى	ثوب مخطط
والارجوان	ثياب حمر
والسبنية	ثياب من حرير فيها امثال الاترج
والشتون	اللينة من الثياب
والشاذكونة	ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن
والمرجنة	المصور فيها اشكال المرجون
والمعينة	ما كان في وشيها ترابيع صغار كعيون الوحش
والمفننة	ثوب مفنن فيه طرائق ليست من جنسه

والمورمة　المصبوغة بالفوة (عبارة القاموس في ف و ة و الفوة كسكر عروق رقاق اوال حمر يصبغ بها الخ و في ف و ب الفوة كالقوة عروق يصبغ بها)

والموهى　ثياب بيض

والمهة　الثوب الرقيق النسج

والمهلهل　المهلهل من الثياب كالمهلهل

والموجه　ما كان له وجهان

و[illegible]　كساء [illegible] او ازار يشتمل به

والسبجة　كساء اسود

والسبيج　كساء من [illegible]

والاغربج　كساء [illegible] احمر

والمسبح　لكساء الصوف الشديد ونحوه المشبح

والسبيج　الكساء الغليظ كالسبيج

والبجاد　كساء مخطط

والرجب　كساء غليظ

و[illegible]　الكساء

والاغبر　ما كان [illegible] من الاكسية

والخميصة　كساء اسود مربع له علمان

والمرط　كساء من صوف او خز مروط

والشملة　كساء دون القطيفة

والطامل　الكساء الاسود والثوب المشبع صبغا

المارى　كساء صغير له خطوط مرسلة

والشرعبي　ضرب من البرود

والعصب ضرب من البرود

والمكعب الموشى من البرود والاثواب والثوب المطوى الشديد الادراج

والخلاح ضرب من البرود المخططة

والشيج برد بحر

والقردح ضرب من البرود

والمسعيدية ضرب من برود لليمن

والسند ضرب من البرود

والبقير برد يشق ميلبس بلا كمين كالبقيرة

والحبر ضرب من برود اليمن مفردة حمره كعنبة

والحبير البرد الموشى والثوب الجديد

والسيراء نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير

والمطير ضرب من البرود

والقطار ضرب منها

والمشيز المخطط بحمرة

والمرشش البرد الموشى

والفوف ضرب من برود اليمن وبرد مفوف رقيق او فيه خطوط بيض

والنصيف الخمار ومن البرد ماله لونان

والبركة برد يمني

والمرجل برد يمني

والمرحل ما فيه نصاوير رحل

والتحمة البرود المخططة بالصفرة

والاتحمي برد معروف

والمسهم البرد المخطط

والقطيفة رداء مخمل

والمطرف رداء من خز مربع له اعلام

والجنية رداء من خز

والجيم الديباج

والسندس ضرب من البزيون او ضرب من رقيق الديباج

والاستبرق الديباج الغليظ او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حرير صفاق

والمشجر المشجر من الديباج ما كان فيه نقش كهيئة الشجر

والسب شقة رقيقة كالسبيبة

والطريدة شقة مستطيلة من الحرير

والسرق شقق الحرير الابيض او عامة

والبت الطيلسان من خز ونحوه .

والسدوس الطيلسان الاخضر .

والطلس الطيلسان الاسود .

والطاق الطيلسان أو الاخضر .

والساج الطيلسان الاخضر والاسود .

والصنية الملحفة أو ثوب يمني .

والشوذر الملحفة والاتب .

والدواج اللحاف الذى يلبس .

والمشمال ملحفة .

واللفاع الملحفة أو الكساء أو النطع أو الرداء وكل ما تتلفع به المرأة .

والمرجل ازار خز فيه علم .

والمدارة الازار الموشي .

والحقو	الازار ومثله المحصار .
والصداد	ما اصطدت به المرأة وهو الستر .
والقوط	ثياب تجلب من السند ومازر مخططة .
والدثار	ما فوق الشعار من الثياب .
والحلل	واحدتها حلة وهى ازار ورداء وبرد أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانه .
والسربال	القميص أو الدرع أو كل مالبس .
والقرطق	لبس م .
واليلمق	القباء معرب يلمه .
والقرقر	لباس المرأة .
والقرزح	لباس كان لنسائهم .
والمفضل	المفضل والمفضلة والفضل الثوب الذي تتفضل فيه المرأة أى تتوشح .
والحقاب	شيء تعلق به المرأة الحلى وتشده فى وسطها كالحقب .
والنطاق	شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل ينجر على الارض الخ .
والمجن	الوشاح وقد تقدم فى باب الحلى .
والاتب	برد يشق فتلبسه المراة من غير جيب ولا كمين والبقرة ودرع المرأة .
الجرب	درع المرأة أى قميصها .
والاصدة	قميص يلبس تحت الثوب .
والخليع	القميص بلا كم .
والرادعة	قميص قد لمع بالزعفران أو بالطيب .

والقمص السنبلانية   أى السابغة الطول أو منسوبة الى بلد بالروم .
والشعار   ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد و يفتح .
والقدعة   المجول وهى الدراعة الصغيرة .
والجيد   المدرعة الصغيرة .
والغلالة   شعار تحت الثوب كالغلة . .
والشفاف   الشفاف من القميص الرقيق الشفاف كالمفهاف .
والشليل   الغلالة تلبس تحت الدرع .
والقرقل   قميص للنساء أو ثوب لا كمي له .
والغطاية   كل ما تغطت به المرأة من حشو الثياب كغلالة ونحوها .
و الفروة   معروف
والسبنجونة   فروة من الثعالب
و الشعرآ   الفروة
و المستقة   فروة طويلة الكم
والخيدن   الفرو او ثوب غير مخيط الفرجين او درع يخاط الخ
والمعجب   الخمار للمرأة
و النقاب   ما تنتقب به المرأة
والخمار   النصيف وهو العمامة و كل ما غطى الرأس
والوصاوص   البراقع الصغار
و المقنعة   ما تقنع به المرأة رأسها والقناع اوسع منها
و العصابة   ما عصب به والعمامة
و السيدارة   الوقاية تحت المقنعة والعصابة
والعمارة   كل شيء على الرأس .
والمعجر   منديل تغطى به الحرة رأسها

والخنبعة	مقنعة صغيرة للمرأة
والبخنق	خرقة تقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكيها لتقى الخمار من الدهن والدهن من الغبار والبرقع من والبرنس الصغيران
والصقاع	البرقع . وخرقة تقى الخمار من الدهن كالصوقعة ونحوها العفارة
والقنبع	خرقة تخاط شبيهة بالبرنس والخنبعة او شبهها
والقنزعة	التي تتخذها المراة على رأسها كالقنزعة
والخنبع	شبه مقنعه للجوارى وقد خيط مقدمها .
والقرزل	الشيء تتخذه المرأة فوق رأسها كالقنزعة .
والجنة	خرقة تلبسها المرأة تغطى رأسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطى الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع.
والتساخين	الخف وشيء كالطيالس .
والجراميق	الجرموق الذي يلبس فوق الخف .
والكوث	[illegible]
والران	كالخف الا انه لا قدم له وهو اطول من الخف .
والجورب	لفافة الرجل وجوربته البسته اياه .
والقفاز .	شيء يعمل لليدين يحشى بقطن تلبسها المرأة للبرد أو ضرب من الحلي الخ.

وتمام هذا كله ثلثمائة وخمسة وستون حبسا ومثلها مقارم . الحبس سوار من فضة يجعل فى وسط القرام . والمقرمة فحبس الفراش ومثلها سراويل

من الارنبانى	الخز الادكن
والسنا	ضرب من الحرير
والاردن	ضرب من الخز
والطارونى	ضرب سقه والطرن الخز

و القَين الخز المطبوخ الابيض
و البرس القطن او شبيه به او قطن البردى
و الشريع الكتان الجيد
والقز الا بريسم وهو الدمقس ويقال ايضا الدمقس المدقس

وقد زل بي القلم هنا ايضا زلة ثانية فان السراويل يجب تقديمها على جميع ماسواها ليطابق الذكر الفكر . ثم انك اذا اخذتها الى ساحات المدينة واسواقها حيث تزدحم الناس . فأول ما تلمح فرهداً غسانيا غيسانيا تقول هذا يصلح لان يكون زير نساء ولان يركب الجياد ويتقلد السيف و يعتقل الرمح و يطعن به . او غلاما مترعرعا قالت هذا يصلح لان يربى فى الدرسة الزيرية حتى ينبغ . او كهلا قالت وهذا جدير بان يقعد فى بيته ويتعاطى الغزل والنسيب ليجهز ما يلزم لتلاميذ المدرسة منه . او شيخاً همّاً هرما قالت وهذا قمين بان يكون مشيرا فى الامور التى تعسر على الاغرار من الخريجين فيكفيهم النصب فى ايشائها . فان لم يلف عنده الرأي السديد فليدرج فى كفن ويرمس . هذا وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار او بالاكاف . فاما وجه كون مشاعرتها انفع فلانه قد جرت عادة من شاخ من ذوى الامر والنهى انه اذا جف دمهم وضوى لحمهم حتى لم يعد التدثر بالثياب يدفئهم . شاعروا واحدة من هؤلاء النواعم فاستغنوا بحرها عن حرارة المدثار والنار والابازير . والاحسن فى ذلك ان تكون جارية عذراء . وقد اختلفوا فى علة الحرارة ومأتاها . فبعضهم على ان نفسها من فيها هو الذى يدفيء المقرور . واعترض بان هذا النفس لا بد وان يختلط بالشنب فيبرد وغيرهم على ان منفذ الحرارة انما هو من المسام التى ينبت فيها الشعر . فان المرأة لما كانت مفتوحة المسام كان صعود الحرارة منها ابلغ بخلاف الرجل فان مسامه مسدودة بما له من الشعر ورد بان الامرد مثل المرأة فى كونه مفتوحها ولم يقل احد

إن مشاعرته تدفى . وذهب بعض الى ان الحرارة انما هى من النفس
ن انفها . وقال قوم من المتهافتين على الجناس انها من موضع آخر بر قال
فى القاموس تكوي الرجل بامرأته تدفا واصطلى بحر جسدها . قلت ومع
حرص المؤلف على جمع الالفاظ الغريبة النادرة لم يذكر فهلا يدل على
اصطلا المراة بحرارة جسد الرجل . ولهذا أى لاجل ان في جسم المراة
من الحرارة ما لا يوجد في جسم الرجل كان اخف ما يكون من الدثار
يدفئها ولو فى الصر . والرجل اذ ذاك يكهى ويقفقف ويقرعب ويتقرفف.
ومثله غرابة ان اكلها يكون اقل من اكل الرجل ولحمها اكثر من لحمه .
قال المتكلمون ووافقهم على ذلك الاطباء النطاسيون . ان مما فضل الله
سبحانه المراة به ان جعل فيها قوة على حج الخصم وهداية الضال الى
الدين القويم . واوردوا على ذلك شاهدا ماجرى لذلك المعتزلى مع امرأته.
وذلك ان بعض المشاهير من علماء المعتزلة الذين يزعمون ان اعمال العبد
ليست مخلوقة لله كان يجادل اهل السنة ويورد لهم من الادلة والبراهين على
تاييد مذهبه مايربكهم به . فانبرت له امراة لبيبة سنية وقالت لقومها
زوجونى به فاخصمه فى ليلة واحدة ان شاء الله فبات معها تلك الليلة على
الحادة .حتى اذا قضى لها الغرض ثم تنفل بعده وتطوع وظن انه قد استحق
الثواب وخلق بالاغتماص. قالت له واين الرابع والخامس والعاشر ياشر واض .
فنجلد لآخر ثم قال قد نفد مافى الوطاب . فلا ملام ولا عتاب . قالت
امثالك من يبدى هذا الاعتذار . وانت تقول ان الافعال غير مخلوقة للواحد
القهار . قال قد نبهت من كان غافلا . وهديت من كان ضالا . انى عديت
عن مذهبي القديم . وقد هداني الله الى الصراط المستقيم . قلت ويعلم من
كتب التاريخ ان المرأة لها اعظم مدخل فى دخول النصرانية فى بلاد
الافرنج . قال بعض الظرفاء من الادباء ان المراة اذا رامت ان تشتري حاجة
أو تستقضى احداشيء لم يلزمها ان تنقد البائع أو القاضى مالا . وانما تنقده

العين من العين . قال ولذلك جاء هذا الحرف بالمعنيين . بخلاف الرجل فانه اذا اراد قضاء شيء اياكان ولا سيما النشنشة فلابدوان يحل عقدته بنفاثات الدرهم أو الدينار . وانها ايضا اذا توحمت على شيء تحبه وهي حبلي ظهر ذلك الشيء المتوحم عليه فى الولد . فينبغى للاب ان يتفقد ولده ليعلم أى شكل من الاشكال بدا فى اجسامهم . وما انكره منها فليكتمه . قال وان القدرة الخالقية قد اوجدت لها من النبات وغيره اشكالا كثيرة تقر بها عينها وينشرح صدرها اذا نظرتها أو لمستها . وليس للرجل شيء من هذه الخصائص . وان امراة واحدة اذا كانت فى مجلس قد اجتمع فيه عشرون رجلا امكن لها ان تهندهم كلهم اجمعين . فتتصبى هذا بلفظة . وذلك بلحظة . وذا بغمزة . وذاك بهجلة . وآخر بخزرة . وغيره بتحشيفة . وآخر باسجادة . وغيره بزفرة . وآخر بالتفاتة . وغيره بلية جيد . وآخر بشمة . وغيره بنزنزة . وآخر بعضة على لسانها . وغيره باخراجه ونضنضته . وآخر بضم شفتيها وانفاصهما . وغيره بعرض عارضها . وآخر بتمييء شعرها . وغيره بابتسامة . وآخر بضحكة . وغيره بمهقهة . فيقوم الجميع عنها راضين . وابرع ما تكون المراة ما اذا جلست بين زمرة من الفتيان يغازلونها و يداعبونها و يتملقونها . قال ومن خصائصها ايضا انها تعرف ما فى قلوب الرجال . فلذلك تعتمم بوكوكتها وحركتها وتعمدهم وتصبيهم . وتتبلهم وتشجيهم . وتحسرهم وتبلملهم وتطربهم وتشغلهم . وتعبدهم وتهندهم . وتتيمهم وتهيمهم . وتشوقهم وتروعهم . وتعوقهم وتلوعهم وتورقهم وتسبيهم وتشرقهم وتشبيهم . وتخلبهم وتسحرهم . وتحربهم وتبهرهم . وتبيمهم وتشتريهم . وتجيمهم وتصديهم . وتقلبهم وتفأدهم . وترآهم وتصدرهم . وتكبدهم وتطحلهم . وتعدهم وتفخذهم . وتبطنهم وتستهم . فاما ماقيل فى خصائص فرنستها من انها تحسن اعمال البيت كالخياطة والتطريز وغيره فمذكور فى كثير من الكتب فعليك بمراجعتها . انتهى الكلام الان على اة المربغير مبيا على ان

عندى منه ما عند الفرآ من حتى . قال بعض معانيه العلماء المراة كلها شر. وشر ما فيها انه لا بد منها قلت وهو كحلم جحى نصفه صدق ونصفه كذب . فالصادق منه قوله انه لابد منها

الفصل السابع عشر

في رثاء حمار

اهلا بك يافارياق اين انت وفيم كنت هذه المدة الطويلة — فى نظم الابيات السرية — ولكن هذا معلوم عندي ولم اسألك الا عن امر حديث — قد فجعت بالامس بحمار لى وسألت عنه الجيران فلم يقل احد منهم انه سرقه فاكتريت منادياً بدرهم فجعل ينادى فى الاسواق الا قد فر اليوم حمار الفارياق وخلى قيده فى الوتد فهل منكم من رآه فلم يجبه احد الا بقوله ما اكثر الحمير الآبقة اليوم من بيوت مواليها . ولما عاد الى بهذه البسري بلغ منى الغيظ كل مبلغ . وآليت ان لا انظر بعدها فى وجه حمار سواء كان حقيقيا او مجازيا . فقد قال بعض أئمة اللغة ان من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها ان يقال للرجل الجاهل حمار . ثم اخذت ارثيه بهذه الابيات وهى

راح الحمار وخلى القيد فى الوتد ... وما رأى اثره فى الناس من احد
فهل انا راكب من بعده وتداً ... ام مجزئى قيده لو كان من مسد
ام كيف ادخل دارا كان لى سكنا ... فيها وانزل عندى منزل الوتد

سرهدته بيدى كالطفل من شفق ... كالطفل من شفق سرهدته بيدى
وجسته بشعير لا يخالطه ... ماس ولا عسجد خوفا من الدرد
وكان يوقظنى منه النهاق اذا ... استثقلت بصوت مطرب غرد
كم حادبى عن مضيق حين ابصر من ... حولى الجمال تبل الارض بالزبد
وسار بى فى طريق بل جانبها ... اهل الجمال بماء الورد وهو ندى
وكم جرى فارها اذ لاح عن بعد ... زفاف خود اليها بالغ الامد
واذ تبين نعشا للجنازة لم ... يمرر به مع اليم النخس فى الكتد
ما ضل يوما عن استقراء معلفة ... اكان فى روضة غناء ام جرد
قد رابنى حذقه حتى ظننت به ... مسخية مثل بعض الخلق عن احد
وما شكا قط من وخز ولا ضعفت ... رجلاه عن جوب وعث طال اوجدد
شلت يدا من به ولى وغادرنى ... امشى وانشب فى اوحال ذا البلد
اعالم انى من بعده جزع ... وان فرقته نار على كبدى
وان صوت المنادي اليوم يزعق ان ... البس اكافك فى جنح الدجى وعد
لا يغررنك رغد انت واجده ... عند الحرامي خصمى فيك من حسد
فانما ذا لحين انت تعلمه ... مادام شهراً على طرف ولا عتد
يفديك كل حمار ند من بطر ... او ضج من لغب او خار ... ...
وحار من شبق قلاب جحفلة ... كراف بول قديم جف ...
مصنبع الرأس ممشوق القوائم لم ... يحرن اذا سمته خسفا ولم يحد
الية انه بالطرق اعرف من ... مولاه ان لم يعقه القيد ذو العقد
ياليت لى خصلة من ذيله اثراً ... ارنو اليها كما يرنى الى الخرد

قال فقلت له لقد ضاع شعرك فى الحمار العادي . كما ضاع الدرهم فى المنادى . قال اما الدرهم فقد ضاع حقا واما الحمار فلا . قلت كيف ذلك ولدار منه بلقع . قال من عادتى انى اذا فقدت شيئا وذكرته فى الشعر خيل لى اني عوضت عنه . فان لم اذكره بقيت متحسرا على فقده.

قلت او يقوم النثر مقام النظم . قال ربما يقوم عند بعض الناس . فقد بلغني ان كثيرا من المؤلفين كانوا يحاولون ادراك اوطار حرمهم منها قلة ذات اليد فالفوا فيها كتبا واستغنوا بها عنها. قلت من قال ذلك . قال هم قائلوه. قلت هذا محض كذب فاني الفت في النساء كذا وكذا رسالة وما خطر ببالي قط اني عوضت عن واحدة ممن وصفت . قال ولم الفتها اذاً . قلت لم يكن لي من شغل ولا حركة . ووجدت ازمان على طويلا ولا سيما الليالي من دون مباشرة شيء . فلفقت ما كان يخطر ببالي . قال وهلا تفرح الآن بتآليفك اذا قرأته او اذا سمعت ان الناس يقراونه. قلت بل اضحك من سخف عقلي وقتئذ فاني قد عرضت عرضي لألسن القادحين فضلا عن كوني اضعت اوقاتي عبثا فيما لم يجدني نفعاً. وقد بلغني ان كثيراً من المتزوجين ساءهم ما قلته في النساء وذكر مكايدهن فاستظهروا على بجماعة من العلماء عابوا على تبويب كتبي وخطؤني في عبارتها. وكنت ايضا حكيت كلاما عن بعض النساء بلفظه فقالوا لا ينبغي ان يحكى الكلام بلفظه في الكتب وغير ذلك مما ندمني كثيرا. قال قد سمعت ان الناس لا يزالون يعادون المؤلف حال حياته . فاذا مات حرصوا على كلمة يأثرونها عنه كما قال الشاعر

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ... مادام حيا فاذا ماذهب

لج به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهب

قلت وما نفع هذا الحرص لمن مات . قال لا نفع منه غير اني اري ان في النظم للذة عظيمة . ولا بد وان يكون النثر ايضا مثله فانهما كليهما يخرجان من مخرج واحد . افلا تقول بصحة ذلك . قلت اني اقول باللذة في التأليف من جهة ان المؤلف يعرف شيا جهله غيره . ولا شك ان في معرفة الحقائق لذة. غير انه يقابلها من الالم ما يرجحها . وذلك ان المولف اذا عرف مثلا حقيقة واراد ان يعرف غيره اياها وجد اكثر الناس قد

صموا عن سماعها . ومثل ذلك مثل طبيب نصوح رأى اهل بلده يستحمون بالماء البارد فى حال كونهم محمومين . فنصح لهم ان لا يفعلوا ذلك فابوا وقالوا ان هذه البرودة تزيل الحرارة . فهو من جهة انه عارف بالحقيقة مسرورا . ومن جهة انه يرى غيره فى ضلال عنها محزون. وسروره لنفسه لا يوازن حزنه على غيره . الا ترى ان اهل العلم كلهم ضعاف ضاوون قليلوا الكلام والنوم والاكل والضحك. وان الجهال سمان تارون اصحآ كثيروا الاكل والنوم وغيره مما جعل لتقويم الطبيعة . قال فما بال الاطباء سمان ايضا وهم بمنزلة العلماء فى كونهم يعلمون من المنافع ما يجهله غيرهم. قلت ان الطبيب لا يرى الناس حينا يأكلون ويشربون ويباعلون واعا . يراهم حين يمرضون فلا تحزنه افعالهم . واما العالم فانه فى كل وقت ومكان يرى من العامة ما يدل على ضلالهم وجهلهم . فلا يمكنه والحالة هذه الا ان يتأسف على ماهم فيه من الغباوة والغفلة . قال افتقول اذا بالجهل . قلت هنيئا لمن رضى به . قال وما قولك فى الشعر . قلت ان كان هو لمصلحة اى شيء يعود الى القيام باودك فنعم هو . وان يكن عن مجرد هوس وميل الى التجنيس والترصيع ايان رأيت امرأة جميلة او وردة اورضة كما هو دأب اكثر الشعرآ يتكلفون للنظم فى كل ما لاح لهم . او وكرثائك الحمار الآن فتركه اولى . قال ولكن احسن الشعر ما جاء عن هوس اى عن السليقة لا بالتكلف . فاني حين امدح السري اجد فى ضم لفظة الى أخرى ما يجده المعانى لضم نقيضين مختلفين .

وليس كذلك ما نظمته فى الحمار فانى نظمت فيه هذه المرثيه فى ساعة من الزمن . قلت ولكن الناس لا ينظرون الا الى الظاهر . فقصيدتك فى الحمار يسمونها حمارية . وابياتك فى السرى سرية . قال ان كان الامر كما ذكرت فلم رغبت عن التأليف ولكن لا فى النسآء فان

ذلك امر مستفيض . قلت اما اولا فلان المؤلف يوقع نفسه فى كلاليب السنة الناس فيمزقون عرضه وجلده كما ذكرت لك آنفا . والثانى فان حقيقة اسم المؤلف غير محمود . فهو عند من يعلم حقيقة معناه بمعنى الملفق واكثر الناس يضحكون من هذا الحرف فيحسبون انه من التأليف بين شخصين وانما يقولون لمن تعاطى ذلك شيخ . وهو ايضاً مكروه عند بعض الناس وخصوصا عند النساء . واحسن الالقاب هنا فيما ارى عند النصارى قسيس وعند المسلمين بيك . اما القسيس فلان كل الناس تلثم يده وتتبرك بذلك . وان المرأة من القبط لتغسل رجلى القسيس بيدها بماء الزهر ثم توعى ماؤهما في زجاجة . وانه متى جاع حمل امعاءه الى دار احد من معارفه فاستقبلته زوجته بالبشاشة والاكرام فزعبها اى زعب . واذا شاء ان يبقى فى بيته لعارض من العوارض بعث غلامه بعلامة الى احد البيوت فجاء منها بغداء ينظم فيه شعراً عصرنا قصائد . فاما البيك فانه وان يكن مقامه بين الناس كريما الا انه لا يمكنه ان يبلغ من البيوت ما يبلغه القسيس اذلا يتأتى له ان يمشى وحده . فلا بد وان يمشى معه اثنان عن اليمين والشمال وهما وان اظهرا له الخضوع والاحترام ففى قلوبهما منه حزازات تبعثهما على مراقبته والتعنت عليه . اللهم الا اذا تزيا بزى خادم له وح فظاهر اللباس يجىء عنه العين قال هيهات ان اصير قسيساً هيهات ان اصير بيكا . اما حرفة القسيس فانها لا تصلح لى لانى لا احب الركاكة . واما صفة البيك فاني لا اصلح لها فان القدرة الازلية لم ترتض لى منذ الازل بالبوكية أوللبيكية . وما بقى امامي الا الشيخية . قد توكلت على الله قلت اني مفارقك على ان تخبرنى بما سيحدث لك فى شيخيتك قال سأفعل ذلك ان شاء الله

الفصل الثامن عشر

فى الوان مختلفة من المرض

ثم لازم الفارياق نظم الابيات وهو حريص على الانسام بسمة شيخ. فعن له ان يقرأ النحو على بعض المشايخ لما انه رأى ان القدر الذى كان يعلمه منه في بلاده لايكفى لمدح السرى . وفي ذلك الشهر الذى نوى فيه القرآة أصيب برمد اليم . فلما افاق شرع فى العلم فقرأ على الشيخ مصطفى كتبا صغيرة فى النحو والصرف ثم اشتد به دآ الديدان الذى سببه فيهما قيل اكل اللحم نيئا . فتلك عادة مشهورة عند اهل الشام . فكان يتمعص منه وقت القرآة والشيخ يظن ان ذلك من اختلاف المسائل وكثرة التعليل . حتى قال له مرة سبحان الله ما احد قرأ على هذا الفن الا ويتمعص . فقال له ليس التمعص كله ياسيدى الشيخ من زيد وعمرو . فان لجماعة الديدان ايضا مدخلا . فانى لا اكل شيئا الا وسبقوا معدتي اليه . قال لاباس عليك عسى ان يخف عنك ببركة العلم . واتفق للفارياق وقتئذ ان ساله احد معارفه ان يقرأ على الشيخ المذكور ذلك الكتاب الذى تقرأه النصارى في الجبل . وهو كتاب بحث المطالب . فلما ختمه التمس من الشيخ ان يكتب له اجازة اقرائه في بلاده . فكتب له اجازة وعرضها على الفارياق . فحين تصفحها راى فيها خطأ في اللغة والاعراب. فاستأذن من شيخه ان يوقفه على الغلط . فلما وقف عليه قال ساكتب له غدا اخرى . ثم كتب له اجازة غيرها فلما امعن الفارياق فيها النظر اذا بها كالاولى . فنبه شيخه على ما فيها . فقال له اكتب له انت عني ما شئت. فكتب له ما اعجب به . على ان الشيخ كان مضطلعا بفن النحو غاية

مايكون . فكان يقضى ساعة تامة في شرح جملة غير تامة . الا انه لم يكن يزاول الانشاء والتاليف فكان علمه كله فى صدره وعلى لسانه ولا يكاد يخرج منه الى القلم شيء . ثم بعد قراءة النحو على النسق المذكور راجع الفارياق وجع العينين . فلما افاق رأى ان يقرأ شرح التلخيص فى المعانى. فشرع فيه مع الشيخ احمد . فلم يسر فيه قليلا حتى اصابته الحكة ولم يكن قد عرفها في مبادئها فلهذا استمر على القراءة . حتى اذا كان الشيخ آخذا مرة فى شرح مسألة معضلة ثارت الحكة فى بدن الفارياق فجعل يحسك يكلتا يديه . فالتفت اليه الشيخ فرآه منهمكا فى الحك . فقال له ما بالك تحك وانت على مايظهر لي غير منتبه لقيل واجيب . هل نحن الان فى محاكة الالفاظ أو في محاكة الاعضاء . قال لا تؤاخذني ياسيدي فاني ارى لذة الحك مانعة لي من التنبه لغيره . قال أو بك الحكة . قال لعلها هي . فنظر الشيخ الى يديه فقال هى والله فينبغى ان تقتصر في بيتك وتطلى جسمك بخرء الكلاب فليس لها من علاج سواه . فلزم الفارياق بيته وجعل يطلى بدنه كل يوم بالخرء المشار اليه و يقعد في الشمس ساعات حتى لقى من ذلك عذاب الهون . ثم لما افاق رجع الى القراءة . و بعد ان ختم الكتاب عاودته ضريبة الرمد . ثم نعر في رأسه ان يقرأ شرح السلم للاخضري في المنطق . فشرع في قراءته على الشيخ محمود فاصابته الهيضة وهى الداء المسمى فى مصر بالهواء الاصفر . فبقى ثلثة ايام لا يعى ولا يعقل من الدنيا شيئا ولا يقدر على النطق . سوى انه سمعه خادمه مرة يهذى و يقول كلية موجبة كبرى . فظن انه يستعظم مصيبته فيقول انها كبرى. ولم يكن احد أصيب بهذا الداء فى مصر . فلما مضت ثلثون يوما انتشر فى البلد وعم بلاؤه والعياذ بالله فكان يموت به كل يوم الوف . ووقتئذ عرف الفارياق انه كان المقدم فى هذه البلية وغيره التالي كما تقول المناطقة . وان الديدان التى كان يقاسى منها هى التى عجلت له بهذا الداء فعجل هو بها.

فجعل أي الفارياق يركب حماره ويطوف في الاسواق وكانه آمن من المقدور. (حاشية لم يكن هذا الحمار ذلك استحق الرثاء والتابين بل كان ممن يحق له التقريظ) فسار الى قرية في الريف ومعه خادمه وخادمته. فعلم به بعض ولاة البلاد فاستدعى به وبالخادم والخادمة. وقال له أي لبيب هل هذا وقت الموت أو وقت الايلاد حتى جئت بهذه الجارية هنا. قال انا مداح السري وقد اتيت لاسرح ناظري في نضرة الريف فاجيد مدحه بعد موت من يموت. فقد ضقت بالمدينة ذرعا وخشيت على قريحتي العقم. قال ماهذه واشار الى الخادمة. قال هي اخت هذا يعني الخادم. قال وما هذا. قال خولي هنا يعني الحمار. فالتفت الامير الى الخادم فرأى عليه طلاوة. فقال له من حيث انك شاعر السري أو شعروره فلا تثريب عليك. وانما ينبغي ان تترك الخادم هنا فانه يصلح لخدمتي. قال لك على الامرة فخذه. فاستبد به الامير تلك الليلة وساله عن الفارياق ملحا. فقال له الخادم والله ياسيدي انه رجل طيب غير اني اظن انه اعجمي فاني لا اكاد افهمه حين يتكلم بلغتنا. فلما اصبح الصباح تاهب الفارياق للرجوع فلم يجد الحمار فظن انه لحق بالاول. فجعل يبحث عنه فوجده قد خرج مع حمار آخر من حمر الامير الى سهل وهو تحته يزمع وينخر. فلما ان رآه على حالة المفعولية غلبه الضحك فقال. قد ورد في الحديث ان الناس على دين ملوكهم. الا انه لم يقل احد قط ان الحمير على مذهب اصحابها. ولكن بالعير ولا بالمعيرة. ثم رجع الى الدار فوجد خادمه وخادمته ينتظرانه. وقال له الخادم قد سرحني الامير فانه لم يرني اهلا لخدمته الا ليلة واحدة وها انا الان حر. ثم ان الفارياق بعد ان هنأ الامير ومرأه رجع الى مصر وكان البلاء قد خف. فسال عن شيخه المنطقي فقيل له انه حي لم يقض من القضايا. فرجع اليه واتم معه ما كان ابتدأ به. فلما بلغ آخر درجة من السلم عاودته ضريبة من الرمد فلزم بيته. فلما افاق رأى ان يتعلم شيئا من الفقه وعلم

الكلام . فبدأ بالكنز وبالرسالة السنوسية فرض — فرآه بعض معارفه من الفرنساوية فساله عن سبب ضعفه فاخبره الخبر . فقال له انا اشفيك منه بادن الله ولكن على شرط ان تعلم ابني اللغة العربية . فقال حبا وكرامة. فشرع مذ ذلك الوقت في تعليمه وفي تعاطي الدواء من عند ابيه . ولكن لابد لتفصيل ذلك من فصل على حدتة

الفصل التاسع عشر

في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب

كان هذا الرجل طبيباً مشهوراً بمصر . ولكن شهرته في دائه احسن منها في دوائه . وذلك انه كان قد تزوج جارية تارة على كبر سنه فاولدها بنتا وصبيا . ثم عجز عن اداء حقها فجعل دأبه الملاطفة لها والتملق . وتلك عادة الرجل مع المرأة من انه كلما قصر في اعتابها وارضائها في الحقوق الزوجية زاد حرصه عليها وكلفه بهما وتودد لها. توهم ان هذا يسد عند المرأة مسد ذلك . وكذا حالته معها اذا كان يخونها ويرأم اخرى . كما ان دأب المرأة ان تزيد هشهشتها وعروبيتها لزوجها بزيادة اشباعه اياها واطفاف الكيل لها . او تملقه له اذا كانت تخونه . وبناء علي ذلك جئته يوما من الايام . ياهذي اني ارى ان قد صدى مفتاحي عن قفلك . وان سنك وترازنك تقتضيان ان تتخذي لك آلة رصاعية لتتلهي بها حتى يحين حيني فتتزوجي باخر . والا فانى خاف تفركيني وتطيري من عندت كما يطير الحمام . وقد يهون

علي ان اخسر منك شيئا واحداً ولا اخسرك بجملتك فانك ام ولدى ومحل سرى من كبدي . فلا اطيق فراقك . فاختارى لنفسك من شئت أتك به بقرنيه. فضحكت المرأة عند ذلك . ثم قال ومن حيث انني معروف في هذا البلد باني طبيب فاذا رأى الجيران رجلا قادما الي بل رجالا فلا يكون عليك شبهة . فضحكت المرأة أيضا لقوله رجالا قال فان الناس يقرعون باب الطبيب ولو في نصف الليل .وهنا ضحكت ايضا ثم تمادى في الكلام معها الى ان قال ولا تظنني اني انا وحدى تفردت بهذه العادة . فان امثالى من اهل بلادى يفعلون كذلك وهنا قهقهت . فلما فرغ من بقية خطبته على هذا النسق ظنت زوجته اولا انه قصد بذلك ان يستطلع سرها ويتصيدها بزلة . فبكت من شدة الغيظ وقالت له ازعمتني بغيا حتى تقابلني بمثل هذا الكلام وتسيء بي الظن قال حشا لله من ذلك . وانما تكلمت معك بمقتضى الطبع فقد ترى قولي بعد حين وردي على الجواب . فانصرفت المرأة من حضرته وهي واجمة مرتابة . ثم مضت عليهما غير قليلة والرجل لا يمارس ولا يماظل ولا يلاعب ولا يباعل . فقلقت جدا لهذا الحال . وضاق صدرها عن صبر الاعتزال . واخذت تفكر فيما قاله لها زوجها . فتبهلت له يوما من الايام وتبرجت وتعطرت وقصدت غرفته وهي تقول في نفسها . اليوم يكون برزخ الحالتين . وفيصل الحدين فان لم تكن منه مباعلة ذكرته بما قال فتلقاها بالبشر والبشاشة واجلسها بجانبه وعرف انها كرعت . اذ رأى قد علت عينيها حمرة وهما ترأرئان وفي صوتها تهدج اى رعشة واضطراب فلما استقرت بادرها بالكلام بان قال هل تبصرت فيما قلته لك منذ ايام قالت نعم ولكن اما عندك فضلة تغنيني عن هذا الامر .قال ماعندى والله من وشل ولا فضلة وثمد ولا ثملة ولم يبق لى امل لاصلاح شأني في ما عوظ مالا في ... السمنقور ولا في شحم اوزل دلكا ولا في الزنجبيل ولا الفلفل

ولا التامول ولا القاقلة ولا الراس ولا الفوفل ولا القرنفل ولا السنبل ولا المصطكي ولا الجوزبوا ولا الهلال ولا الرازيانج ولا فى عاقر قرحا ولا في حب الصنوبر ولا الحمص ولا الكابلى ولا البليج ولا دارفلفل ولا السمسم ولا الخولنجان ولا البسباسة ولا دهن البلسان ولا خصي الثعلب ولا في بيض العصافير ولا فى دهن السوس ولا فى القلقاس ولا في اصل النرجس منقوعا فى الحليب ليلتين ولا فى الكرفس مدقوقا نزرة بالسكر والسمن ولا في لبس اثوب الموروس ولا فى اكل اصل اللوف ولا الضجع ممصورا ماؤه نى اللبن الرائب ولا في البورق مدوفا بالعسل او في دهن الزنبق ولا فى البندق الهندي ولا الهماق مقلوا ولا فى علك البطم والينبوت ولا فى المسك مدوفا بدهن الخيرى ولا في البهمن ولا في الجزر ولا فى الهيلون ولا في الاملج ولا البسفارذانج ولا فى اخضر الباقلى بالزنجبيل ولا فى الملقل مدقوقا بالسمسم معجونا بالعسل ولا في صمغ الكندلي ولا في المقل ولا في ثمر البطم ولا فى التبخير بخفيف لحم الرخم مخلوطا بخرد سبع مرات ولذ حب الزلم ولا في لب القرطم ولا في ممك الغنم ولا فى الموز ولا مسح دماغ الخفاش بالاخصين ولا فى لحم الحمام ولا فى قرفة القرنفل والا لما ضننت عيك بشيء لما تعلمين من فرط محبتي . ففالت اذا كان الامر ياسيدي كما ذكرت فاني اختار قسيسا . قال اي وسواس وسوس اليك هذا الاختيار الذى ليس من الخير فى شيء . قالت اما اولا فلان الناس لا ىسئون به الظن اذا راوه داخلا اليه كل يوم . والثانى انه يقال ان مادة القسيس متوفرة فيه . قال قد غويت ومع ذلك فانى اخشى منه على ولدى فانه ربما يغريها بخلاف حالة كونى مخالفا له فى معتقده فالاولى ان تختارى غير . قالت انت طبيب تعرف الصحيح من العليل والقوى من الضعيف فاختار لى من تشاء فانى ارضى بكل ما ترضي به انت . قال بارك الله فيك . ثم قبلها من فرحه ووعدها بانجاز عدته فى اليوم القابل . وما

كاد يسفر الفجر الا وهو فوق حماره يقصد بعض اصحابه . فلما اجتمع
به قال له ان لى عندك حاجة جئت التمسها منك . قال قل ما بدالك. قال
على شرط لاتخيبني . قال سأبذل مجهودى كله ان شاء الله فى قضائها.
فاخذيده ج توثيقاً للعهد ثم قال له انى اريد ان تكون خليفتى فى زوجتى.
فقال له الرجل هل بدا لك سفر عن مصر وان تترك زوجتك هنا . قال
لا وانما تكون خلافتك عنى فى حضورى .فاستاء الرجل وقال او خامرك
ريب فى صداقتى لك حتى اضمرت استطلاع سرى . وخفى امرى .
فعند ذلك صرح له بالقضية والح عليه فى القدوم معه . ولما ان قدما
انعقد البيع بحضرة كل من من الزوج والزوجة . ثم التراضى. وصار الرجل
مذ ذلك الوقت يتردد على دار الخلافة وبقي كذلك مدة ثم ان الزوجة
لما ملته كما هى عادة النساء وظهر له ذلك من قلة احتفالها به مرة ومن
اعتذارها ليه اخرى . جرى هو ايضا على عادة الرجال من انه افشى
سرها لصاحب له . فجرى هـذا ايضا على جدد امثاله وجعل يتردد اليها
وقام عندها مقام الاول . ثم ملته فافشى سرها. ثم جاءها اخر فقبلته . ثم
خر وآخر صاروا جماعة عظيمة . ثم تراجع اليها احباؤها الاولون وانهمكت
في التبديل والتغيير حتى صارت دار الطبيب كالمشرعة . ولم تكن هذه
قد شهرت فى مبادئها عند الجيران اذا كانوا يظنون ان القوم يأتون ليتداووا
من علل بهم . ولكنها علمت بعد ذلك . وكان سببه ان الطبيب اتخذ له دار
اخرى خارج البلد ليضيف فيها . وترك امرأته فى الدار الاولى والزائرون
على ما كانوا عليه من الورد والصدور فتنبه ج الناس لذلك . وفى هذا
الوقت اي ورود الخلق الى هذا المغنم البارد كان الفار ياق المسكين يتردد
على منزل الطبيب ليعلم ابنه ويتداوى . فظن الناس انه من جملة الزائرين
وتقلدوا اثمه فى اعناقهم الى يوم الدين . فانه كان معطلا وفعله ملغى عن

العمل . وبقى على تلك الحالة مدة من دون ان يرى فائدة من العلاج فكان الطبيب . اراد ان تطول المدة عليه الى غاية تعليم ابنه . فمن ثم اقتصر الفاريق عن التردد اليه وتداوى عند غيره وشفى وفي خلال ذلك سافر الى الاسكندرية لمصلحة ما . فاجتمع فيها بواحد من الخرجيين الصالحين فسأله هذا ان معه الى مصر ليعلم عنده بعض تلاميذ فاجابه الى ذلك وانما رغب فيه لكون الخرجيين لا يؤخرون اجرة من يعمل لهم . وفى اثناء هذا عن له ان يقرأ علم العروض فأخذ فى قراءة شرح الكافى على الشيخ محمد فما كان يختمه حتى فشا الطاعون بمصر . فاشتد بالمولى الخرجي الحرص على حياته ابقاء للمصلحة الخرجية كما زعم . فمن ثم رأى ان يتباعد عن وهدة الفخ قليلا لكيلا ينطبق عليه فيفجع الخرجيين امثاله بفقده فيكون فقده سببا فى فقد غيره . اذ قد تقرر عندهم ان شدة الحزن تميت . فجعل الفارياق مع الخرجيين الخرجيين ومع رجل لبيب ذى خبرة العلاج المانع من عدوى الطاعون . ثم استصحب ما لزمه وفر الى الصعيد وتفصيل ذلك فى الفصل الآتى

الفصل العشرون

فى معجزات وكرامات

كان عبد الخرجى المذكور خادمة رعبوبة من اهل بلاده . فلما عزم على الفرار رأى ان يغادرها في منزله لتصون حاجته فيه وانما ابى ان يستصحبها معه لانه كان متزوجا بامرأة هى دونها في الحسن كما جرت العادة فى بلاد الافرنج من ان الخادمة غالبا تكون فوق مخدومتها في القسامة والجمال ودونها فى

الدراية والمعارف فوقع فى خاطر زوجته انه اذا نشبت فيها عوالق الفقر اولا ربما اتخذ زوجها تلك الخويدمة فى فراشها وطاب عنها نفسا . اول شيء تتعلمه البنت من امها قبل زواجها هو منع الاسباب التى تبعث زوجها على الاستغناء عن شخصها او عن ذكرها . ولذلك كان من عادة نساء الافرنج ان يهدين الى بعولتهن صورهن وان كانت شنيعه ليجعلوها فى زمصهم . او خصلا من شعورهن وان تكن حمراء ليختتموا بها . ثم بدا مشكل آخر . وهو ان الخادم اذا نق[illegible] يجدها ف[illegible] الدار لم تأمن من ان يسو وعليها احدا فى الليل فيقع [illegible] التنور . ويكسر المجبور . و[illegible] المجزور . ويطم المحفور . ويذل المة[illegible]ر . ويحرث البور . وتفك الطلاسم عن المسحور ويفتق[illegible] [illegible] ويوسع الصنبور . ويبعثر المطمور . وتذلل [illegible]ور . ويصدع [illegible] ويخرب القهقور . وينقر [illegible] الاذور فتتألم شوكة الزنبور . فارتأى بعد ان رفع يديه بالابتهال الى الله تعالى ان يضم اليها رجلا من اهل بلاده [illegible] قشموما . اعتقاد انه لا يقدر على ارتكاب شيء من الافعال التى جرت هذه القوافى متعددة . وذلك من جملة الاغلاط الفاضحة التى اشتهرت بين الناس . اعنى انهم يظنون فى الغالب من دون مراجعة النساء والاستشهاد بقولهن ان النحيف لا يقدر على ما يقدر عليه السمين . وكان الاولى ان لا يستبدوا برايهم فى ذلك . فمكث القشموم مع الخادمة فى اهنا عيش . اما ما كان من الخويجيين فان مخرجهم أى مربيهم وكل بهم وكيلا الرجل اللبيب . واوعز اليه فى ان يحظرهم عن الخروج . وان لا يدع احدا من اقاربهم يدخل اليهم . وان يستخدم رجلا ايشترى لهم ما يلزمهم الخارج . ولا يستلم منه شيئا الا بعد ان يغمسه فى الخل أو يبخره بالشيء وغير ذلك مما عرف في اصطلاح الافرنج لمنع اسباب الوباء . وكان هذا الوكيل من مشاهير علماء ملته . وكان فى مبدأ امره كافرا لا يعتقد بدين من الاديان .

لكنه كان حميد الخصال حسن الاخلاق . غير ان كفره حال بينه وبين رزقه فاضطر الى ان ينحاز الى الخريجيين من اهل بلاده. ففرحوا بهدايته كثيرا .واحسنوا اليه احسانا وفيرا. فانقلب هزله جداً وتمكنت منه الوساوس والاوهام حتى اعتقد اخيرا انه اهل للكرامات والمعجزات . فكان يتمنى ان تسنح له فرصة لذلك . واتفق في الاول انمات بالطاعون ذلك الخادم الذي كان يشتري لوازم الدار . فلما جاء الدفانون ليحملوه اعترضهم الوكيل من داخل الدار . فخافوا ان يخالفوه لكونه من الافرنج فان لهم عند اهل مصر حرمة زائدة . ثم انه مضى الى موضع منفرد وجثا على ركبتيه وهو يدعو الله سبحانه وتعالى لان يحقق له صدق عقيدته . ثم فتح الباب وخرج والقى نفسه على جثة الميت وجعل فمه في اذنه وهو يناديه قائلا . ياعبد الجليل (اسم الميت) اني ادعوك باسم المسيح ابن الله لان تعود من ظلمة الموت الى نور الحياه . ثم اصغى ليستمع الجواب فلم يجبه احد .فاشار الى الدفانين ان اصبروا . ثم سار الى ذلك الموضع الذي صلى فيه اولا . وغير ركعته بان جعل فمه بين فخذيه وهو يجمجم في الدعاء وذلك على منوال الياس النبي حين صلي لا نزال المطر بعد ان قتل انبيا بعل . وكان عددهم اربعماية وخمسين نبياً على ما ذكر في الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الاول .الا ان بين الداعيين فرقا وهو ان النبي صلى هكذا بعد القتل وصاحبنا هذا قبل الاحيا . وكان الاولى ان يرفع عبد الجليل الى غرفة كما فعل النبي المذكور بابن الارملة التي كانت تعوله وكان دعاؤه الى الله لاحيائه ان قال ايها الرب الهي اجلبت الشر ايضا على هذه المرأة بقتل ابنها الخ . ثم انه شبح يديه حتى صار جثته على شكل صليب. ثم قام نشطا مسرورا واسرع في ان القى جثته على الميت واعاد في اذنيه كلامه الاول . فلما لم يجبه احد وراى الميت لم يزل مفتوح الفم مطبق الجفنين ولم يعطس مرة هنا

ومرة هناك ولم يعطس سبع عطسات كما عطس ابن المرأة الذى احياه النبي اليشع على ماذكر فى الفصل الرابع من سفر الملوك الثاني . ذهب الي المطبخ وامر الطباخ بان يصنع له مرقة على الفور . فلما صبت المرقة اقبل بها الى عبد الجليل وجعل يفرغ منها فى حلقه وذاك مشغول ... نا كر ونكير . فلما اعياه ادره امر الدفانين ان يحملوه وقال ما على ذنب ... ي كوني لم ارد ان ابعثه وانما الذنب عليه . ثم اقبل الي ... الفارياق ... ل له لاتأخذني ياخليلي بعجزى عن احياء الخادم فان زمن الانشار ... . ولكني لا اتراخى في عقيدتي بان افعل ذلك المرة الآتية ان شاء الله. فلما سمع الفارياق ذلك اضطرب بالدوار دمه غيظا وحزنا . ... فى ذلك اليوم الداء الفاشي . فخرج تحت ابطه سلعة كالاترجة وحم واحده صداع اليم. فاما الوكيل فلم يصبه شيء . وذلك من الاسرار التى لم يعجز عن ادراكها الحكماء. ثم ان الفارياق كان حال مرضه يفكر فيما جرى ع ... نو وحيد غريب لا مؤنس عنده يسلية . ولا طبيب يداويه وكان يقول فى نفسه اذا مت على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبي هذه التى سهرت الليالى على نسخها. نعم ان الموت على كل حال صعب مكروه غير ان موت الفتى مثلى غريب اصعب . وانى قد ابتليت والحمد لله ... هذه المدينة بجميع انواع الادواء المصبوغة بلون الحمام

فاذا فسح الله الآن فى اجلى فلا افارق هذه الدنيا الا قرير العين بنجل يرثني . وان لم يكن عندي من حطام الدنيا غير الكتب. كيف ... جاء عن ابيشلوم ولد سيدنا داود انه بني له جدارا ليذكر به بعد مو... يكن له خلف . فلا تزوجن فان لم ياتى خلف فالطوب بمصر كثير . اللهم يسر . عونك يا كريم . يارحمان يارحيم . ثم لما كان يمعن النظر فى حال الزواج ويتصور مشاقه وشدائده التى كان يرى اوداه ومعارفه يقاسونها . ويئنون

س باهظ حملها . يرجع عن عزمه و يسخر من استحالة عقله وضعف فهمه
يضعف جسمه . ثم يعتذر لنفسه بان كل انسان اذا عاش مدة حياته على
رأي لم يوافق رأى الجماعة كان يعتقد وهو حي صحيح الجسم معافي
انه كان على ضلال ... حده على هدى . فاذا ادركه ضعف جسم
لم يلبث ... تغير عقله فيميل عن مذهبه الاول . كما جرى لبيون الفيلسوف
و ... يره ... كماء والفلاسفة . ثم ان الله تعالى تدارك الفارياق
بر ... من عليه بالشفاء من علته . فقام من فراشه كانما قام من جدثه
واقبل على الطنبور يعزف به ويغني فدعه الان على هذه الحالة ولا تنغص
عليه عيشه . ... ر اذيالك معي لنظفر فوق هذا الاجيج المتاجج امامنا
فيما يلي هذا .

تم طبع الجزء الاول و يليه الجزء الثاني واوله الكتاب الثالث
(طبع بمطبعة الفنون الوطنية)